

المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٧٣) المجلد (٦٣) العام [٦٧] المحرم / صفر ١٤٢٢ هـ - مارس / أبريل ٢٠٠١ م

٦٧

عاماً من العطاء

فقه

الضرورة

.. هـش

مرقح

العلاقات

الدولية

مع دول

الجوار

التجارة

البيئية

العربية

ضرورة ملحة

التطبيع

الثقافي

خيانة





مواقف

هجرة النبوية

الهجرة النبوية الكريمة حادثة أعظم حوادث التاريخ العالمي أثرا إيجابيا راشدا، فعلياً أن تدبر المغزى منها.

ومن المعلوم أن مادة الهجرة هذه، مأخوذة من (الهجر) بمعنى الترك وهكذا كانت الهجرة النبوية الخالدة عبارة عن انتقال بالمبادئ الجديدة الوضاعة والنفوس الصالحة المؤمنة من بلد الهوان والضعف والضعفة والتهديد والاعداء إلى بلد العزة والكرامة والسمو والاستقرار والائلاء الوافي الصافي. فمما لأن يتنفس المسلمون، ولأن يتنفس الإسلام في جو صالح خال من عوامل الاضطهاد والحق والكد والصعوبة... حتى يستعد ويتبها للشموع والانتشار في شتى الآفاق. وهكذا كانت الهجرة مفتاح القوة بعد الضعف بالنسبة للإسلام والمسلمين وكانت خروجاً بهم من الدائرة الضيقة المهددة التي كانوا يقيمون بها، بين الشامتين والناقمين والهاكدين، إلى رحاب فيع واسعة. ولا شك أن كل هجرة تفيض بمعاني الأمل والأمل... ويتمثل الأمل في فراق الرجل أهله وعشيرته وفي فراقه لموطنه الذي درج عليه وهو ناعم الانقار وفي فراقه لمرايح الصبا ومراتع الذكريات. ويتمثل الأمل الذي يصاحب الهجرة في التطلع إلى مجد جديد. واستنائه آفاق أرحب من الوطن الأول. ويتمثل في تنسج ربيع آفاق جديدة من العمل والنهوض ونيل الأهداف التي كانت موصولة.

والهجرة في حقيقة الأمر هي نقطة التحول الكبرى في تاريخ البشرية، فقد قلبت أوضاع العالم الفاسد الجامد وأحالت الدنيا المظلمة إلى دنيا مشرقة حافلة بالحياة المثالية والأمال النبيلة والأهداف السامية ونشرت المساواة والعدل والحرية الحقيقية والائلاء... وكان العالم من قبلها يموج في تقاليد بالية وإلحاد وتخريف شامل وكان تتنازع الأهواء. وتستبد به القلاقل النفسية والفكرية والاجتماعية الخطيرة وقد عاد إلى العالم السلام والمحبة والثنام... وكان ذلك أثراً بارزاً من آثار هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام.

جزء من حديث مذاق بليلة
١٣٧٤/٥هـ

«عبد القدوس الأنصاري»

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالاً - قطر ٨ ريالاً - المغرب ٩ دراهم
مصر ١٥٠ قرشاً - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس
عمان ٦٠٠ بييسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس
موريتانيا ١٠٠ أوقية - الأردن ٥٠٠ فلس.

خال منقوله

مجلة شهرية للأدب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دار المنهل
للصاغة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبد القدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م



الانوار

المركز الرئيسي

جدة الشرفية ص ٢٩٢٥
رمز بريدي ٢١٤٦٦ برقياً المثل
فاكس: ٦٤٢٨٨٣٢ تليفون: ٦٤٢٧٨٣١
٦٤٢٩٧٦٥ - ٦٤٢٨١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
الرياض: ص ٢٩٠ تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢

المنهل

بسم الله الرحمن الرحيم

لقطة



بريعة الفنان السعودي / هشام بنجابي

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس
الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د / عبد الرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهية بن عبد القدوس
الأنصاري

عزيزي القارئ
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلاً عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

إشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الإسهامات عناصر الجودة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الإشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

قيمة الاشتراك السنوي

للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.

قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

الاشتراكات

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة

تليفون : ٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس : ٦٣٩٤٠٩٥



٤ - أول الغيث.

٨ - الشيخ عبد الرحمن الجريسي في حوار مع المنهل.
١٤ - مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن.

د. ناصر عبد الرزاق الملا جاسم
٢٠ - ماذا تعلمنا من الهجرة.

محمد بوراس
٢٦ - تحية العام الهجري الجديد.

شعر - محمد عبد العزيز الحلواني
٢٨ - في القصص النبوي (حواء عليها السلام) (٦٧)
د. عبد الباسط حمودة

٣٠ - الشيخ محمد بن صالح العثيمين .
د. عبد الله بن عبد المحسن التركي
٣٤ - في الاجتهاد المعاصر .

إلياس بلكا
٤٤ - مذاهب وفرق (٢) - الخوارج .

حاتم احمد الطيب الشيخ
٤٨ - أمراء الحرم عبر التاريخ (٣) .

السيد ضياء محمد عطار
٥٠ - قراءة في قصيدة الشاعر الخطيب .

عبد الله بن ناصر العويد
٥٤ - شاعر وقصيدة .

د. عبيد خيري

٥٨ - ثقافة الابداع والتجديد .

د. شلتاغ عبود
٦٦ - أدباء من الخليج العربي (٤) صالح بن سالم
اليعربي .

عبد الله بن احمد الشباط
٦٨ - مفهوم المال في الثقافة العربية .

د. علي القاسمي
٧٦ - أحماض أدبية (١٣) - قواعد الدستور في فرانك
الدكتور .

د. احمد عطية السعودي
٨٠ - مع الروائي الكبير ادوار الخراط .

حوار - وفيق صفوت مختار
٨٤ - الاستشراق أهدافه وأثره في الدراسات العربية .
د. حلام الجيلالي

٩٢ - النور والديجور - شعر .
د. نور الدين صمود

٩٣ - مجلة السائح العدد (١٢٦) .
١٠٦ - العلاقات الدولية مع دول الجوار وأثرها على
الأمن الوطني في المملكة العربية السعودية .

د. أمين ساعاتي
١١٨ - من شعراء التراث (٢٥) (حمزة بن عبد المطلب)
د. عبيد بدوي

١٢٠ - الفروق في اللغة (١٣) الفرق بين الاسقاط

فقرات مسئلة .. فقرات مسئلة .. فقرات مسئلة .. فقرات مسئلة

□ تغريب العالم خلق غربي أصيل.

ص ٣٤

□ الحرية هي منظومة الوازع

الأخلاقي الذي يراعي الجماعة

والذات.

ص ٥٨

□ الدراسات الشرقية والأفريقية

أنشئت لتسهيل العملية الاستعمارية.

ص ١٤

□ المسلم في هجرة إيمانية دائمة

تخرج به في آفاق الاحسان الرحبية .

ص ٢٠

وكلاء
التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٧٦ - وكالة الامرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ -
الشركة التونسية للمصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفة للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ -
شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

المنهل

أما بعد

ثلاثة عشر عاماً مكثها سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قومه يدعوهم للإسلام، وما آمن له إلا قليل.

وقد كان فيهم وبينهم الأمين والصادق المصدق... بل كان عندهم بشارة الخير ومطلع النور... هكذا كان فيهم قبل الرسالة...

وبعدما دعاهم لعبادة الله وحده، ونبتذ الأصنام، اشتد بهم الضلال، وركبتهم شياطين الهوى، وأبالسة الباطل، سفهت أحلامهم وسلبت عقولهم. أصبح الأمين عندهم بالأمس، طريداً، يتربصون به، ويمن آمن معه.

من استطاعوا الخروج من هذا الجحيم المستعمر، أمرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالهجرة إلى الحبشة... فان فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد... وحتى هؤلاء الذين فروا بدينهم، لحقهم الكفار من قريش في الحبشة يحرضون ملك الحبشة عليهم... ولكنه كان صاحب حكمة وعقل راجح.

وبقي سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعاني ما يعاني من أذى وظلم، ومن معه من المسلمين. وجاء الأمر بالهجرة المباركة... وكفّار قريش قد ازداد بطشهم بالمسلمين وأحكموا حصار الشعب عليهم، وعلى سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وزرعوا عيونهم في كل الأودية وسفوح الجبال، أنه الترصّد الكامل بالدعوة وصاحب الدعوة... أنهم لا يرغبون في إيمان يغسل عنهم إدران الشرك، ولا يودون لأحد أن يؤمن... وهكذا أصحاب الضلالات حتى يومنا هذا.

غريب أمر الكفر والشرك والضلال... رسول من بين ظهرانيهم، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، هم أنفسهم وصفوه بـ (الأمين) ورضوا به حكماً عدلاً بينهم، عندما يدعوهم بدعوة الحق تطيش عندهم كل الموازين.

الكفر هو الكفر، في كل الأزمنة والأمكن. ألم يقولوا قبل ذلك لأخيهم صالح (يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا)...

ألم يقولوا لقومهم:

«لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه»...

ولكن الله ناصر رسوله ورسالته...

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)...

السماني كمال الدين



غلاف هذا



غلاف السائد

والإبراء والعفو والتملك.

د. ياسين بن ناصر الخطيب

١٢٢ - رحلة في الذاكرة (٥٦) (د. محمد السعدي فرهود).

د. محمد رجب البيومي

١٢٦ - تقنية إثارة الابتكار في القراءة (٢-١).

د. أنور طاهر رضا

١٣٤ - نظم الأقراص البصرية المكتزة (٢-٢).

د. سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن

١٤٣ - مجلة هن العدد (١٢٩).

١٥٤ - شذرات الذهب (٦٤).

د. أبو حسام

١٥٨ - مسك الختام (سمو نفس وتجليات روح).

.. فقرات مسئلة .. فقرات مسئلة ..

□ جائزة نوبل ليست المعيار للقيمة الأدبية.

ص ٨٠

□ مبتكرات الاطفال افكار جريئة ينبغي احترامها وتنميتها.

ص ١٢٦

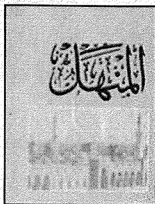
الإعلانات:

يراجع بشأنها

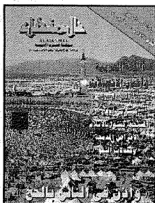
الإدارة ت: ٦٤٣٢٢٢٤

٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣.١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والطبوعات د.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ النامة ٥٣٤٥٥٩.

المنهل (٦٢) عاماً من العطاء



غلاف ذو الحجة ١٣٥٥هـ



غلاف ذو الحجة ١٤٢١هـ

في عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م وفي المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم كانت الانطلاقة الأولى لـ (مجلة المنهل) لصاحبها ومؤسسها الشاب الطلعة المتوكل للعلية دامت الأستاذ عبد القدوس الأنصاري. وقد كان عمره آنذاك عند إصدار العدد الأول ثلاثين عاماً. ولم يكن يملك من المال سوى أربعين ريالاً فقط. لكنه العزم والتوكل على الله سبحانه وتعالى.

صدرت المنهل آنذاك من غير أنموذج سابق تستند عليه، أو تفيد من تجربته في مجالها ومضمونها الذي اتخذت لنفسها. ولهذا فهي بحق أمّ المجلات السعودية.

قامت المنهل على منهجية صارمة قوية لم تحد عنها، ولا ينبغي لها أن تحيد عنها، وتقوم منهجيتها على الخطوط التالية، حسب توصيف مؤسسها:

- التزام خط الاعتدال في كل ما ينشر.
- الذب عن حياض العربية الفصحى.
- الدفاع عن حظيرة العربية والاسلام.
- الدعوة المخلصة الى التضامن الاسلامي.
- السعي وراء رفع المستوى الأدبي والعربي.
- نشر الوعي الاسلامي الصحيح.

ولقد أعلت مجلة المنهل من مبدأ (الاعتدال والتوازن) (والنفع والافادة) .. وهي مبادئ رعتها المنهل رعاية كاملة، ووفتها حقها. وبالتالي اكتسبتها احترام الآخرين لها. والمنهل ظل وفياً لكل كلمة تخدم الامة في أي مقوم من مقومات حياتها المتجددة الممتدة. والمنهل ظل وفياً لقضايا وطنه، تفاعل معها وسجلها، دقيقها وكبيرها، وكانت له أولياته التي حفظت له حق السبق التاريخي والموضوعي في الدعوة الجادة للأخذ بأسباب النهضة والتقدم في كل انحاء الحياة.

والمنهل بجديتها المعروفة عنها ومنهجيتها العلمية، استطاعت أن تجذب إليها عدداً موفوراً من العلماء والباحثين والمحققين والمثقفين بعامية - قراء وكتاباً - من داخل المملكة العربية السعودية، وعلى مستوى العالم العربي والاسلامي، بل اجتذبت عدداً من القراء والكتاب من مختلف دول وإجناس العالم. والمتصفح لاعداد المنهل قديمها وحديثها يستبين ما ذهبت اليه.

نعلم انه على مستوى العالم العربي قامت مجلات لها قيمتها العلمية والأدبية والفكرية، لكنها لم تُعزَّزْ كما عمرت مجلة المنهل، لسبب أو لآخر، وتوقفت. تلك المجلات. عن الصدور بعد عدد سنين من صدورها، في حين ان المنهل منذ انشائها وحتى يومنا هذا لم تتوقف عن الصدور إلا في سنوات الحرب العالمية الثانية بسبب ندرة الورق، ثم عادت الصدور بعدها.

وهذا العدد ترضى المنهل شلعة عامها (السابع والستين)، وهي تسيير حسب منهجيتها الصارمة الدقيقة، لا تحيد عنها. خدمة للعلم والثقافة والادب.

ويعناسة العام الجديد، تتواصل المنهل مع محبيها، وهذه أقلامهم ترفد صفحاتها، تعبر بوقاء عن ود صادق نبيل، ومحبة موصولة دائمة.

ويسعدنا ونشرفنا بنشر هاتين الكلمتين الصادقتين، من الاستاذين الكريمين: الاستاذ عبد الله بن حمد الحقييل، الأمين العام الاسبق لدارة الملك عبد العزيز، والاستاذ محمد صلاح الدين، الكاتب الاسلامي والاديب والصحفي الشهير.



المنهل موسوعة رائدة في الأدب والثقافة

على هويتنا وتراثنا وثقافتنا وقيمنا أمام هذه الأمواج المتلاطمة والى استقراء الأحداث والمزيد من الوعي واليقظة للمحافظة على المثل والقيم والمقدسات الإسلامية.

ان رسالة المنهل رسالة عظيمة فهي أولا مفخرة لشقاقتنا وأدبنا في هذه البلاد - إذ هي موئل للفكر الأصيل ومنتدى للأدب النقي ومنبر للثقافة ومحضن للإبداع وما أحرى شباب اليوم أن يقرأ بأعجاب أعداد هذه المجلة منذ مؤسسها الأول رحمه الله ومنذ أول بداية شوطها حتى نمت ونبتت، ثم الاستمرار - وما أفسحته في صفحاتها من مناسبات وموضوعات ثقافية وتاريخية فكان لها الدور البارز والأثر الم محمود.

ان رسالة المنهل أشمل من أن نلم بها كاملا فقد تحتاج الى مجلدات ولعل في ذكر ذلك ما يعتبر تعبيراً عن وفاء، واعترافاً بفضل هذه المجلة على مسيرتنا الثقافية، ورحم الله مؤسسها فقد تحمل أعباء رسالة البناء في ظروف صعبة حتى أصبحت شعلة توهج وتألّق ونشاط.

ثم استمدت هذه المجلة من أبنائه حيويته المتجددة حتى كان لها هذا الدور البارز والأثر الكبير في ميدان الأدب وضروب الثقافة ومجالات الوعي والعرفة والإبداع فلهم من القراء أبلغ عبارات الحب والوفاء والعرفان، والدعاء بمزيد من العطاء والتوفيق في إثراء الحركة الفكرية والعلمية والاهتمام بتراثنا الجيد ولغتنا العربية الخالدة على طريق زاهر دائم بتوفيق الله.

بقلم: **عبد الله بن حمد الحقييل**

الأمين العام الأسبق لدائرة الملك عبد العزيز

تحية للمنهل في عامها الجديد «السابع والستين» بعد أن نمت وازدهرت وتدرجت في مدارج التكامل حتى بلغت من القوة والريادة ما جعلها مهوى أفئدة القراء ومطمح نفوسهم في داخل المملكة وخارجها فلقد تحملت أعباء رسالة الوعي والتنوير والاصلاح والثقافة قامت بأدائها على اكمل وجه... قامت خلال ستة وستين عاما بجليل الأعمال تبدو متتابعة وفي خطوات رصينة في مختلف المجالات الفكرية والفكر المستتير القويم وإشادة صرح من صروح الثقافة والفكر على أرسخ القواعد وأقواما... حتى أصبحت من الروافد القوية للحياة الثقافية... وقناة واسعة للعلوم والآداب والمعارف وكانت منهلا ذبا ونميراً لقراءتها تغذي عقولهم وتروي نفوسهم من مختلف ثقافات العصور ومعارفها حتى صارت ذات صفة متميزة وصورة واضحة ومطامح سامية كريمة تمد قراءها بأقوى معارف علوم العصر وأسس حضارة العالم وفق أوضح المناهج وأقوم السبل... وطرح ما يهم القارئ والمثقف من قضايا فكرية وثقافية وإبراز مسيرة نهضتنا وأدبنا وتطوره وإنارة دروب المعرفة والإبداع مما مكنها من تبوء مكانة سامية لائقة.

ان المجالات الثقافية هي مشاغل الأمة التي تستضيء بها معالم طريقها لتسير بها الى شاطئ الأمان وبر الاطمئنان - وكم طرحت المنهل من موضوعات حيوية ثقافية تهتم بتراثنا ولغتنا وثقافتنا إضافة الى العديد من القضايا التربوية والاجتماعية وأدب الرحلات وغير ذلك مما يشغل الساحة والفكر والحياة العربية والإسلامية وها هي اليوم تدخل عاماً جديداً تفتح الآفاق فيه للوعي والثقافة والتقدم الفكري والعلمي خاصة وقد أصبح العالم وكأنه بلدة واحدة.

مما يضاعف مسئولية المنهل في المحافظة

المنهل .. الإصالة والمعاصرة

المعارك التي لا تجدي، وتتهج نهجا يجمع بين الأصالة المعاصرة دون أن تفقد شخصيتها وطابعها الذي اراده لها صاحبها ومؤسسها منذ العدد الأول وحافظ عليه من بعده نجله الوفي الأخ الأستاذ نبيه الأنصاري.

لا تقتصر زيادة المنهل على كونها أعرق المجلات الثقافية في بلادنا، فقد مرت بمراحل متعددة على مدار تاريخها وواكبت التغيير والتطور إلى الأفضل في كل ما نشرته، ومازالت سائرة في النهج نفسه وإن تغيرت الأساليب وتعددت الطرق.

إن المنهل بتاريخها الحافل الذي لازالت تحمل تبعاته جديرة بالإعزاز والإجلال من كل غيور على الثقافة العربية، تحية للمنهل الغراء ودعاء بالرحمة والأجر والمغفرة للرائد عبد القدوس الانصاري وتحية لابنه البار الأستاذ نبيه بن عبد القدوس الأنصاري الذي حمل اللواء من بعده في كفاءة وثقة واقتدار.

تدخل المنهل بعددها هذا عامها السابع والستين من مسيرتها الحافلة في خدمة الثقافة العربية، وهي رحلة طويلة تقطعها مجلة مخصصة للأدب والفكر والثقافة منذ أصدر الأستاذ عبد القدوس الأنصاري عددها الأول في عام ١٣٥٥، صمدت خلالها في هذا السباق الطويل في حين تتحت عن المضمار وتوارت على مدار هذه الفترة المديدة العديد من المجلات الأسبوعية والشهرية، وتقف المنهل اليوم إلى جوار رصيفاتها من المجلات الثقافية العريقة في العالم العربي حراسا ينافحون عن اللغة ويذودون عن ثقافتنا الأصيلة في ظل مناخ محبط استشرت فيه واستفحلت ثقافة المطبوعات السريعة، وأجواء ينهمر فيها على الناس ركام عقيم من صفحات تافهة، ولا يثبت فيها إلا أولو العزم من أصحاب الهمم.

سُرعَت المنهل صفحاتها لأجيال من أدباء العرب ومفكرها، وقدمت للقارئ العربي خلال هذه الحقبة الطويلة ألوانا شتى من الإبداع الأدبي والفكري، وعددا غير يسير من الباحثين والنقاد والمؤرخين والأدباء فأصبحت سجلا للثقافة العربية الرفيعة ومحفلا يضم وجوه الأدب والفكر في عالما العربي، واستطاعت أن تنأى بنفسها عن

بقلم: **محمد صلاح الدين**

الكاتب الاسلامي والصحفي الشهير

تحيتي للمنهل وإلى صاحبها نبيه بن عبد القدوس الانصاري

بمنهلكم قرأنا كل باب

يحرره مَقَاوِلُنَا [x] الهداة

يُشْرِفُنَا .. بِأَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ

بعذب القول (منهلنا) القُرَاتُ

(نبيه) نابه في كُلِّ شأن

سليلاً أيه منه له صفاتُ

حلّ مكان والده بعلم

له في كلّ معرفة سماتُ

(*) المَقَاوِلُ بفتح الميم: الألسنة الفصيحة

ويكنى به الأديب الذي له مقول ولسان.

بندر بن عثمان الصالح

الشاعر الأديب محمود عارف.. في خدمة الله



الرائد الأديب محمود عارف

و«السراة في عيون الليل» و«أيام من العمر» و«على مشارف الزمن» و«ألحان السمن»، كما أصدر عدداً من الكتب التي تضم مقالاته الأدبية والصحافية، وحصل

الشاعر على جائزة الإبداع الأدبي من رابطة الأدب الحديث في القاهرة في مناسبة ذكرى شوقي وحافظ، كما حقق تقدير الساحة الثقافية في المملكة العربية السعودية وشارك في كثير من الفعاليات وكانت تجربته الشعرية محل عناية الباحثين.

لقد رحل الرجل الذي يعتبر من الأضواء المنيرة للمشهد الثقافي ومن الأسماء الشعرية الأولى في المملكة التي برزت في بدايتها. محمود عارف الشاعر الانسان والأديب.

الشاعر الأديب الراحل محمود عارف - عليه رحمة الله - كان من محبي مجلة المنهل، ومن اقلام الدائمة الكتابة فيها، وكان صديقاً أثيراً ومقرباً إلى نفس مؤسس المنهل الشيخ عبد القدوس الانصاري - عليهما رحمة الله ورضوانه - ولقد ضمت صفحات المنهل العديد الوافر من اشعاره وكتاباته ومشاركاته المتميزة في الندوات التي كانت تقيمها المنهل.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته وغفر

فقدت الساحة الأدبية والصحافية (يوم الخميس ٢٨ ذي القعدة ١٤٢٦هـ) الشاعر السعودي محمود عارف عن عمر يناهز الرابعة والتسعين، وهو أحد الرواد الكبار في الحركة الأدبية والثقافية وأحد الذين ساهموا في هذه الحركة من خلال تجربته الشعرية والنثرية ومن خلال دوره في الصحافة المحلية.

ولد الشاعر محمود عارف في مدينة جدة، وتلقى تعليمه بمدارس الفلاح ثم عمل بفرع وزارة المعارف والجوازات، ثم انتقل بعد ذلك للعمل الصحافي بجريدة «عكاظ» التي أصبح رئيساً لتحريرها ثم عضواً في مؤسستها، كما انضم الى عضوية مجلس الشورى السعودي واستمر الى الثمانينيات الميلادية، وهو عضو في نادي جدة الثقافي.

شارك الفقيد الراحل في دعم وتوجيه الحركة الأدبية في المملكة من خلال مقالاته الأدبية في العديد من المجلات الأدبية ومنها مجلة المنهل، صوت الحجاز، الراحل، قريش، المدينة وغيرها وكذا من خلال أشعاره ومؤلفاته الكثيرة والمتنوعة. فهو يعد من ريعل الأدباء الرواد الذين ساهموا في النهضة الأدبية السعودية المعاصرة في مجالات عديدة هي الصحافة والأدب والشعر، وعرف عن الشاعر الفقيد أنه ممن نوعوا في أشكال إبداعهم الأدبي فكتب الشعر باللونه، وكان في كل ما كتب يعبر عن احساس راق بقيمة الكلمة الشعرية والفكرة المبتكرة، حتى انه يجب أن يكتب الشعر الحديث الحر حيث مزج فيه جمالية النثر الذي كان يكتبه وعذوبة الشعر الذي تميز به، لذلك كان له كثير من المعجبين بشعره، والمعجبين بنثره.

وخلف الراحل محمود عارف أعمالاً أدبية وشعرية عظيمة؛ فلقد أصدر الشاعر ثمانية عشر ديواناً شعرياً منها «المزامير» و«الشاطيء»

البريسي .. تجارة بلا حدود

وجاء لقاءنا مع رجل الأعمال الشيخ/ عبد الرحمن بن علي الجريسي نائب رئيس مجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية، الرئيس العام لمجموعة الجريسي - رئيس مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بالرياض.

الشيخ عبد الرحمن الجريسي من رجال الأعمال المميزين، وينطوي على منهجية اقتصادية متقدمة، وفكر ناضج.

الجريسي يشغل ٢٥ منصبا بين رئيس مجلس إدارة وعضو وعضو منتدب (البنوك وشركات ومؤسسات وجمعيات ومؤسسات صحفية) والحاصل على وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى في عام ١٩٩٩م وكتوراه الشرف في علم فلسفة الاقتصاد من جامعة كينستجتون الأمريكية في عام ١٩٩٩م والحاصل على جائزة الشخصية الإسلامية العالية المميّزة للعام ٢٠٠٠م من مؤسسة (صوت الإسلام) بمدينة شيكاغو الأمريكية.



انبثقت فكرة إنشاء أول غرفة تجارية بالمملكة عام ١٩٤٦م في مدينة جدة .. وصدر النظام الاساسي للغرفة متوجا بتصديق جلالة المغفور له الملك عبد العزيز يرجمه الله مؤسس المملكة العربية السعودية .. وتم نشره في جريدة ام القرى الرسمية، وعقد أول اجتماع للجنة الإدارية التي تم تأسيسها من قبل الدولة في ٢٥ اكتوبر ١٩٤٦م .. وفي العام ١٩٥٠م صدر الأمر السامي بتأسيس اتحاد الغرف التجارية الصناعية في المملكة.

مقدمة :

**** ان تقارباً تكنولوجياً بين المعلوماتية والوسائط الاعلامية قد حدث بالفعل ٠٠ هذا الواقع اسفر عن ولادة عصر جديد سيكون له شأن عظيم خلال الالفية الثالثة (عصر الوسائط المعلوماتية) ٠٠ يعرف بأنه التقاء تكنولوجيايات مختلفة تحمل صفات متفردة.**

**** وعلى الرغم من ان التجارة الالكترونية أصبحت لغة العصر، وجواز المرور لجميع السلع والخدمات للعبور للاسواق العالمية، الا ان هذا المفهوم**

**** الغرف التجارية الصناعية في المملكة تعتبر**
احدى ركائز النمو الاقتصادي بل تعد من احدى
الدعامات القوية للاقتصاد السعودي الذي يعتبر من
افضل واكبر الاقتصاديات في الشرق الأوسط ولا نبالغ
اذا قلنا ان الغرف التجارية الصناعية توفر القاعدة
الصلبة والراسخة التي تساعد على تحسين مستوى
النمو الاقتصادي الجيد والطموح.

المنهل

عربي) فكر اقتصادي مداده العلم وخاصة في مجال المعلوماتية والفضائية لمواجهة ومواجهة التجارة العالمية؟

**** التعاون الاقتصادي بين الدول العربية موجود خاصة في مجال المعلومات ولكن يحتاج الى المزيد من تفعيل حتى يرقى الى المستوى المأمول - إذ لابد للدول العربية أن تضاعف من مجهوداتها لمزيد من التعاون فيما بينها وفي جميع المجالات حتى تستطيع المنافسة في السوق العالمي، ومن المميزات التي يمكن أن تساعد على ذلك هي توافر اللغة والثقافة والاقتصاديات الواحدة والتي إذا ما تم استخدامها بشكل جيد، فإن ذلك سيبعث الفرصة لقيام سوق إقليمية واسعة وبالتالي الى وحدة اقتصادية عربية متينة ومستمرة.**

*** بعيدا عن المال - ماذا عن أجيال الغد؟**

**** درجت المملكة العربية السعودية في جميع خططها التنموية أن تضع المواطن السعودي على رأس اهتماماتها المستقبلية، وقد وفرت له خلال مسيرتها التنموية كافة متطلبات الحياة من تعليم وصحة وسكن ومواصلات، وفي سبيل إعداد جيل متعلم وصحي فقد وفرت حكومة المملكة العديد من المدارس والمعاهد والجامعات في كل مناطق المملكة حتى وصل عدد الطلبة والطالبات إلى حوالي ٤.٦ مليون طالب وطالبة، إضافة الى**

العصري للتجارة لا يزال غائبا عن عالمنا العربي، ولا يستخدم الا في أضيق الحدود، رغم أهميته باعتباره نتاجا طبيعيا لثورة معلوماتية وانطلاقة تكنولوجية عبر شبكة الانترنت.

**** لقد شهد العالم تطورات كبيرة في تقنيات الربط مع الانترنت، تزيد من شعبية وسهولة استخدام تلك الشبكة، وأصبح من السهل انجاز المعاملات في جميع انحاء العالم الذي تحول الى معرض مفتوح دون مغادرة الانسان مكانه.**

*** نعلم أن مشاكل العمل التجاري والصناعي كثيرة جداً - ما هي أهم المشاكل التي تواجهكم؟**

**** إن المتغيرات الاقتصادية الهامة التي تجتاح العالم اليوم هي نتاج لتحولات كبرى طرأت على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأصبح الاقتصاد العالمي اليوم يتسم بالمنافسة وتحرير التجارة وانفتاح الأسواق ووضخامتها، ونتج عن ذلك تنوع المنتجات وتنافسيتها ورفع مستوى جودتها وتدني أسعارها - وهذا قد يؤدي بالطبع إلى إغراق الأسواق بالسلع الأجنبية، مما يتطلب منا التكيف مع هذه المتغيرات، وذلك من خلال التركيز على جودة منتجاتنا، واستغلال مواردها المحلية، وإلى توطيق التقنية.**

●● متى يكتمل حلم
التجارة العربية نحو التكامل
●● الانترنت نتاج حقيقي لثورة العلم
●● التجارة الالكترونية أصبحت خيالاً لا مفر منه

*** هل نجحنا في عالمنا العربي في تكوين (لوبي**



خاصة وإن الملكة مقبلة على دخول مرحلة اقتصادية جديدة تتطلب كوادراً مؤهلاً علمياً وثقافياً.

* ما أسس المنهجية العلمية التي تتبعونها والتي تؤكد رؤيتكم في مجالكم؟

** من أولويات النهوض والتطور في وقتنا الحاضر متابعة ومواكبة المتغيرات اليومية والعمل على استغلال الفرص ومحاولة الاستفادة من كل التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهذا لا يأتي إلا بإدارة الجيدة لوسائل المعرفة والتأهيل لها باستمرار، ومن هذا المنطلق فإن أسلوبنا في العمل يتميز بالسرعة، والمرونة اللازمة لإنجاز أعمالنا، وهذا النهج بلا شك يتطلب منا روح المبادرة والاقتحام في إطار التحليل المتعمق والإعداد المتأن لخططنا وتطلعاتنا المستقبلية، فمستقبلاً لن يأكل الكبير الصغير بل

المستشفيات والمراكز الخاصة.

كما وفرت للشباب السعودي مختلف المراكز الرياضية والثقافية والاجتماعية حتى أصبحت الملكة تضاهي أكثر الدول تطوراً وتقدماً في هذه المجالات، وهذا ما يشير إلى أن مستقبل الملكة يبشر بجيل يتميز بالعلم والمعرفة والصحة والرفاهية،

●● خبراء

المعلوماتية

يتوقعون ان انصهار

الكمبيوتر والعلاقات

سيؤدي الى منتج

جديد ومختلف

المنهل

●● المملكة تضيء أكثر الدول تطورا وتقدما . . في المجالات الثقافية والاجتماعية والرياضية .

الدول العربية
والإسلامية نواكب
وتتابع البيئة
التنافسية العالمية،
خاصة بعد ظهور منظمة
التجارة العالمية.

كل الطموحات
والأمال الكبرى،
وهي القيادة على
تحويل النظريات الى
تطبيق فعلي على أرض الواقع.
ولا شك أن هذه الحثثيات التي

وقد أسهم سعي المملكة للإنضمام لهذه المنظمة
في عمل الإصلاحات الاقتصادية الأخيرة. وزاد من
قدراتها التنافسية خصوصا وأن بالمملكة عدداً من
الشركات القوية أو الشركات الأجنبية المشتركة التي
تستطيع منافسة مثيلاتها الأجنبية والتفوق عليها، ومن
المؤكد زيادة هذه القدرة بعد انضمام المملكة لمنظمة
التجارة العالمية.

تدور في فلكها عجلة العمل الإداري تجعلنا نبحت في
كيفية وضع آليات محددة ليست ببعيدة عن تراثنا
وثقافتنا وتقاليدنا نستطيع من خلالها تحقيق النجاح
المأمول، وتمكننا من تحقيق أهدافنا وطموحاتنا حتى
يظل عملنا مستمرا وتكون له أصالة وريادة في كافة
المجالات.

*** يكثر الحديث عن عصر العولمة والجات وإن
الجات بوابة العولمة تقتحم الحدود وتغني الحواجز فهل
عالمنا العربي والإسلامي مؤهل لذلك وما هي الخطوات
المدرسة لوضعنا على خارطة العالم اقتصاديا وتجاريا
وصناعيا؟**

**** اتجهت معظم الدول العربية والإسلامية حالياً
إلى اتباع سياسة الاقتصاد الحر، وبسبب التغيرات،
والتطورات الأخيرة للاقتصاد العالمي اتجهت معظم
الدول العربية والإسلامية لعمل بعض الإصلاحات على
أنظمتها الاقتصادية، وقادت هذه التطورات إلى
انضمام بعض هذه الدول الى منظمة التجارة العالمية،
وبعضها في طريقه للانضمام.
ونحن في المملكة العربية السعودية كجزء من**

*** بصفتكم نائب رئيس مجلس الغرف التجارية
الصناعية بالمملكة - ألم يحن الأوان لربط الغرف
التجارية العربية بعضها ببعض معلوماتيا للسماح
لرجال الأعمال على مستوى عالمنا العربي الاستفادة
من ذلك؟**

**** لقد مرت أكثر من أربعين سنة على إنشاء
اتحاد غرف التجارة والصناعة للبلاد العربية التي لعبت
دورا هاما في توحيد الصف، ودعم التعاون الاقتصادي
العربي، وكانت الفضاء الأرحب الذي يلتقي فيه
أصحاب الأعمال من كل البلدان العربية، وبفضل ما
يتوفر لدى هذه الغرف من كوادر بشرية مؤهلة،
وتجارب عميقة، تستطيع أن تمثل الإطار الأمثل لتدعيم**

●● التطور . . هو سمة من تراثنا وثقافتنا وتقاليدنا .

●● مجلة المنهل . . بنايها العريق وطرحها الجيد المتنوع نعمة منارة للعلم والمعرفة .

المنهل

مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن

طراً في عام ١٩١٧ تحول خطير في الدراسات الاستشرافية في بريطانيا حيث تولت الحكومة البريطانية امر اقامة مؤسسة اكااديمية في عاصمتها لندن لتنمية هذه الدراسات عُرفت باسم مدرسة الدراسات الشرقية لتؤكد مقولة ادوارد سعيد حول الارتباط التام بين الاستشراق والسياسة ولتعزز المقولة الثابتة (المعرفة سلطة - A Knowledge is Pow(er) [١].

التخلف لا يتفق وتعاضم المصالح البريطانية في الشرق. وارتأت اللجنة ضرورة اقامة مدرسة للدراسات الشرقية في لندن تكون منبثقة عن جامعة لندن، وتكون نواة هيئتها التدريسية من بين اساتذة الدراسات الشرقية في كلية الملك والكلية الجامعية. وقد تمت مناقشة التقرير في مجلس اللوردات، وعهدت الى لجنة جديدة برئاسة اللورد كرومر لاتخاذ الخطوات التنفيذية لاقامة هذا المشروع [٤]. وتم بالفعل استكمال كافة متطلباته من مبان وهيئات تدريسه وشخصيته القانونية [٥].

وصدر في حزيران عام ١٩١٦ مرسوم ملكي باقامة مدرسة للدراسات الشرقية [٦]. وقد افتتحت المدرسة في احتفال كبير حضره الملك جورج الخامس نفسه وذلك في ٢٣ شباط ١٩١٧ [٧]. وقد عكست الخطب التي القيت في هذا الحفل الاهداف التي اريد من اجلها انشاء هذه المدرسة. وهذه الخطابات هي:

١ - خطاب رئيس مجلس ادارة المدرسة السير

لعبت الجمعية الاسيوية الملكية التي تأسست عام ١٨٢٢ دوراً قيادياً في الدعوة لاقامة مدرسة لتدريس اللغات الشرقية في لندن على غرار المدارس التي اقيمت في بعض العواصم الاوربية كفرنسا والمانيا وروسيا وبدأت دعواتها تتحول الى تيار قوي ومؤثر مع اتساع المصالح البريطانية في الشرق، وازدياد حدة التنافس مع بقية الاقطار الاوربية على الاسواق والمستعمرات فيه، ولا سيما منذ بداية الربع الاخير من القرن الماضي. ونجد في كل الخطب الافتتاحية للمؤتمرات السنوية للجمعية الاسيوية ابتداء بعام ١٨٩٢ اشارات الى ضرورة اقامة مدرسة للدراسات الشرقية في لندن [٢].

الا ان الخطوات العملية لتنفيذ هذا المشروع بدأت مع تشكيل اللجنة المعروفة باسم (لجنة اللوردات) عام ١٩٠٧ من قبل وزارة الخزانة [٣]. وقد اصدرت هذه اللجنة في العام التالي تقريراً اكدت فيه على تخلف الدراسات الاستشرافية في بريطانيا مقارنة بما هي عليه اقطار اخرى كفرنسا وروسيا والمانيا. وان هذا



** الدراسات

الشرقية والأفريقية، أنشئت لتسهيل العملية الاستعمارية

مبني البرلمان وساعة بيج بن

جون هيويت J.P.Hewett [٨].

٢ - خطاب الملك جورج الخامس [٩].

٣ - خطاب اللورد كيرزن خليفة كرومر في رئاسة
اللجنة المشرفة على اقامة المدرسة [١٠].

ومن مقارنة الخطب الثلاث يتضح ما يأتي:

(١) اجمع الخطباء الثلاثة على ابراز مسألة

التناقض الكبير بين عظم مصالح بريطانيا في آسيا
وأفريقيا وقلة الاهتمام بالدراسات المتصلة بها،
والاقرار بالتفوق الاوربي (الفرنسي والروسي والالمانى)
على البريطانيين في حقل الدراسات هذه.

(٢) اكد كل من السير هيويت والملك على الاهداف
السياسية والاقتصادية الكامنة وراء انشاء هذه
المدرسة، فقد رأى الأول بأن هذه المدرسة ستقدم
مكاناً يتلقى فيه أولئك الموظفون الاداريون والعسكريون
الذاهبون الى مستعمرات بريطانيا في آسيا وأفريقيا
دروساً في لغات وآداب وأديان وعادات ابناء هذه
المستعمرات فتفوذهم وتأثيرهم انما نبع من درايتهم

بشخصية وافكار وأنظمة هذه الشعوب [١١]. كما لم
يغفل ان ينبه الى العامل الاقتصادي حينما يشير الى
ان حجم التبادل التجاري البريطاني مع الشعوب
الشرقية والأفريقية يتراوح بين مئتين الى ثلاثمائة مليون
جنيه سنوياً [١٢]. اما الملك فيلفت النظر الى اهمية
الفرص التي ستوفرها هذه المدرسة للبريطانيين في
الهند ومصر لممارسة الادارة بصورة جيدة كما انها
ستؤهل التجار والصناعيين البريطانيين تأهيلاً يمكنهم
من الحفاظ على مكانة التجارة البريطانية وسمعتها
الكبيرة في الشرق [١٣].

* معرفة عادات وانكار الشعوب تساعد المستعمر على تحقيق أقصى درجات الافادة من الدول التي يستعمرها *

الخالص للمدرسة حينما نبه الى ضرورة الاهتمام بالاداب واللغات الشرقية لذاتها لأن الادب والفن القديمين الهند بالغي الاهمية بالنسبة للانجاز الانساني بمجمله، وتمنى ان يبعث انشاء هذه المدرسة الاهتمام العام بالتراث الفكري لهذه القارة العظيمة، ولتحفيز ومساعدة الطلبة في جهودهم في حقل المعرفة هذا[١٧].

اما بالنسبة للموضوعات التي تقرر تدريسها في المدرسة فيوضحها المرسوم الملكي الذي ينص على ان هذه المدرسة «ستقدم دروساً في لغات الشعوب الاسيوية والافريقية، قديمها وحديثها، بجانب ادبها وتاريخها واديانها وعاداتها»[١٨]. وقد اكد كل من السير هيويت[١٩]، واللورد كيرزن[٢٠]، على هذا الاتجاه واستخدما لغة شديدة الشبه بما ورد في المرسوم.

وقد قسمت المدرسة الى سبعة اقسام وفق المجاميع اللغوية التالية:

المجموعة الاولى (لغات الهند القديمة)
السنسكريتية ولغة بالي.

المجموعة الثانية (لغات الشرق الاوسط).

- ١ - العربية وتتألف من: (أ) العربية الفصحى، (ب) العربية الدارجة (لهجات مصر وبغداد وبلاد الشام).
- ٢ - الفارسية.
- ٣ - التركية.

المجموعة الثالثة (لغات شمال الهند وشرقها وغربها) الهندوسية والهندية والمراثية والكوجراتية.

المجموعة الرابعة (لغات جنوب الهند) ١ - لغة التاميل والتلوكو - ٢ - التاميل والسنكاليس.

المجموعة الخامسة (لغات هندية اخرى، الملايو) ١ - البورمية - ٢ - الماليزية.

المجموعة السادسة (لغات الشرق الاقصى) ١ - الصينية: أ - الماندرانية - ب - الكانتونية.

٢ - اليابانية.

(٣) اكد الثلاثة على دور اساسي تلعبه المدرسة يتمثل بتعميق الصلات الثقافية مع المستعمرات البريطانية. وقد اختلفت طريقة التعبير عن هذه المسألة فيما بينهم. فالسير هيويت يأمل ان تصبح المدرسة مركز التقاء لعلماء الشرق بمختلف قومياتهم حيث ستوفر لهم الترحيب الحار والفرص الدراسية في اجواء من التعاطف الحميم[١٤].

اما اللورد كيرزن فيفصل في هذا الامر حينما يتأمل المدرسة وقد اصبحت «مركزاً لتبادل الافكار بين الشرق والغرب وجسراً بين عقل وشخصية بريطانيا العظمى وبين تلك الشعوب الشرقية بهدف ازالة ما علق بالاذهان من اخطاء انبثقت عن الجهل»[١٥] اما الملك فيشدد على دور المعرفة التي توفرها المدرسة لتغذية روح الولاء والمواطنة والالتحام لبناء الامم المختلفة التي تتكون منها الامبراطورية وثنى على ذلك فابرز اهمية الصلات التي ستخلقها المدرسة مع اليابان حليفة بريطانيا في حربها جند المانيا في تنمية روح التعاطف بين البلدين[١٦].

(٤) انقرد الملك بالاشارة الى الهدف الاكاديمي

البنية الأولى لمدرسة الدراسات الشرقية

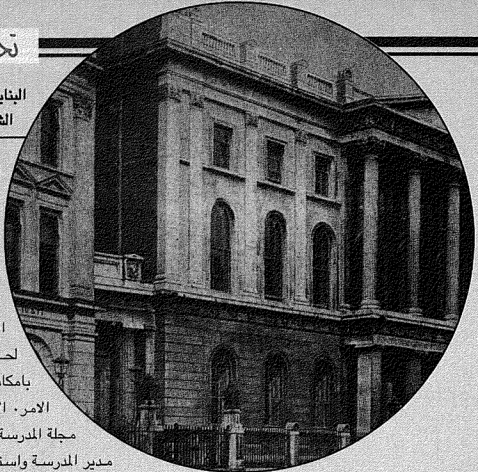
وأصبحوا مع بداية الفصل الثاني ١٢هـ طالباً [٢٧].

ولكن اذا كنا قد توقفنا امام افكار وتاملات مخططي مشروع المدرسة، فالسؤال الاهم هو ما هي حقيقة اهداف وخطط منفذيه؟ ولدينا لحسن الحظ نصان نفيسان بإمكانهما ان يستجليا بعض هذا الامر. الاول افتتاحية العدد الاول من

مجلة المدرسة كتبها السير دينسون روس مدير المدرسة وأستاذ الفارسية فيها، والثاني محاضرة للمستشرق توماس ارنولد بعنوان «دراسة العربية» القاها في الفصل الدراسي الاول (ايار ١٩١٧) [٢٨].

يتفق كلا الرجلين مع سابقهم في التأكيد على الجانب العملي لمهمة المدرسة فيستشهد الاول بنص مرسوم التأسيس الملكي الذي يؤكد بأن تأسيس المدرسة قد جاء لتلبية حاجات أولئك الذاهبين الى الشرق وأفريقيا لغرض البحث او التجارة او الوظيفة [٢٩].

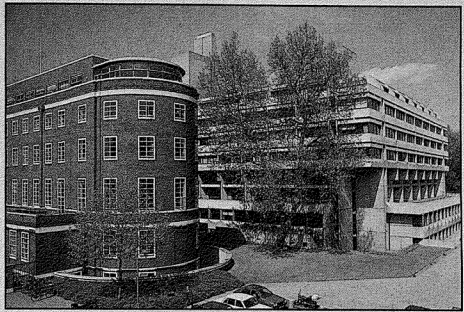
اما الثاني فينبه الى اهمية دراسة اللغة العربية لتزويد الموظفين البريطانيين في مصر والسودان وأفريقيا الوسطى وعدن وسواحل الخليج العربي والهند بالقدرة على اداء واجباتهم بصورة فاعلة [٣٠]. ويقتفي روس [٣١] وأرنولد [٣٢] اثار هيويت وكيرزن وجورج الخامس حينما يبنهان الى تخلف الدراسات الشرقية في بريطانيا مقارنة بأقطار اوروبية اخرى وكذلك في ضوء اتساع المصالح البريطانية في الشرق. والحل الوحيد برأيهما، لوضع نهاية لهذا التخلف



٣- التبتية.

المجموعة السابعة (اللغات الافريقية) ١ - السواحلية والبانتو - ٢ - الهوسا [٢٩]. وبالإضافة الى تدريس اللغات يتجه الاهتمام لدراسة موضوعات اخرى كعلم الصوت والادبيات والفلسفة الشرقية والادبيات الافريقية وحياة العائلة الشرقية، العادات والافكار الانسانية والقانون والتاريخ الهندي ونحو ذلك [٣٢] وقد جرى اختيار ادوارد دينسون روس مديراً للمدرسة واستأذاً لكروسي الفارسية فيها كذلك. كما نقلت هيئات اقسام اللغات الشرقية في جامعة لندن الى المدرسة باستثناء اقسام الاشوريات والمصريات والعبرية التي بقيت في الجامعة (٢٣) كما اسند كروسي العربية للمستشرق توماس ارنولد عام ١٩٢١ [٣٤] وكذلك نقل طلبة الاقسام الشرقية في جامعة لندن (باستثناء الاقسام المشار اليها) الى المدرسة وكان تعدادهم تسعة [٣٥] لكن افتتاح المدرسة رافقه تدفق الطلبة اليها فبلغ تعدادهم في الفصل الدراسي الاول ٧٥ طالباً [٣٦]

وشدد كلاهما، وفق ذلك، على الدافع الاكاديمي لانشاء (المدرسة) فقد نبه روس الى ان الاهداف العملية يجب ان لا تقف في وجه تطور الاهداف الاكاديمية الخالصة، فالنية متجهة لجعل (المدرسة) مركزاً للبحث الشرقي[٢٥].. اما ارنولد فيرى في تأسيسها فرصة كبيرة لتعديل الاثر الكنسي الطاغى والمضلل على المواقف الاستشراقية البريطانية



صورة تضم البنائتين القديمة والحديثة للمدرسة

عن الاسلام والحضارة، وكذلك قاعدة لقيام بحث اكااديمي منصف لهذا الدين الامر الذي لم يتحقق، برأيه، حتى ذلك التاريخ[٢٦].. ويكشف موقف ارنولد هذا عن اتجاه جديد في فهم الاسلام قوامه اشاعة روح من التعاطف والاحترام والتفهم.

ويأتي نقيضاً لرؤية ارنولد السابقة لدور المدرسة بوصفها مركزاً لتعامل جديد مع الاسلام، ابتهلت الاوساط التبشيرية البريطانية ان تكون هذه (المدرسة) سنداً قوياً لدعم حركة التبشير، فقد دبح المبشر المعروف سنتكثير تشدال[٢٧] مقالا مطولاً نسج فيه الامل على قيام المدرسة بدعم الحركة التبشيرية المحمومة في الهند وايران وبلاد المشرق العربي. لكننا نستطيع القول أنه في ظل وجود رجل مثل ارنولد في كرسي العربية وروس القليل الاكثارات بالامور الدينية في منصب المدير[٢٨]، فقد نأت المدرسة عن هذا الاتجاه لتتخذ لها طابعاً اكااديمياً مع اتصال وثيق بالسياسة البريطانية في الشرق.

الهوامش :

(١) A Hourani, Europe and the Mid-

انما يتمثل بربط دراسة اللغات الشرقية بالمقررات الاكاديمية الاخرى، واحياء الاهتمام بدراستها سواء من قبل الهواة أو على مستوى البحث الاكاديمي البالغ العمق[٢٣] وسنرى انه قد تمثل تماماً هذا الهدف وسعى طوال حياته الى انقاذ الدراسات الاستشراقية من وضعها الهامشي في الحياة الاكاديمية الاوربية وادراجها في التيار المركزي للحياة الفكرية التي انبثقت عنها اصلا[٢٤]..

**** تعميق الصلات الثقافية والفكرية مع المستعمرات البريطانية.**

**** الدراسات الشرقية تمثل سندا قوياً للمعمل الكني في الشرق.**

**** الدراسات الشرقية ساعدت على تعميق ثقافة ومضمار المستعمر.**

- Ibid., p.28 (١٦)
 Ibid., P.28 (١٧)
 Tisdall, The London..., P. 396- (١٨)
 397
 The Obening Ceremony, P.26 (١٩)
 Ibid., P.30 (٢٠)
 Tisdall, The London..., P.297 (٢١)
 Ibid., P.297 (٢٢)
 Hartog, The Origins.. P.20 (٢٣)
 Gibb, Sir T. W. Arnold, P26 (٢٤)
 Hartog, The Origins..., P.21 (٢٥)
 Tisdall, The London..., P.398 (٢٦)
 Hartog, The Origins..., P.21 (٢٧)
 Houroni, P. 108 (٢٨)
 E.D. Ross, Introduction, (٢٩)
 BSOS, 1917-1920 Vol. 1p.1
 T.W.Arnold, The Study of Ar- (٣٠)
 abic BSOS Vol.,1917-1920, P.114
 Ross Introduction,P.2 (٣١)
 Arnold The Study..., P.113-114 (٣٢)
 Ross Introduction P.2.; Arnold, (٣٣)
 The Study.. P.114
 Hourani, P.107 (٣٤)
 Arnold, The Study, P.114 (٣٥)
 Ross, Introduction, P.2 (٣٦)
 Tisdall, The London.. PP.399- (٣٧)
 400
 (٣٨) نوه أكثر من كاتب بشخصية روس غير الجادة
 والميالة للاستمتاع بالملذات.
 Anon, The Obituary E. D. Ross
 MW, 1941, Vol. 31, P.210
 H.A.R. Gibb, Edward Denison Ross
 1871-1940 JRAS, 1941, P.49
 dle East, (Oxford: 1908), P. 110
 P. J. Hartog, The Origins of the (٢)
 School of Oriental Studies BSOS,
 1917, 1920, Vol. 1,P.5-9
 Ibid., P.11 (٢)
 Hartog, The Origins..., P.12 (٤)
 Ibid., P. 13-19 (٥)
 W. St. Clair Tisdall, The london (٦)
 school of Oriental Studies MW,
 Vol. 7, 1917
 سجلت وقائع حفل افتتاح المدرسة ونشرت ضمن
 العدد الاول من مجلة المدرسة، انظر انناه.
 The Obening Ceremony, BSOS, (٨)
 1917-1920, Vol. 1, P.24-27
 Ibid., P.24-28 (٩)
 Ibid., P. 28-31 (١٠)
 Ibid., P.26 (١١)
 Ibid., P.26 (١٢)
 Ibid., P.27-28 (١٣)
 (١٤) لعل ذلك هو ما دفع الى اختيار روس مديرا
 للمدرسة وارنولد محاضراً فاستاذاً، فكلاهما معروفان
 بصداقاتهما الحميمة مع العلماء الهنود اثناء
 ممارستهما التدريس في الهند، الاول مديرا للمدرسة
 كلكتا والثاني مدرسا في علكيرة، بل ان ارنولد قد عمل
 بعد عودته الى بريطانيا مسؤولاً عن استقبال الطلبة
 الشرقيين وتسهيل مهمة التحاقهم بالجامعات
 البريطانية. ينظر: H. A. R. Gibb Sir To-
 mas Arnold, p.25 DNB
 وعن صداقة روس بالعلماء الهنود ينظر:
 Hasan Suhrawardy, Review of
 Ross's, Two Ends of the Candle,
 GRCAS, 1953, Vol. 30,p.324
 The Obening Ceremony, P.31. (١٥)

ماذا

تعلمنا

من الهجرة؟

إن حدث الهجرة النبوية سيبقى على مدى الأيام أهم ما في سجل التاريخ الإسلامي إلى جانب الأحداث العظام التي يحفل بها انطلاقاً من غزوة بدر الكبرى إلى فتح المداين وصولاً إلى فتح القسطنطينية وغيرها كثير... وبقاء هذا الحدث راسخاً في الذاكرة التاريخية ينبع من كونه يمثل بداية للنقطة الحاسمة التي عرفت بها الدعوة الإسلامية ومن ثم قيام الدولة العظيمة التي نشرت العدل والصلاح في كل الأفاق... ومن هنا نفهم موقف الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين اختار هذا الحدث ليكون بداية التقويم لتاريخ الأمة الإسلامية.

العذاب ويزيقونهم من ألوانه ما لا يطاق، فما كان عليهم إلا أن يفروا بدينهم وعقيدتهم إلى موطن يأمنون فيه على أنفسهم وأموالهم وأهليهم بعدما أذن لهم بذلك... فلم تكن تلك الهجرة خروجاً عادياً بسيطاً مجرداً من كل معنى عظيم، أو فراراً بالمعنى الضيق الذي يعبر عن الضعف والجبن، وإنما هي خروج قاصد موجه بكل المعاني الجليلة... فقد خرجت تلك الفئة المؤمنة المستضعفة تاركة الأرض والأموال والذكريات ولم تبال بشيء، لأن الهدف الذي تسعى إليه أسمى من أن يُعَيَم بشيء من عرض الدنيا الزائل... فهذا هو «صهيبي» - رضي الله عنه - يتنازل عن ثروته التي تعب في جمعها بعدما تعرض له عتاة مكة حين اكتشفوا أمر هجرته، فوقف لهم بثبات وخيرهم بين القتال حتى الموت أو أخذ ماله! حيث جردوه من كل شيء فجاء المدينة لا يملك شيئاً كعهده يوم كان عبداً لابن جدعان، لكن الثمن يأتي مضاعفاً مضاعفاً كثيرة، فينزل فيه قول الباري تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} (البقرة/ ٢٠٧).

أما أولئك الذين تقاعسوا وآثروا القعود خوفاً على

وستبقى ذكرى الهجرة - وإلى الأبد - ذلك ينبوع المتدفق بالدروس والعظات لكل مسلم يرنو إلى إقامة منهج دعوي تستبين من خلاله معالم الإسلام واضحة جلية في أفقها المستنير. وقد قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} (الأحزاب/ ٢١). فما أحوج المسلمين - وخاصة الدعوة منهم - إلى استلهام تلك الدروس في حياتهم والعمل على فهم تاريخ الدعوة الإسلامية في ضوءها ومن ثم الإنطلاق لتجسيد تلك الصورة الزاهية من الإخلاص والعمل الإيجابي في سبيل التمكين لدين الله تعالى.

ولأهمية تلك الدروس، فإننا سنحاول بسط الحديث عن بعضها من خلال هذه الوقفات المقتضية.

١ - التضحية :

كانت الهجرة - بالنسبة للرعيل الأول من المسلمين المهاجرين خروجاً من أرض الشرك والظلم والحصار، حيث يمارس صناديد الكفر تسلطهم وجبروتهم على رقاب المستضعفين من المؤمنين، يسومونهم سوء

عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم؟ من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد؟ من جاهد نفسه في طاعة الله. والمهاجر؟ من هجر الخطايا والذنوب» (رواه الامام أحمد في مسنده) ٠٠ وهل هناك معنى للتضحية يفوق تجرد الانسان من داعية هواه، وهجران ما حرمه الله مما تهفو إليه النفوس من شهوات ولذائذ، ثم الترقى في مدارج التزكية وصولاً إلى درجة من الاستقامة والصلاح تتحقق بهما التقوى؟

٢- التوكل على الله :

قد يتساءل كل مسلم وهو يستعيد تاريخ الدعوة الاسلامية وسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومنها حدث الهجرة، فيقول: ما الحكمة في كون الهجرة النبوية لم تتم بصورة خارقة كالاسراء والمعراج؟ إن الناظر المتبصر يلاحظ أن الهجرة تشكل نقطة

أموالهم وديارهم وممتلكاتهم ولم يستطيعوا التضحية في سبيل ما آمنوا به، فقد أتاهم الوعيد الإلهي الشديد في أسلوب تقريرعي قاس، فقال تعالى: [إن الدين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأنزلنا ماوأهم جهنم وساعت مصيراً] (النساء/٩٧).

وهكذا فقد كانت الهجرة تجسداً عملياً لمعنى التضحية في أجل صورها وأعلى مراتبها، أما وقد انقطعت بعد ما جاء نصر الله والفتح، فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد جلى للمؤمنين صورة أخرى لا تقل عنها قيمة، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا» (رواه البخاري)، وبذلك فالخير الذي انقطع بانقطاع الهجرة - كما قال الامام النووي - يمكن تحصيله بالجهاد والنية الصالحة. «والحديث الشريف حين ينفي الهجرة بعد الفتح فإنه ينفي كل الأسباب التي أدت إلى الهجرة قبله، ويشير إلى ما يجب أن تكون عليه الأمة الاسلامية من القوة والاعداد للجهاد في كل وقت حتى تدفع عن أرضها الغزاة» [١].

إن توقف الهجرة بمفهومها الشرعي بعد فتح مكة لا يلغي مشروعية هجرة المراء في سبيل المبدأ الذي يؤمن به قراراً من البغي والطغيان، أو هجرته لطلب العلم والتفقه في الدين ٠٠ أما هجرة الذنوب والمعاصي بالتوبة إلى الله فهي الهجرة الدائمة المستمرة دون انقطاع بحيث لا يشملها الحديث السابق، فقد روي

**** الهجرة المباركة نقلة حضارية كبرى قاصدة الى الحق .**
**** التضحيات التي صاحبت الهجرة نابغة من قلوب عُمَرها الإيمان .**

الهجرة المباركة صياغة جديدة لإنسان جديد ومجتمع جديد

خلاله الأهداف، التخطيط والعمل في إطار منظم. . . ففي ميدان القتال أمر الله سبحانه بأعداد القوة في مواجهة الأعداء، فكان ذلك إشارة ربانية إلى أهمية رسم الخطط التي توجه مسار العمل وتنضبطه.

وقد برزت معالم التخطيط والتنظيم في الهجرة النبوية واضحة من خلال مجموعة من التدابير التي اتخذت من أجل أنجاحها، ومن ذلك:

أ - احاطة الأمر بالسرية التامة حتى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) خرج إلى أبي بكر مقنعاً [٢] في الظهيرة على غير عادته ليخبره أنه قد أذن له في الخروج.

ب - نوم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في فراش النبي (صلى الله عليه وسلم) لإيهام أولئك المتربصين عند الباب في انتظار الفرصة للانقضاض عليه (صلى الله عليه وسلم)، مع تكليفه برد بعض الدوائع التي بقيت عند الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى أصحابها.

ج - تكليف عبد الله بن أبيقظ - وهو من المشركين - ليكون دليلاً في الطريق باعتباره غير مسلم من جهة، مما يبعد عنه كل الشكوك، وباعتباره خريئاً بدروب الصحراء خبيراً بمعرفة مسالكها من جهة أخرى، مما يجعل الرحلة آمنة ويسهل مهمتها.

د - تكليف عبد الله بن أبي بكر بمهمة نقل أخبار قريش إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ورفيقه، مع الحرص على إخفاء آثار أقدامه بغنم أبي بكر من طرف عامر بن فهيرة مولي أبي بكر.

هـ - اللجوء إلى الغار والمكوث فيه لمدة لا تقل عن

تحول أساسية في مسيرة الدعوة، قفزت بها من مرحلة الكمون والحصار إلى مرحلة الذبوع والانتشار، ولعل تحولاً كهذا يستدعي لكي يؤتي ثماره الناضجة أن تتوفر له عزيمة قوية واستعداد جدي يرسم مساره الحقيقي والصحيح. لأن العمل الإيجابي والقادر على البناء والنهوض لا بد أن يسبقه عزم وتصميم. . . فهو علم وعمل، تخطيط وبناء، نية وجهاد. . . إنه تجسيد عملي لمعنى التوكل الإيجابي الذي يحقق الهدف ويمهد الطريق نحو النجاح.

وحدث الهجرة يزكي هذا المبدأ ويجسده بشكل رائع، فقد كان من الممكن أن لا يعاني رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

في رحلته إلى المدينة كل ذلك العناء، بدءاً من خروجه خفية تحت جنح الظلام إلى مطاردته على امتداد الصحراء القاحلة إلى اختبائه في الغار. . . فكل هذا التعب والعنت لم يأت عبثاً، بل جاء ليؤكد بأن لا مجال للخوارق والمعجزات عند الانطلاق لارساء مبدأ أو تبليغ رسالة أو نشر فضيلة، فذلك كله منوط بالارادة الإنسانية في التغيير.

«فلقد ذاق محمد (صلى الله عليه وسلم) النصر بعد مرارة الصبر والكفاح والنضال، وكان ربه قادراً على عصمته من أذى الناس إلا أنه جل شأنه أراد به ذلك حتى يفتح أعين الذين آمنوا على سنته في خلقه، فلا يفتروا بانتسابهم إلى الاسلام من غير جهاد، أو يستسلموا إلى الوهن وهم يحسبون أنهم على ربهم يتكولون» [٢].

٢ - التخطيط والتنظيم :

من موجبات التوكل الإيجابي الذي نتحقق من

ومن تلك الصور المعبرة، ما لقيه بعض المسلمين في هجرتهم، كما هو الحال بالنسبة لأم سلمة - رضي الله عنها - فبعد أن عزمتم وزوجها الخروج إلى المدينة اعترض طريقها نفر من قومها - بني المغيرة - لمنعها من صحبة زوجها في رحلته، ثم ما لبث أن ظهر رهط من قوم الزوج - بني عبد الأسد - وقد عزموا على أخذ الابن «سلمة» والاحتفاظ به، مما أدى إلى نشوب عراك تجاذب خلاله الفريقان الابن الصغير حتى خلعت ذراعه ليظفر به بنو عبد الأسد في النهاية... وهكذا يهاجر الزوج وحده، وتفقد الأم وحدها تلك الصورة الوحشية، لتبقى هي أسيرة أهلها تجتر الآلام وتتجرع الغصص، ولا من مؤنس لها سوى إيمانها الصادق وثقتها برحمة الله الواسعة وقوة جلداه... وفي غمرة الأسى تمضي المسكينة قرابة عام على تلك الحالة البائسة على أن الفرج ما يلبث أن يأتي، فيعاد إليها ابنها ويسمح لها بقيتها بالحق ببعلها... فتطلق إلى شاتها وقد غمرت السعادة قلبها المفجوع، وقد زادها ذلك قوة في الإيمان والصبر والصمود.

فهذه الصورة إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الإنسان المؤمن في سعيه أداء رسالته لا يأبه لما يعترض سبيله إلا بالقدر الذي يعينه على تقوية إيمانه وشحن عزيمته في سبيل الانتصار للحق وإعلاء كلمته.

هـ - الإيمان بالنصر :

إن المسلم مطالب بأن يعيش في كنف دينه وعقيدته يدافع عنها ويزود عن حياضها ما وجد إلى ذلك سبيلاً، وهو على

ثلاث لئال يهدف تضليل القوم وممارسة الضغط النفسي عليهم.

على أن حديثنا عن كل هذه العناصر التي ساهمت في انجاح الهجرة كحدث خطط له بشكل جد منظم، لا ينبغي أن ينسبنا - وما يكون لنا أن ننسى - فضل العناية الربانية التي أحاطت بهذه الرحلة المباركة وتجلت في كل خطوة من خطواتها.

٤ - الصبر وقوة الإرادة :

من الطبيعي أن يتعرض الإنسان للإبتلاء وأن يواجه ألواناً من المصاعب في حياته، والمسلم - كغيره - معرض لذلك في سعيه الدائب لأداء رسالته ومواجهة الباطل وجهاد الأعداء في سبيل إرساء دعائم وإقامة شريعته، ولعل ما يميزه عن غيره، أن ذلك يزيده قوة وصموداً واستعلاء، في حين لا يزيده الآخرين إلا ضعفاً وهواناً... وذلك ما وضعه النبي (صلى الله عليه وسلم)

في حديثه عن هذه الحالة العجيبة حين قال عليه الصلاة والسلام: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» (رواه مسلم).

وعلى امتداد مسيرة الدعوة الإسلامية، كانت تتجلى صور رائعة تعبر عن هذه الحالة الفريدة في حياة المسلمين، وخصوصاً تلك الفئة المستضعفة من المؤمنين الذين واجهوا الطغيان والكفر بإيمان قوي وصمود مستميت وعزيمة لا تلين، حتى تحقق لهم النصر والتكهن... فكانوا بذلك نماذج شامخة يعز أن تجد لها مثيلاً.



* * الاحتفال

**بالهجرة ينبغي
أن يكون احتفالا
بتجليات ذلك
الحدث العظيم.**

* * هذه

**الاحتفاليات
تكشف عن أزمة
عميقة في
مستوى الوعي
بموجبات
الهجرة
المباركة.**

إيمان قوي ويقين ثابت أن
المستقبل لدينه وأن
النصر لابد أن ما دام
يجاهد ويدعو وينصر [إن
تنصروا الله ينصركم
ويثبت أقدامكم]
(محمد/٧).

وإذا كان الإيمان
بالنصر عنصراً أساسياً
في تقوية صلة المؤمنين
بدينهم وعقيدتهم، فإنه
يجب أن يستمد قوته من
الواقع ويبنى قناعاته على
أسس متينة تؤخذ فيها
بعين الاعتبار شروط

النصر ومقدماته... وهذا هو الإيمان الذي يصوره
حادث الهجرة في كل لحظة من لحظاته التاريخية.

فحين علمت قريش بفشل المؤامرة التي حاكها
كبرائها للتخلص من النبي (صلى الله عليه وسلم)،
قامت بجعل مائة ناقّة لمن يأتي به عليه الصلاة
والسلام، حيث رشح أحد الفرسان - سراقه بن مالك -
نفسه لتلك المهمة طمعاً في تلك الجائزة المغرية...
وإثناء بحثه تمكن من العثور عليه وصاحبه، فأخذ يعدو
بفرسه للحاق بهما، ولكن شيئاً غريباً لم يكن يتوقعه،
بدأ يحدث في تلك اللحظة، ففي كل مرة يتعثّر به فرسه
فيسقط بقوة، ثم ما يكاد يمتطيه حتى يتكرر الأمر،
عندها أيقن أنه لابد هالك، وبدأ يخالجه شعور يفرض
عليه أن محمداً مؤيد بقوة تتولاها بعناية خاصة، فلا
يتمالك نفسه لينادي بأعلى صوته: يا رسول الله...
يا رسول الله... طالباً الأمان، وقد أيقن تماماً أن هذا

الذي يطارد نبي مرسل سيكون له شأن عظيم...
والمهم في هذا كله أن رسول الله (صلى الله عليه
وسلم) بعد أن أعطاه الأمان وعده بسواري كسرى بن
هرمز ملك الفرس... وهو وعد يحمل دلالة قوية على أن
الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان مؤمناً بانتصار
الاسلام وهو في تلك اللحظة الحرجة من تاريخ الدعوة،
وكان موقناً أن المستقبل - كل المستقبل - لهذا الدين
ودعوته الخاتمة.

٦ - الاعتماد على الشباب :

في تتبعنا لحادث الهجرة نلاحظ أن مجموعة من
الأشخاص كان لهم دور كبير في نجاحها، وكان
أغلبهم من الشباب الواعد، ومنهم علي بن أبي طالب
وعبد الله بن أبي بكر وعامر بن فهيرة وأسماء بنت أبي
بكر.

فهذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهو
أول من أسلم من الصبيان - يعرض نفسه لخطر هائل
حين يقبل بشجاعة فكرة النوم في فراش النبي (صلى
الله عليه وسلم) بينما القوم ينتظرون بالباب للفتك به...
أما الصديقة بنت الصديق - رضي الله عنهما - فمازال
اسم «ذات النطاقين» شاهداً على دورها الكبير في هذا
الحادث المبارك، فهي التي كانت تعد الطعام وتحمله
إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأبيها وهما بالغار
كل يوم إذا ما جن الليل... وهي التي جاءها أبو جهل
ليسألها بفظاظة عن مكان أبي بكر فتتكر في قوة،
فيحمله إنكارها على لطمها حتى هوى قرطها من شدة
اللطة وسالت الدماء من أذننها.

إن مثل هذه الصور المجيدة تدل على صدق
الجهاد وقوة العزيمة والتمسك بالحق مهما طغى
الباطل، إذا أضيفت إليها صور كل أولئك الذين

بها المسلمون معها، تكشف عن أزمة عميقة في مستوى الوعي التاريخي، بحيث يمر الحدث بكل حمولته الروحية والمادية، مجرداً من كل معنى، ليتحول إلى «واقعة تاريخية» عابرة تقدم في شكلها السكنوي الجامد... وتقرأ بمعزل عن مضمونها الحضاري، الذي كان من الضروري أن يتعامل معه عقل المسلم ووجدانه كأساس لتكوين رؤية منفتحة على تجربة النبوة وعطاءاتها، ثم اتخاذا كمعيار للتصحيح والتقويم.

إن الواقع الاسلامي المعاصر بكل سلبياته، وما يعيشه من أزمات، وما يعرفه من نكسات، انما هو انعكاس لقصور عميق في التجاوب مع هذه التجربة وعدم القدرة على استثمار عطاءاتها بالشكل الذي يتم فيه تنزيل قيمها ومعاييرها لتتفاعل في اطار ممارسة عملية تضبط من خلالها سيرورته الاجتماعية وتحولاته الفكرية والاقتصادية والسياسية ليفصح عن اسلاميته بطريقة أكثر ايجابية.

وإذا كانت الهجرة النبوية - كما قلنا - غيضاً من فيض هذه التجربة الفريدة، فإن واقع المسلمين بكل ملابساته الراهنة - إذا حاولنا استنطاقه للاجابة عن السؤال السابق - يخبرنا بكل مرارة أننا لم نلتعلم شيئاً، سواء من الهجرة كحدث خاص، أو من تاريخنا المليء بالدروس والعظات والعبر... وتلك هي الكارثة!!

الهوامش:

- (١) محمد الدسوقي «الهجرة في القرآن» سلسلة اقرأ ، ع ٣٣٨ (فبراير ١٩٧١)، ص ١٢٢.
- (٢) مجلة الرسالة، ع ٨٦١، ص ٣٤ (نقلا عن المصدر السابق) ص ١٣٢.
- (٣) سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ١٢٩.

ساهموا في هذه الرحلة المباركة تشكيلات سلسلة من الصمود والتضحية والبطولة في سبيل العقيدة، أبطالها كوكبة من الشباب الذين آمنوا بالدعوة الجديدة وناضلوا من أجلها بكل ما أوتوا من قوة وعنفوان... وكلها صور لها دلالات واضحة على أهمية الشباب كقوة استطاع الاسلام استثمارها والعناية بعطاءاتها بالشكل الذي تستفيد منه الأمة الاسلامية... لأن الشباب هم قوام كل أمة ومناط عزتها وعماد قوتها وأساس كل بناء نهضوي تطمح إليه.

خاتمة:

بعد هذا العرض السريع لجملة من الدروس والعبير التي يطفح بها حادث الهجرة والتي نعتبرها قطرة من معين النبوة وذرة من نور سراجها الوهاج... نأتي الى السؤال الذي جعلناه عنواناً لهذا المقال: ماذا تعلمنا من الهجرة؟ لنجد أنفسنا كلما حلت هذه الذكرى العطرة بكل دلالاتها العظيمة ومعانيها الخالدة، ونحن نحاول الاجابة عنه، أمام واقع كل قسماته توجي بأنه لا يتجاوب بأي شكل من الاشكال مع معطيات التجربة النبوية كما جسدها هجرته (صلى الله عليه وسلم) من مكة إلى المدينة، إلا بالقدر الذي نعتبر فيه فرصة لاستعادة ذكريات الماضي واسترجاع أمجاده الخالدة، بصورة احتفالية صامتة لا تعبر عن ممارسة فعلية للقراءة الواعية المستوعبة للحدث في تجلياته التاريخية وما يقدمه من إحياءات تتكامل داخلها عطاءات التجربة الاسلامية ببعديها الروحي والمادي، بحيث تشكل في النهاية محفزاً لاعطاء التاريخ فاعليته الآتية كعنصر للوعي بالواقع، يمكنه أن يساهم في تقويم النظرة إلى الذات... فالمقارنة بين ما تقدمه الهجرة النبوية من دروس وعبر، والكيفية التي يتعامل

تحية العام الهجري الجديد

هي الأيام يزجيها القضاء
يريك الحق مبسوطاً صريحاً
ويصرعها بأيته الفناء
ويحصي الظالمين ومن أساعوا
نعيد حسابها فينا ونحصي
تجد عهداً من التقوى عليه
وما للمرء في الغيب اجتلاء
جلال الدين جملة البهاء
فكم ذهبت بأمال وولت
وكم في طيها كان العناء
تجد عهد النبي وخير صحب
بربك لا تقل ذا العام ولّي
رجال في شريعته أضاءوا
وقل ماذا يخبئه القضاء
تجافوا عن مضاجعهم ونادوا
وماذا طي أيام ستأتي
لدين الله فامتد النداء
تجد للهجرة السما ضياء
أسعد في جبينك أم شقاء
ونوراً قد أمدته السماء
تأمل ماضي الأيام واحكم
تجد نور الهداية ليس يخبو
وسل تاريخها عما تشاء
به للاجئين بدا احتماء
كتاب لا يضل ولا يحابي
إليه أسرع أم فلاق
هو التاريخ شيمته الوفاء
سلاماً ما لغايته انتهاء



محمد عبدالعزيز الحلواني - مكة المكرمة

فلبوا داعي الحق امتثالاً
وابعوا كل غالية وجاعوا
إذا ما السلم ساد تقى وزهد
وعند الروع أسد بل قضاء
فمن لي بالزمان يعيد عهداً
له في نصرة الدين اقتداء
ومن كانوا لدين الله عوناً
وللدنيا عفاة أتقياء
رجال قد بنوا للدين مجداً
رفيعاً لا يطاوله علاء
وصانوا الدين من بدع تمشت
بجوهره وقد عز الدواء
فهم للخطب إن وجدوا رجال
وهم للدين إن نهضوا وقاء
رجال ليس تلهيهم حياة
ولا جـاه لديهم أو ثراء
هم القوم الأولى شادوا دياراً
فقر الصرح وارتفع البناء
إذا رددت ذكراهم فإنني
أردد عزمة فيها المضاء
أتى من بعدهم خلف أضاعوا
أصول الشرع في الدنيا وساعوا
أبوا للدين أن يعلو مقاماً
وهاموا بالذي فيه البلاء
وقد ملأ القلوب الغلُّ حتى
فقدنا الحق وانقطع الولاء
تركنا النشء حراً لا يبالي
وليس له إلى الدين انتماء
وكيف يعز في الدنيا شقي
جفاه الدين فازداد العناء
كذلك من يعيش بغير دين
تبدد شمله وذوى الحياء

حواء (عليها السلام)

ونقل الطبري [٦] عن ابن اسحق قال: ألقى على آدم (صلى الله عليه وسلم) - السنة - فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم، عن عبد الله بن العباس وغيره، ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه، من شقه الأيسر ولأم مكانه، وأدم نائم لم يهب من نومه، حتى خلق الله - تبارك وتعالى - من ضلعه تلك زوجته حواء، فسواها امرأة ليسكن إليها، فلما كشف عنه السنة وهب من نومه، رآها إلى جنبه، فقال: - فيما يزعمون والله أعلم - لحمي ودمي وزجتي فسكن إليها.

قال ابن كثير: [٧] ويقال إن خلق حواء كان بعد دخول الجنة، كما قال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة، وعن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم الجنة، فكان يمشي وحشاً ليس له زوج يسكن إليه، فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة، خلقها الله من ضلعه، فسألها من أنت؟ قالت: امرأة، قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إلي، قالت الملائكة: ينظرون ما بلغ علمه - ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء، قالوا: ولم سميت حواء؟ قال: إنها خلقت من شيء حي.

وقال ابن كثير في قوله تعالى: (وخلق منها زوجها) وهي حواء - عليها السلام - خلقت من ضلعه الأيسر، من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فأراها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه. وعن قتادة عن ابن عباس قال: خلقت المرأة من الرجل، فجعل نهمتها في الرجل، وخلق الرجل من الأرض، فجعل نهمته في الأرض، فاحبسوا نساكم.

وقال القرطبي: روى أن الملائكة سألته لتجرب علمه قالوا: أتحبها يا آدم؟ قال: نعم، قالوا لحواء: أتحيته يا حواء؟ قالت: لا، وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من حبه، قالوا: فلو صدقت امرأة في حبها لزوجها لصدقت حواء. وقال الشاعر:

**هي الضلع العوجاء لست تقيمها
إلا أن تقويم الضلوع انكسارها**

فيما سبق - في القصص النبوي عن آدم - عليه السلام - ذكرت حواء جنباً إلى جنب معه، ولكن هنا نريد أن نذكر ونؤكد على بعض الجوانب التي تحتاج إلى توضيح يذكر الآثار التي جاءت عن السلف من المحدثين والمفسرين وغيرهم في رحاب القرآن الكريم وقصص السنة المطهرة.

فحواء خلقت من ضلع آدم الذي خلقه الله وسواه ونفخ فيه من روحه، ويجدر بالذكر أن في خلقهما أعظم آيات الله، حيث خلق آدم - من غير أب ولا أم، وخلقت حواء من أب دون أم، ثم خلق عيسى - عليه السلام - من أم دون أب. وقال تعالى: [ذلك نتلوهُ عليك من الآيات والذكر الحكيم. إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون. الحق من ربك فلا تكن من الممترين] [١].

وأشرنا إلى ذلك لأنه من الأمور المهمة في العقيدة الإسلامية، وبما يتصل بالبعث وأمر الآخرة والآيات في ذلك كثيرة: (فانظروا كيف بدأ الخلق) [٢] وقوله تعالى: (كما بدأنا أول خلق نعيده) [٣].

وقد قص علينا القصص النبوي خلق حواء من ضلع آدم في أحاديث صحيحة، روى البخاري [٤]، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء) وفي رواية (٠٠) واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً).

وجاء في الطبقات الكبرى [٥] عن مجاهد قوله: (وخلق منها زوجها) قال: خلق حواء من قصير آدم (صلى الله عليه وسلم) والقصيرى الضلع الأقصر، وهو نائم فاستيقظ فقال: أئاً! امرأة بالنبيطة.



بقلم: أ.د. عبد الباسط أحمد حمودة - مصر

اتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى ليس عجيبا ضعفها واقتدارها

حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة، ونزع العرق، فلا تكاد تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش، حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة، وحسنت لآدم عد ذلك خيانة له وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها.

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لعائشة حين حاضت في الحج فبكت: (.. فلا يضيرك، إنما أنت امرأة من بنات آدم، كتب الله عليك ما كتب عليهن) [١٢]. وكانت حواء تحمل في كل بطن ذكرا وأنثى. وأنها ولدت أربعين ولدا في عشرين بطناً، وقيل مائة وعشرين بطناً، وكل واحد ذكر وأنثى، أولهم قابيل وأخته قليما، وآخرهم عبد المغيث وأخته أمة المغيث [١٣]. وقال الشوكاني: إن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وأنثى إلا شيئا - عليه السلام - فإنها ولدت مفردا [١٤].

وقد تقدم أن حواء ماتت بعد آدم بسنة واحدة. ولم نقف على أقوال العلماء في تحديد عمر حواء، فهي خلقت من ضلعه وهو في الجنة، ولا ندري كم مر عليه من العمر قبل خلقها، والله أعلم.

الهوامش:

- (١) سورة آل عمران آية ٥٨ - ٦٠.
- (٢) سورة العنكبوت آية ٢٠.
- (٣) سورة الأنبياء آية ١٠٤.
- (٤) فتح الباري ج ٦ ص ٣٦٣ وج ٩ ص ٢٥٣.
- (٥) ابن سعد ج ١ ص ٢٩.
- (٦) تفسير الطبري ج ٣ ص ٥٦٦.
- (٧) تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٠٨، ص ٥٨٥.
- (٨) فتح القدير ج ١ ص ٩١.
- (٩) الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٣.
- (١٠) فتح القدير ج ٢ ص ٢٤١.
- (١١) المرجع السابق ج ١ ص ٩٢.
- (١٢) فتح الباري ج ٣ ص ٤١٩.
- (١٣) ابن كثير: قصص الأنبياء ص ٥٢.
- (١٤) فتح القدير ج ٢ ص ٢٩.

وقد تقدم - في الحديث عن آدم - في القصة المروية عن أنس - رضى الله عنه - عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وفيها: (هبط آدم وحواء عريانين جميعا... وكان آدم لم يجمع امرأته في الجنة، حتى هبط منها للخطيئة، التي أصابها بأكله الشجرة، وكان كل واحد منهما ينام على حدة، ينام أحدهما في البطحاء، والآخر من ناحية أخرى، حتى أتاه جبريل فأمره أن يأتي أهله، وعلمه كيف يأتيها، فلما أتاه جاءه فقال: كيف وجدت امرأتك؟ قال: صالحة) قال الشوكاني: [٨] وأخرج ابن عدى، وابن عساكر، عن النخعي قال: لما خلق الله آدم خلق له زوجة، بعث إليه ملكا وأمره بالجماع ففعل.

ونقل القرطبي في تفسير قوله - تعالى - (وجعل بينكم مودة ورحمة) قال ابن عباس ومجاهد: المودة الجماع، والرحمة الولد، وقاله الحسن [٩].

قال الشوكاني: ثم ابتدأ سبحانه بحالة أخرى كانت بينهما في الدنيا، بعد هبوطهما، فقال: (فلما تَغَشَّاهَا) والتغشي كناية عن الوقاع: أى فلما جامعها (حملت حملا خفيفا) علقت به بعد الجماع [١٠].

وقد سبق الحديث عن ذلك في ذرية آدم على الأرض مع شيء من التفصيل.

وكانت حواء تعاني من الحيض والحمل والولادة: لأن حواء هي التي زينته لآدم الأكل من الشجرة أخرج [١١] ابن منيع، وابن المنذر، وأبو الشيخ، والحاكم، وصححه البيهقي في الشعب، عن ابن عباس قال: قال الله لآدم: ما حملك على أن أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: يارب زينته لي حواء، قال: فإني عاقبتها بأن لا تحمل إلا كرها، ولا تضع إلا كرها، وأدميتها في كل شهر مرة... وغير ذلك مما تقدم ذكره في عداوة إبليس.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزويجها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس



الشيخ محمد بن صالح العثيمين

لقد انتفع الشيخ رحمه الله أيما انتفاع بما يسره الله له من نهل للعلم وفهم لمقاصد الشريعة الإسلامية حتى صار علماً من علمائها يدرس ويحاضر في علوم القرآن الكريم والحديث النبوي والفقه وفروع الثقافة الإسلامية، وقد فتح الله سبحانه وتعالى عليه لما بذله من جهد في التعلم وجهاد في التعليم، ونحسب أن ذلك يجعله من العلماء العاملين المجاهدين المهديين الذين قال الله فيهم: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين».

وفي سيرته العلمية رحمه الله مثال فذ وشاهد كبير على أهمية طلب العلم والجد في تحصيله حيث كان في ذلك نفع له أولاً في تقواه وفي ورعه وفي خلقه، ومن ثم نفع لغيره من طلبة العلم الذين تتلمذوا عليه وأخذوا عنه في علوم الشريعة وغيرهم من عامة الناس الذين كانوا يتحلّقون في حلق العلم التي كان رحمه الله يقيمها في المساجد وفي الجامعات والمعاهد والمدارس والمؤسسات الإسلامية والهيئات الدعوية، وقد استفاد الناس داخل المملكة وخارجها من علمه الغزير حيث كانوا يستمعون طيلة عقود من الزمن لفتاويه وإرشاده وتوجيهه في المذايح ويقرأونها كذلك في الصحف والمجلات والنشرات الدعوية ثم في كتبه ورسائله القيمة التي كانت من الثمار الطيبة لعلومه وأدبه وجده في المبادرة للقيام بما كلف الله به العلماء من دعوة الناس وتقفيهم وحثهم على تطبيق الإسلام في حياتهم.

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الله، وعلي آله وصحبه ومن وآله، وبعد: فقد قال الله تعالى: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً}، وأدعوه تعالى أن يجعل فقيدنا العلامة الجليل الشيخ محمد بن صالح العثيمين من هؤلاء المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فقد كانت حياته رحمه الله وغفر لنا وله زاخرة بالعلم والتعليم والدعوة إلى الله من خلال التدريس في المساجد والجامعات والمعاهد والمؤسسات التي شهدت دروسه الكثيرة ومحاضراته القيمة، ومن خلال وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وكان رحمه الله متصفاً بأخلاق العلماء في التواضع وتجنب التعصب والحرص على الوقوف على الحق واتباعه ومتابعة من سلف من علماء الأمة وفقهائها ودعاتها، ونحن لا ننكي على الله أحداً بل الله يزكي من يشاء، فالشيخ رحمه الله اجتهد في التعلم والتعليم، والتفقه والتفقيه، وقد أخبرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

ولا شك في أن التحصيل العلمي الذي وفقه الله إليه كان له أثر كبير في حياته يحفزّه إلى ذلك ترغيب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في قوله: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة».



بقلم: أ.د. عبدالله بن عبدالحسن التركي

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة

أما في حياة الخلق فقد حرص رحمه الله على صحة البناء الاجتماعي للمسلمين وكان يعتبر ذلك من أولويات عمل الداعية ومتابعته، ولعله رحمه الله تعالى وجد في قضايا الحقوق وتعليمها للناس والتأكيد عليها في المحاضرات والدروس والكتب والمواظب خير وسيلة لصيانة البنيان الاجتماعي في البيئة الإسلامية وفي حياة المسلمين ملاحظاً كذلك أن الحديث عن الحقوق يفرض الحديث عن الواجبات لما بين الحق والواجب من اقتران في الشريعة الإسلامية، ويتضح اهتمامه في هذا الجانب الأساسي من حياة المسلمين في كتابه (حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة) الذي بدأه ببيان حقوق الله ورسوله على المسلم ومن ثم أبان رحمه الله الحقوق الأخرى التي تصون البنيان الاجتماعي للمسلمين مثل حق الوالدين وحق الأولاد وحق الأقارب وحق الزوجين وحق الجيران وحقوق المسلمين بعمامة ثم حقوق غير المسلمين.

لقد انتهج الشيخ ابن عثيمين رحمه الله منهاج علماء السلف في أعماله العلمية ونهجه الدعوي وطرق التربية والتعليم الأخلاقي، ومن عرفه عن كتب عرف في منهاجه ما كان عليه سلف الأمة، ولعل أبرز الملامح في منهاجه رحمه الله:

- حرصه الشديد على التقيد بما كان عليه السلف الصالح في الاعتقاد علماً وعملاً ودعوة وسلوكاً وذلك مقترن بالتفكير والتحذير مما يخالف ذلك.
- الحرص على صحة الدلائل وصواب التعليل ووضوحه ومناسبته.
- الربط بين العمل الدعوي والتقعيد الفقهي ضماناً لسلامة أعمال الدعوة وما يضعه الدعاة بين أيدي الناس من كتب ومذكرات وغيرها.
- العناية بمقاصد الشريعة الإسلامية وقواعد الدين لأن ذلك مناط الحكم الإسلامي الذي أمر به الله سبحانه وتعالى.
- الاعتدال والتوسط في المنهاج والسلوك والفهم والتقيد في ذلك بما كان عليه السلف الصالح.

لقد كان رحمه الله باراً بإخوانه المسلمين، يبذل كل ما في وسعه لتعليمهم وتقريبهم والإحسان إليهم، طاعة لله في تفقيه الناس وأداء لأمانة العلم «إنما يخشى الله من عباده العلماء» وكان للجهود التي بذلها رحمه الله في الدعوة إلى الله ونشر العلم الشرعي الصحيح بين المسلمين إسهام كبير في توجيه الناس إلى عبادة الله على الوجه النقي والحال الصحيحة بعيداً عن أشكال البدع والضلالات، أو الإفراط والتفريط، حيث كان رحمه الله تعالى يحذر من الجنوح إلى أحدهما، وله العديد من المواقف التي انبثقت عن فهم صحيح للإسلام ووسطيته ومنهاجه العادل، وعن فهم سليم لمهمة العالم الداعية، وهذا الفهم لمقاصد الدعوة جعل منه العالم الذي يحرص الناس على الاستفادة من علمه، فكان كبيراً في عيونهم، رفيع القدر عندهم [يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات].

لم يكن فضيلة الشيخ بالواظ بالمترجل بقدر ما كان رحمه الله عالماً وداعية ذا منهاج واع استوعب احتياجات المسلمين، وحدد الموضوعات التي تحتاج إلى معالجة بحسب أولوياتها معتبراً أن نشر عقيدة أهل السنة والجماعة في مقدمة مهام الداعية في هذا العصر لأهميتها في حياة المسلم وأخرته، كما أشار رحمه الله في مقدمة كتاب (عقيدة أهل السنة والجماعة) ولا شك أن مجموع الجهود التي بذلها في مجال العقيدة كانت تركز على ضوابط الكتاب والسنة وما حدده علماء السلف في ذلك ملاحظاً خلال جهوده السعي لإصلاح ما فسد من عقائد عملت على نشرها وإشاعتها بين الناس اتجاهات غير صحيحة انحرفت عن الوجه الحق الذي كان عليه أهل السنة والجماعة وماذا إلى ربط المسلمين بمنهاج الأسوة الحسنة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) وبما أنزل عليه من الكتاب والحكمة معتبراً أن ذلك هو طريق صلاح العباد واستقامة أحوالهم في دينهم ودنياهم، وهو الطريق الذي ترك النبي (صلى الله عليه وسلم) عليه أمته... المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

وسلم) فإن فيها السعادة لهم ولرعيتهن ومن تحت أيديهم وهي أبلغ شيء يكون به رضا الرعية عن رعاتهم والارتباط بينهم وطاعتهم في أوامرهم وحفظ الأمانة فيما يولونه إياهم، مؤكداً على أن من اتقى الله سلم من الناس ومن أرضى الله كفاه الله مؤونة الناس وأرضاهم عنه لأن القلوب بيد الله يقبلها كيف يشاء.

وأما حقوق الولاية على الرعية فكان يحرص على تعليمها الناس وهي النصح لهم فيما يتولاه الإنسان من أمورهم وتذكيرهم إذا غفلوا والدعاء لهم إذا مالوا عن الحق وامتثال أمرهم في غير معصية الله لأن في ذلك قوام الأمر وانتظامه وفي مخالفتهم وعصيانهم انتشار الفوضى وفساد الأمور ولذلك أمر الله بطاعته وطاعة رسوله وأولى الأمر فقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم).

وكان رحمه الله وجزاه خيراً يردد علي مجالسيه قول النبي (صلى الله عليه وسلم) «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

وكذلك ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كنا مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في سفر فنزلنا فنادى فنادى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال إنه ما من نبي بعثه الله إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتن يرفق بعضها بعضها تأتي الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاءه آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر».

ومما كان يسجله رحمه الله في العديد من كتبه أن رجلاً سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا نبي الله أأريت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا فأعرض عنه ثم سأل مرة ثانية فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم.

- الاهتمام بالتطبيق والعناية بالأمثلة والتخريج.
- التيسير الذي يبعد الداعية عن التعقيد أو التنفير.
- البعد عن التعصب والتقليد الأعمى والحرص على التوفيق بين النص والمصلحة.

إن المسلمين الذين ودعوا فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ودعوا قبله سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وغيرهما من العلماء والفقهاء مشفقون من هذه الخسارات العظيمة التي تحل بالمسلمين بفقد علمائهم وهم يخشون بذلك انتزاع العلم، أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن الله لا ينزع العلم من الناس بعد أن يعلمهم إياه ولكن يذهب بالعلماء كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم».

وأمام هذا لا بد للمسلم أن يحرص على الاستفادة من آثار العلماء التي تتمثل فيما تركوه للناس من كتب ورسائل ومواظ ورشادات، وأنكر لفقيدينا - رحمه الله - وصايا عديدة لطلاب العلم ولسائر الناس، منها:

١ - الحرص على متابعة تلاوة المسلم للقرآن الكريم وتدبر معانيه والتخلق بأخلاقه والتأسي بسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) والتأمل فيما زخرت به الأحاديث الصحيحة من توجيه وحكمة وخلق كريم والتقيّد بذلك.

٢ - بذل كل ما في وسع المسلم للعمل على نشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وتصحيح العقائد الخاطئة لدى بعض المسلمين.

٣ - طاعة ولاية الأمور والحرص على تأليف القلوب بين الناس مع قيام العلماء بواجب التاكيف المطلوب بين الراعي والرعية.

وقد حرص رحمه الله على بيان العلاقة بين الولاية والرعية موضعاً أن الولاية هم الذين يتولون أمور المسلمين سواء كانت الولاية عامة أم خاصة.

وكان رحمه الله يعلم طلابه الحقوق المتبادلة بين الرعية وراعيها معتبراً أن حقوق الرعية على الولاية أن يقوموا بالأمانة التي حملهم الله إياها والزهم القيام بها من النصح للرعية والسير بها على النهج القويم الكفيل بمصالح الدنيا والآخرة وذلك باتباع سبيل المؤمنين وهي الطريق التي كان عليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

التدريس فيها حسب الكادر الجامعي وكانت الإجراءات لبعض الدرجات تتطلب تقديم أبحاث ودراسات في مجال الاختصاص، فلم يتقدم بأي بحث، وحينما فوُتخ ببر ذلك بأن العالم لا ينبغي أن يستشرف للرتب والترقيعات، وأن أهل العلم الشرعي يحسن بهم الاحتساب والعمل لوجه الله وما يأتي تبعاً لذلك فلا بأس به.

والأمر الثاني: مفاجأته لي وأنا مدير للجامعة بتقديم ظرف بداخله مبلغ من المال، فسألته عن قصته، فنذكر أنه صرف له مقابل محاضرات ألقاها في كلية الشريعة وأصول الدين في القصيم وكان رحمه الله وقتها على ملاك معهد غزيرة العلمي مفرغاً لإعداد كتب دراسية للمعهد العلمي وأن وقت هذه المحاضرات اقتطعه من الوقت المخصص لتأليف المقررات الدراسية للمعاهد العلمية، وبذلك لا أستحق ما صرف لي.

ولا شك أن الموقفين نادراً في هذا الوقت. وتعفف طالب العلم عما فيه شبه، واعتدله في طلب الدنيا صفات محمودة تقربه للناس، وترغب الناس فيه. ويندر رحمه الله أن ألتقي به إلا وتكون المناصحة والمحادثة في الشأن العام الذي ينفع المسلمين، ويعالج شؤونهم، حتى في زيارتي له في أيامه الأخيرة.

إن البيئة التي نشأ فيها فضيلته، وهذه الدولة المباركة التي تقدر العلماء وأهل العلم وتضع يدها في أيديهم، مؤهلة بحول الله وقوته لإنجاب العلماء العاملين من أمثال الشيخ ابن عثيمين، ولا يزال الناس بخير، فقد قال (صلى الله عليه وسلم) «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم» وروي عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

رحم الله فقيد المسلمين رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته. وجزاه بما عمل خيراً وجعل ثواب أعماله في ميزانه، فقد انتقل رحمه الله إلى الدار الآخرة كما انتقل من سبقه «إني ميت وإنهم ميتون» وسوف يلتحق الناس كلهم بلك الدار «كل نفس ذائقة الموت» ولا نقول إلا ما يرضي الله سبحانه وتعالى. اللهم أجرتنا في مصيبتنا وأخلف لنا خيراً منها. اللهم لا ترحمنا أجره ولا تقتل بعده واغفر لنا وله وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبين رحمه الله في كتابه (حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة) أن حقوق الولاية على الرعاية مساعدة الرعية لولائهم في مهامهم بحيث يكونون عوناً لهم على تنفيذ الأمر الموكول إليهم وأن يعرف كل واحد مسؤوليته في المجتمع حتى تسير الأمور على الوجه المطلوب، فإن الولاية إذا لم تساعد الرعية على مسؤولياتهم لم تأت على الوجه المطلوب.

وله رحمه الله موازنات في مجال الحكم بين حكم الشريعة الإسلامية الذي يوفر الاستقرار الاجتماعي والسياسي في المجتمع المسلم كما هي الحال في المملكة العربية السعودية، وبين التعديلات السياسية الحزبية، يقول رحمه الله في خلاصته له بذلك: «الواجب على الحكومة في أي بلد من البلدان الإسلامية الرجوع إلى الكتاب والسنة وتوحيد الأحزاب السياسية على حزب واحد وهو حزب الله المنفذ لشريعة الله، وهذا الحزب لن يضر بالأمّة الإسلامية مثل ما يحصل من التعدد الحزبي، وقد أشار الله عز وجل في القرآن الكريم إلى أن التعدد الحزبي يورث التنازع والاختلاف، والتنازع هو سبب الفشل، قال سبحانه: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وقال أيضاً: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)».

لقد كانت حياته رحمه الله حياة جد وكفاح، وعمل دؤوب، لمصلحة الإسلام والمسلمين، تعليمياً، ووعظاً، ونصحاء، وتأليفاً.

لقد كان أول لقاء لي بفضيلته في عام ١٣٨٢هـ حينما كنت مدرّساً في المعهد العلمي بالجامعة، وكان مدرّساً في معهد غزيرة العلمي، وكنت مع رحلة طلابية من معهد الجامعة إلى منطقة القصيم، وفي أثناء زيارتنا للمعهد، كان رحمه الله مبرزاً في نصحه وتوجيهه ذا أثر متميز على منسوبي المعهد وطلابه، وازدادت العلاقة به من خلال عملنا جميعاً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم بعد انتقالي للعمل في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، حيث الميدان واحد، والمهام واحدة، وأذكر لفضيلته موقفين نادرين في عصرنا الحاضر، أحدهما: أنه بعد صدور نظام الجامعة، أجرت الجامعة تصنيفاً لأعضاء هيئة

**«الاجتهاد» .. من الموضوعات التي كثر فيها
الجدل بين سالب وموجب ..
وحتى الذين يقولون بضرورة الاجتهاد لايجاد فقه
ديني يجيب عن كثير من اسئلة العصر المتلاحقة،
نجدهم يختلفون في تفاصيل هذا النوع الجديد من
الاجتهاد، وفق مقتضيات الحديثة، ويختلفون أيضاً -
فيما بينهم - في الفتوى ذاتها، ما بين حل وحرمة،
اباحة وكراهة .. مما يؤثر سلباً على المتلقى المنتظر
لاجابة فقهية تزيل ما ألم به من شكوك واضطراب ..
هذا الموضوع الذي يطرحه الاستاذ (إلياس بلكا)
في هذه الصفحات يمثل باباً للحوار فتفحه المنهل في
هذا الموضوع الهام ..
ويسعد المنهل ان تتلقى آراء العلماء والمختصين،
والمشتغلين بهذا الجانب.**

- المنهل -

في الاجتهاد المعاصر

محفوظة في كتب الملل والنحل [٢] .. وتراجعت تيارات
الباطنية وضعفت .. واستطاع سلاطين آل عثمان أن
يخضعوا العالم الإسلامي لسلطانهم السياسي
والعسكري، وأن يجذبوا به قريضة الجهاد ويفتحوا به
بلاداً جديدة - هي شرق أوروبا ووسطها - فتنسأب
جيوشهم حتى تحاصر فيينا مرتين وتصل إلى حدود
إيطاليا .. وهؤلاء المغول الذين دخلوا بلاد المسلمين
للقتل والتخريب سرعان ما تحولوا إلى هذا الدين
واعتنقوه وأسسوا باسمه أهم دولة إسلامية بقارة
الهند، وهي: الامبراطورية المغولية، وكان هذا التحول
التجري استثناء نادراً للقاعدة الظلونية: المغلوب مولع
باتباع الغالب.

المنهطف الكبير: اتصال العالم الإسلامي بأوروبا:

كل ذلك قد حدث، كانت الأمة أكبر من أعدائها،
وأعلى من خصومها .. واستمرت حضارتها رائدة.

مرت على المسلمين - في تاريخهم الطويل - أزمنة
كثيرة، وبعضها ترك في الأمة جروحاً غائرة وآثاراً
عميقة، لقد ابتليت الأمة بالتفرق المذهبي منذ ظهرت
القدرية والجبرية والشيعية والخوارج ونحوهم .. وعانت
من الكيد الداخلي الذي حمل لواءه حركات الشعبية
والباطنية .. وانشطرت وحدتها السياسية والعسكرية
منذ انتهاء الطور العباسي الأول .. وتعرضت لحملات
صليبية متواترة، وكانت أراضيها مسرحاً لواحدة من
أعنى الاجتياحات العسكرية وأكثرها بربرية وتدميراً
في التاريخ: عاصفة التتار التي حولت عالم الإسلام
إلى خراب موحش [١].

ومع كل هذه النكبات فقد ظل جسم الأمة سليماً
معافي في أغلب الأحيان واستمر الإسلام يسكن روح
هذه الأمة ويحكم حياتها .. كان أكثر الأمة متمسكاً
بما كان عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه،
وانتشرت أكثر الفرق المخالفة وإن بقيت مقالاتها



بقلم: إلياس بلكا - المغرب

والكون والإنسان غير تصورنا .. كان مختلفا جدا،
ولذا كان الأثر الذي تركه فينا سلبيا جدا، وتقوى هذا
الأثر بمرور الزمن.

بهذا الاتصال مع أوروبا تغيرت كثير من عاداتنا
وأساليب حياتنا: لساننا، لباسنا، مدننا، مأكلا،
عاداتنا، تنظيماتنا الإدارية، شؤوننا الاقتصادية،
علاقاتنا الاجتماعية، تقنياتنا في الفلاحة والصناعة ..
وغير ذلك كثير.

نفوذ التفريب في الأمة:

لكن الأهم من ذلك أن تصورنا للحياة تغير بدوره:
لم نعد نفهم الإسلام على أنه دين شامل يعطو على
حدود الزمان والمكان، ولم نعد نعرف وظيفتنا في
الوجود وواجبنا نحو خالقنا، فاهتزت عقائدنا

لكن التطور الضخم حدث حين دخلت الأمة مرحلة
الانحطاط في الفترة نفسها التي بدأت فيها أوروبا
نهضتها الشاملة.

لقد طور العالم الأوروبي المنهج التجريبي - في
العلوم - الذي أخذ عن المسلمين [٣]، وبدأ في حصد
الثمار .. وكانت الاستكشافات الجغرافية الكبرى،
والكشوفات العلمية والتقنية .. وتزامن ذلك مع أفول
عصر الفيودالية وانتهاء سلطة الكنيسة إثر ما يعرف
بالحروب الدينية.

ولما استطاعت أوروبا ترتيب بيتها من الداخل،
بدأت تتوجه نحو الخارج لبطس هيمنتها واستعادة
مجدها الروماني القديم .. وكان المسلمون هم ضحيتها
الأولى والأهم. إن العالم الإسلامي - كما يقول
المستشرق الفرنسي جاك بيرك - هو أقرب المناطق
الجغرافية إلى أوروبا وأشدّها تناقضا
معه [٤].

ولكننا نعرف ما حدث بعد ذلك:
الحروب والحمالات العسكرية،
والإطاحة بالخلافة العثمانية، وتجزئة
العالم الإسلامي، ثم إخضاعه
بالاستعمار المباشر، الذي كان
استيطانيا في كثير منه .. والحقيقة
أن التطور الهام الذي وقع لم يكن هو
الاستعمار العسكري، بل كان شيئا
آخر: لقد أصبحت الأمة - لأول مرة في
تاريخها - مولعة بتقليد الغالب، وكان
هذا الحدث أخطر من كل النكبات
التي عرفتها الأمة والتي أشرت إلي
بعضها.

كان الغالب مختلفا عنا كثيرا،
فهو من دين غير ديننا، ولغته غير
لغتنا، وحضارته غير حضارتنا،
وتاريخه غير تاريخنا، وتصوره للخالق

**** اجتهد اليوم
اجتهد استثنائي
للضرورة، الغرب يكتشف
ويخترع ويصنع،
ونحن نجتهد في طبيعة
التكييف الفقهي لما يجد**

**** ما من صناعة وتصل بين طياتها فكر أهلها وتوجهاتهم** **** تفريب العالم خلق غربي أصيل ضارب بجذوره في أعماقهم** **** ما بين مؤيد ورافض وموفق، أخلف علماءنا تجاه الوافد من الغرب**

واضطربت حقيقتها في نفوسنا وبذلك لم نعد نحمل من الدين إلا رسمه، ولم يبق شيء يربطنا بحضارتنا الأصلية سوى خيوط أوهي من خيوط العنكبوت.

والقد اصطلح على تسمية هذا الأثر الذي تركه الغرب فينا بـ: التفريب.

لقد مارس الغرب هذا الأسلوب (التفريب) على أمم غير أمتنا، فهو بمجرد أن يتصل بحضارة مخالفة له حتى يبدأ في تحطيم البنى التقليدية التي عليها تتأسس حياة الأمة، ولا يهمه أن تكون بعض هذه البنى صالحة للحياة لأنها أوفق لأهلها وأنسب، كما لا يهمه أن يفرق بين البنيات الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... كل ذلك ينبغي أن يهدم ويؤتى عليه من القواعد، بل قد يطمس آثاره حتى لا يسجل التاريخ ولا يذكره، إن «تفريب العالم» خلق غربي أصيل يضرب بجذوره في أعماق الكيونة الغربية[٥].

وكان أمضى سلاح

استعمله الغرب لبيسط نفوذه وتحقيق أهدافه هو سلاح العلم والتكنولوجيا، لقد استفاد الغرب هذا العلم من الحضارة الإسلامية التي كان فيها مزدهرا، ولكنه لم يتطور هذا التطور الضخم إلا في رحم الحضارة الغربية من دون الحضارات الإنسانية الأخرى، لأسباب لا تزال للأسف مجهولة[٦].

كيف تعاملت الأمة مع ما وفد إليها من الغرب؟

لقد نجحت حركة التفريب لأنها كانت تمزج بين مخترعات العلم وما أحدثه من الأدوات والأساليب الجديدة في الحياة وبين منظومة القيم الأخلاقية الخاصة بأوروبا... فتقدم كل ذلك في إطار واحد مختلط لا يفصل بعضه عن بعض.

لقد حمل نابليون - لما جاء إلى مصر - آلات الطباعة إلى جانب فلسفة الأنوار. فلما تلت الأمة هذا الخليط اضطرب رأيها وجار حكامها وعلمائها، فلم يدروا كيف التصرف إزاء هذه الأشياء الوافدة والأفكار الوافدة، فقوموا لاحظوا أن هذا الخليط ثمرة للعلم والمعرفة، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، فقبلوا ما وفد إليهم ورضوه، وقوموا لاحظوا أن في هذا الخليط تبدو روح القيم التي كانت وراء صنعه، وما دامت هذه القيم الغربية - ترجع أصولها إلى اليونان والرومان، وإلى المسيحية واليهودية - فلا يمكن إلا أن نرفضها، وبهذا حرموا ما أتى من الغرب[٧].

ويدا آخرين أن كلا الموقفين على خطأ، وقالوا ينبغي أن نفرق بين الأشياء الوافدة والأفكار الوافدة، فنحن نقبل المنتجات المادية والأساليب الجديدة التي أحدثها العلم، والعلم لا وطن له، ونترد المبادئ والفلسفات التي تصدر عن غير قيمنا.

وكان لهذا الرأي وجهة يسرت قبوله، فصار المسلمون على طريقة التوفيق هذه زمانا، لكن أحوالهم لم تتحسن ولم يتحقق من آمالهم شيء... لقد ظل الغرب أستاذ العالم بلا نزاع، ولم نستطع أن ننشئ حضارة خاصة بنا ومنسجمة مع قيمنا... على العكس من ذلك تقوت حركة التفريب وتوسعت ومدت سلطانها إلى كل مجالات حياتنا وإلى كل طبقات أمتنا... ولهذا لا عجب

وقواعد وأساليب في الاستنباط جديدة لم يسبق إليها... وهذا فقد منذ زمن طويل كما نص عليه العلماء... لأن الأصول والقواعد تقررت وانتهت ومن المتعذر إحداث جديد فيها، فالنص العام مثلا إما أن يدل على أفراده دلالة قطعية، وإما أن يدل دلالة ظنية... ولا يمكن لأحد أن يرى رأيا جديدا بحكم القسمة المنطقية كما ترى... فلو قلت بالمذهب الأول كنت موافقا لقول الجمهور، ولو قلت بالمذهب الثاني كنت موافقا لرأي الأحناف... فيتعذر الاستقلال بأصول جديدة وقواعد جديدة [١٠]...

وثاني المراتب: **درجة المجتهد المطلق**، وهو الذي استوفى شروط الاجتهاد، فيجتهد في الأصول وفي الفروع، ولا يلزم بمذهب معين... وهذا الذي صن به المتأخرون على كثير من العلماء ممن تحققت فيهم - فعلا - شروط الاجتهاد، كالعز بن عبد السلام والمازري والسبكي والشاطبي وابن تيمية وابن دقيق العيد والكمال بن الهمام والسيوطي وأضرابهم... والمجتهد المطلق إذا اختار طريقة إمام معين في الاستنباط واقتنع بها كان **مجتهدا منتسبا**، وهذا حال ابن القاسم [١١] والمزني وبعض تلامذة أبي حنيفة.

وثالث المراتب: **مجتهد التخريج**، وهو الذي يفتي في النوازل الجديدة التي لم يسبق لإمامه أن قال فيها قولاً، وهو حين يجتهد فإنما يخرج قول إمامه بناءً على أصوله وقواعده.

ورابع المراتب: **مجتهد الترجيح**، الذي يرجح بين الأقوال المتعارضة التي حفظها عن الإمام وكبار شيوخ المذهب، وليس بعد هذه المراتب اجتهاد، إنما هو تقليد عن علم وتبصر كحال كثير من أهل العلم، أو هو تقليد صرف كحال العوام [١٢]...

إن الذي تم إغلاقه فعلا إنما هو باب الاجتهاد المطلق، وهو الذي ادعاه - عن حق - السيوطي رحمه الله تعالى ونوزع فيه وكتب في ذلك رسالته «الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض» [١٣]...

أما مرتبة اجتهاد التخريج واجتهاد الترجيح، فهما لم تمتعا، وإن كان في الناس من ذهب إلى ذلك... ولهذا استمر الفقهاء - عبر تاريخنا - في

إذا علمنا أن تبعيتنا للغرب - في أكثر الميادين - هي اليوم أقوى مما كانت عليه قبل قرن، بل هي أقوى مما كانت عليه قبل أربعين سنة، وستظل كذلك في المستقبل القريب والمتوسط [٨]...

في مسألة إغلاق باب الاجتهاد:

أين الخلل إذن؟

يحلو لكثير من المتقنين والباحثين أن يؤكدوا على أن من أهم أسباب الخلل ما وقع في التاريخ الإسلامي من **إغلاق باب الاجتهاد** [٩]، وقالوا لقد أدى ذلك إلى تجميد الحياة الإسلامية والفكر الإسلامي، وإلى حرمان الفقه الإسلامي من قدرته السابقة على التفاعل الإيجابي مع تطورات الحياة وعلى مساهمتها بالتسديد والتقويم... وقالوا أيضا: إن من أهم شروط تحقيق نهضة أمتنا **فتح باب الاجتهاد** من جديد ورفع الحظر الذي أوقعته عليه قرون الضعف والانحطاط، وقالوا: ينبغي أن نجتهد لمشكلات هذا العصر، ونستنبط لها أحكامها الفقهية، ليتبين أن الإسلام قادر على قيادة الحياة الحديثة، وليتبين أيضا أن الفقه الإسلامي يمكن أن يحل مشاكل الأمة ويواجهها.

وقد تداعى الناس إلى هذه الفكرة وتقبلوها، و**ظهر فقهاء متحررون** من قيود الفقه المتأخر ومساكنه، واجتهدوا وأفتوا ويحثوا عن المشكلات المعاصرة وحلولها... وكان جهدا مشكورا.

والحقيقة أنه لم يعد أحد يعترض على فتح باب الاجتهاد، فالاجتهاد واجب شرعي، لأنه تحدث الناس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور، كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، ولابد أن يقدم الدين كلمته في كل ما ينزل بالناس من الحوادث وفي كل ما يستجد من القضايا... هذا واضح لا إشكال فيه... من حيث المبدأ، لكن يجوز للدارس أن يلاحظ أموراً حول الاجتهاد المعاصر، وهذه بعضها:

استمرار بعض صور الاجتهاد:

إن باب الاجتهاد - في تاريخنا - لم يغلق كله وبكل صوره، إذ من المعلوم أن **الاجتهاد مراتب ودرجات** أعلاه **مرتبة المجتهد المستقل**، أي الذي استقل بأصول

أصله[١٥]، ولهذا استمر الاجتهاد لتحقيق المناط واقعا قائما .

والخلاصة التي أريد أن أصل إليها هي أن باب الاجتهاد لم يلق كل واحد وبجميع صورته، فإن من أقسام الاجتهاد ما ظل مفتوحا ممكنا للقادر الراغب فيه . . . وهذا ما يفسر ما يلاحظه الدارس في أحيان كثيرة، من اختلاف كبير للمذهب ما بين زمن الإمام وتلامذته وما بين زمن علماء المذهب المتأخرين، ولهذا أرى - والله سبحانه أعلم وأحكم - أن قضية «غلق باب الاجتهاد» قضية بولغ في الكلام عليها وفي تضخيم أثرها وسلبياتها، بحيث صارت عند المحدثين هي المشجب الذي تعلق عليه كل الأخطاء والبلايا والزيادات التي عرفتها الأمة، خصوصا في القرون الستة الأخيرة[١٦].

لقد حملت هذه القضية باكثر مما تحتمل ونسب إليها وإلى فعلها الشيء الكثير مما حوى حقا وباطلا .

اجتهاد بعض العلماء المتأخرين :

وقد رأينا في تاريخنا أمثلة لفتح باب الاجتهاد حين تصدى بعض الفقهاء منع بعض المتأخرين الاجتهاد المطلق، فاجتهدوا في الخلاف الأعلى - كالخلاف بين الأئمة الأربعة - وبحثوا وأفتوا بما يقتضيه نظرهم وفقههم الخاص . . . وهذا صنيع الشوكاني وإسماعيل الصنعاني والقنوجي وغيرهم . . . فماذا كانت النتيجة؟

لقد رأينا فقها عاديا لم يرتق إلى درجة الفقه المذهبي بله أن يتجاوزه . . . ولهذا كان كتاب نيل الأوطار - مثلا - لا يختلف عن كتب الفقه المذهبي، فهو يعالج القضايا نفسها ويبحث في الفروع نفسها التي يبحثها مئات الكتب، وبالروح نفسها، ولم يحدث هذا الفقه ثورة في العالم الإسلامي تحرر العقول وتدفع إلى النهضة والتحرر . . . أعني لم نجد لهذا الفقه الجديد إضافات هامة وجديدة .

ما هو تفسير هذا الأمر ؟

وضع الفقه والاجتهاد حين تركد الحياة:

يبدو لي - والعلم لله تعالى - أن هؤلاء الذين

ممارسة هذين الاجتهادين، وهو أمر واضح في كتبهم وفتاويهم . . . فالشيخ خليل لما صنف مختصره في الفقه المالكي اعتمد على أربعة من أبرز علماء التخريج والترجيح في المذهب: اللخمي، وابن يونس، وابن رشد، والمازري . . . ومتأخرو الأحناف خالفوا كثيرا من آراء شيوخ المذهب المتقدمين وعللوا ذلك بأنه اختلاف عصر وزمان لا اختلاف حجة وبرهان .

ثم إن الاجتهاد ينقسم أيضا الى قسمين: الاجتهاد الكلي والاجتهاد الجزئي . . .

فأما الأول: فهو اجتهاد العالم القادر على الإفتاء في كل قضية تعرض عليه، وهو حال العلماء المبرزين الذين أحاطوا بمعظم النصوص ولانت لهم طرق الاستنباط كابن دقيق العيد والسبكي . . .

وأما الثاني: - الاجتهاد الجزئي - فهو جهد العالم الذي لم يبلغ مرتبة الاجتهاد، ولكنه يتمتع بملكة فقهية وصل إليها بدراسته للأصول والفقه وبعض النصوص، بحيث يستطيع أن يجتهد في قضية جزئية ويفتي فيها بعد التفرغ لها والبحث فيها بحثا شاملا مستوعبا متبصرا، وهذا ما كان عليه كثير من العلماء ممن لم يرتفعوا إلى رتبة الاجتهاد المطلق ولكنهم أيضا لم ينحطوا إلى درجة التقليد الصرف .

وقد قال جمهور الأصوليين: **إن الاجتهاد الجزئي جازئ من حصل ملكة الاستنباط**، وبإياه مفتوح[١٤] . . . والحققة أن الاجتهاد الجزئي كان هو النافذة التي استغلها الفقهاء المتأخرون ليجتهدوا في كثير من القضايا ويبحثوا فيها، وهذا ما جعل من الاجتهاد عملية مستمرة، وإن كانت لا تصل إلى سعة الاجتهاد المطلق وأفاقه، وتحفظ لنا كتب النوازل بأمثلة كثيرة لذلك .

وينقسم الاجتهاد أيضا الى تخريج المناط، وتنقيح المناط، وتحقيق المناط، ولما بحث الشاطبي رحمه الله تعالى قضية: هل يمكن أن تخلو الأرض من المجتهدين، قال إن ذلك ممكن بالنسبة إلى القسمين الأولين، أما بالنسبة إلى القسم الثالث فلا يمكن عقلا وشرعا، وذلك لأن تحقيق المناط معناه تنزيل الحكم الشرعي على آحاد الصور، وذلك كثيرا ما يشتهه فيحتاج إلى الاجتهاد، فلو منع كان ذلك رفعا للتكليف من

*** حركة
التفريب
خلطت
بين
مفترعات
المعلم
وبين
منظومة
القيم
الاخلاقية.**

*** الركود
وعدم
الابداع
الذي أصاب
المسلمين،
تبعه
ركود
وجمود في
الفقه
الاسلامي.**

الحضارات وتجدها،
وليس عليه - بالدرجة
الأولى - يقوم التغيير ويتم
النهضة، إن وظيفة الفقه
هي - قبل كل شيء - ذات
طبيعة قانونية: ضبط
علاقات الأفراد بعضهم
مع بعض وتنظيم
مؤسسات المجتمع في
إطار عقيدة معينة، وقبل
ذلك - وهو ما يمتاز به
الفقه على القانون
الوضعي - تنظيم علاقة
الإنسان بربه سبحانه
وتعالى - الوظيفة
القانونية ليست أهم
الوظائف - في
الحضارات والجمعات -
ولا أخطرها .

**اضطراب الفقه
المأخر، وبسبب ذلك:**
ولهذا نلاحظ أن
الفقهاء المعاصرين كثيراً
ما يضطربون في بحثهم
عن أجوبة فقهية
لإشكالات الحياة
المعاصرة، لسنا - نحن
المسلمين - من يقود
الحضارة الحديثة، بل
ليس لنا مشاركة حقيقية
في البناء الحضاري
المعاصر، نحن نعيش
على هامش العالم ولا أثر
لنا في مسيرته، على حين
أن الغرب يجدد نفسه
باستمرار وينتقل من

ضخمو من أثر غلق باب الاجتهاد على المسيرة
الحضارية للأمة لم ينتبهوا إلى سبب آخر، أو انتبهوا
إليه ولم يوفوه حقه من الكشف والدرس - لقد عرفت
الأمة - منذ تدمير المغول لبغداد في الشرق، وقبل
سقوط الأندلس - حالة عامة من الوهن الحضاري
وركود الحياة - لم يعد المسلمون يقومون بواجب
عمارة الأرض كما كان يفعل أسلافهم، فاستحالت
الحياة الإسلامية إلى حياة رتيبة وراكدة لا تعرف
الإنجاز ولا الإبداع ولا الفعل الحضاري البناء، ولم
تتقدم علوم المسلمين ولا خبراتهم كثيراً - بالنسبة إلى
القرون الأولى - في أكثر مجالات الحياة: الدولة،
والإدارة، والاقتصاد، والتمدن، والصناعة، والفلاحة .
يقول السلطان العثماني عبد الحميد الثاني: «إن
أساس الأزمات عندنا نابع من تعود الرجل العثماني
عن العمل والإبداع، لقد تعود أن يبقى سيدي يأمر غيره
بقضاء حاجاته، إن شبابنا يخططون لأن يخرجوا
موظفين أو ضباطاً أو علماء دين، فلماذا لا يفكر
العثماني أن يصبح تاجراً أو صناعياً مبدعاً، إنني
أمارس مهنة التجارة» [١٧].

وربما كان الاستثناء الوحيد هو العلوم العسكرية،
وذلك بفضل الخلافة العثمانية، وخصوصاً في بدايتها،
ولهذا لم تكن مظاهر الحضارة الإسلامية في العصر
الأول تختلف كثيراً عن تلك التي عرفتتها القرون
الأخيرة، هل تختلف بغداد في عهد هارون الرشيد -
مثلاً - في مظهر التمدن عن بغداد بعد ذلك بسبعة
قرون؟

وحين ذلت الحضارة المادية وضعفت، قلت
الأسئلة والإشكاليات التي كان على الفقه أن يفتي فيها
ويجتهد لها، قارن بين أي كتاب في الفتاوى الفقهية في
القرون الستة الأولى مع أي كتاب في الموضوع نفسه
في القرون الأخيرة، تجد الأسئلة تتشابه والنوازل
تتماثل، لا جرم أن تجد - أيضاً - أن الأجوبة تتقارب
ويشبه بعضها بعضاً [١٨]. ما عسى يفعل الفقيه لناس
اختاروا القعود عن العمل وأثاقوا إلى الأرض؟

ليس الفقه أساس الحضارة:

وهذا سر الموضوع: إن الفقه ليس هو أساس بناء

والتضارب... لو كان «الصانع» الذي ينشئ الحضارة ويطور الحياة مسلماً متشبعاً بالذهبية الإسلامية في العقيدة والخلق والعمل لكان الفقه الإسلامي في واقعته الخاص ومجاليه الطبيعي، ولتغيرت أشياء كثيرة.

هيرة العقل المسلم في انفعاله بتطورات الحضارة الغربية:

ويسبب هيمنة هذا الفقه الاستثنائي تجد أن العقل المسلم الذي يحاول الحقوق بركب الحضارة الحديثة أسير هذه الحضارة التي يحركها منطقها الداخلي الخاص بها... لقد اكتشف العقل المسلم - في أوج الصعود النظري للماركسية بأشكالها المختلفة - أن الإسلام لا يتعارض مع الاشتراكية في شيء، فهما يصدران عن مشكلة واحدة وإن اختلفا من حيث الأشكال والمظاهر، وسرعان ما لاحظ هذا العقل أن الفقه يقدم المصلحة الجماعية على المصلحة الفردية، وأنه يجيز تدخل الدولة في الاقتصاد، وأحيى آراء فقهية كجواز فرض مال غير الزكاة على الأغنياء وجواز التسعير، واعتبر هذا العقل أن تحديد الملكية الفردية جائز فقهاً كما أن تأميم مرافق الشعب واجب شرعاً، وتذكر - العقل المسلم - أن أبا ذر الغفاري - رضي الله عنه - هو من أبرز اشتراكيي الإسلام...

ولهذا لم يكن مستغرباً صدور كتب تتحدث عن «اشتراكية الإسلام» [١٩].

وبمجرد أن بدا واضحاً للعيان أمارات تهاولي المنظومة الاشتراكية وسيطرة التوجه الليبرالي بالمقابل، حتى اكتشف العقل الإسلامي أن «جوهراً الليبرالية لا يتعارض مع جوهراً الإسلام... هي دائماً قضية الأشكال والصور التي تختلف، أما المضامين - أي الروح والجوهر -

مرحلة حضارية إلى أخرى، فهو فاعل إيجابي والعالم الإسلامي متفاعل سلبياً... ولهذا يجد الفقهاء أن ما يطرح عليهم من أسئلة هي من نتاج الحضارة الغربية، ونحن نعرف أنه لا يمكن أن تفصل الإنتاج المادي أو غير المادي عن ظروف البيئة التي أنبته وأنشأته، ولهذا يحمل هذا الإنتاج - في غالب الأحوال - دخناً يقل أو يكثر، والفقيه حين يصر هذا الدخن يضطرب في اجتهاده، فملاحظته ما في هذا الإنتاج البشري من مصالح يجعله يميل إلى القول بالجواز - بالمعنى الشامل للوجوب والندب والإباحة والكرامة، وملاحظته لما فيه من دخن يحدث مفاصد يجعله يميل إلى مذهب المنع... ولهذا تجد أن الفقه السائد اليوم - هو - إلى حد كبير - فقه استثنائي، فهو فقه الضرورة أو فقه التحريم، إذا أباح احتج بتحقيق الضرورة وتوفر شروط الحاجة، وإذا امتنع احتج بما يحمله المنتج أو النازلة - موضع البحث - من عناصر التحريم والحظر... وهذا الأمر واضح في بحوث الفقهاء المعاصرين التي تتناول - مثلاً - شؤون المال والاقتصاد - خصوصاً في قضايا الربا والتأمين بأنواعه - وقضايا الطب والجراحة والورثة، كالاستسناخ.

إن الفقه هو «العين البصيرة» التي تراقب تصرفات الأفراد والمجتمعات وما ينشؤونه من الأمور المستجدة والقضايا المستحدثة، وهو في كل ما يعرض عليه من أشياء لابد أن يحكم عليها بأحد الأحكام الخمسة: الوجوب، أو الندب، أو الإباحة، أو الكرامة، أو الحرمة... المشكلة إذن في هذا «الصانع» الذي يعمل وينشئ الجديد، إنه لم يعد مسلماً بل هو الغرب، و«العين البصرة» التي تراقب ما يفعله الغرب ويتجه لا يمكن إلا أن تأتي بفقه هش أنهكه الترقيع

* * * الفقه

وظيفته ضبط علاقات
الأفراد بعضهم، وتنظيم
علاقة الإنسان بربه
سبحانه وتعالى...
* * * نحن نعيش على هامش
العالم ولا أثر لنا في
مسيرته.

**نصبغه بالصبغة الإسلامية ليكون إسلامياً ومقبولاً
فقها.**

ليس لي كلام في قاعدة الأصل في الأشياء الإباحة، فهي صحيحة، وتوارد على قبولها وإعمالها جمهور الفقهاء من المذاهب الأربعة وغيرها [٢٢]، لكن أثرها لا يمتد إلى ما يفعله غير المسلم من الأقوال والتصرفات والمنتجات الفكرية والمادية، فما صنعت يد من لا يدين بديننا أو انتهى إليه فكره لا تطبق عليه القاعدة، بل الواجب أن نفحص كل ما أنتجته حضارته فحصاً دقيقاً وشاملاً، وهذا هو مقصد أحاديث النهي عن التشبه بالكفار، فهي لا تريد أن تمنع المسلم من أي تواصل مع من يخالفه في العقيدة، ولكنها تريد أن تربي في المسلم خلق الحذر والتبصر والاحتياط تجاه المظاهر الحضارية للمخالفين لنا في الدين.

وقد يقال: يجب أن نفرق بين جانب الفكر والعقائد في الحضارة الغربية وبين جانب المظاهر المادية والأساليب التقنية ومناهج تنظيم الحياة. لكن المشكلة تكمن في هذا الفصل: هل يمكن أن نعمل «إبداعات» الحضارة الغربية عن منظومة القيم والأفكار التي تحكمها؟

هل الإنتاج المادي مستقل عن القيم؟

إن حضارة الغرب مدينة - إلى أبعد حد - للعلم وشاره، فهل «العلم» - فعلاً - عامل محايد في الوجود البشري، أم أنه - كأي مجال للنشاط الإنساني - يتأثر بالخلفيات العقائدية والنفسية لهذا الذي يمارس البحث العلمي وينتج التكنولوجيا.

وقد يشتط بي الخيال بعيداً فاطرح هذا السؤال: ترى لو استمرت الحضارة الإسلامية حيوية رائدة، وحقت بنفسها هذا التطور العلمي والتقني الضخم، هل كانت ستكون صورة الحياة هي نفسها التي نعيشها الآن؟

ليست هذه دعوة للانكفاء على الذات وتحصينها بالرفض وثقافة المنوع، ومنعها من الاستفادة الواعية المتبصرة من تجارب الإنسان وإنجازاته، كيفما كان هذا الإنسان.

إنني أدرك أن هذا الموقف - علوة على أنه في

فهي واحدة... الإسلام يقدس حرية الفرد وكرامته ويقر الملكية الفردية، والفقه يعترف بمبدأ التنافس الاقتصادي.

ولهذا كان جوهر الاقتصاد الإسلامي هو اقتصاد السوق، حيث القاعدة الفقهية تقتضي أن لا تتدخل الدولة في الحياة المالية والاقتصادية إلا في استثناءات ضيقة جداً.

ومنذ هبت على العالم ريح الديمقراطية وأصبحت ديناً عالمياً، اكتشف العقل الإسلامي مجدداً تلك القاعدة السحرية: إن الأشكال والصور قد تختلف بين الديمقراطية والشورى، ولكن المضامين والحقائق واحدة متحدة، والعبرة في الأشياء «بالروح والجوهر» لا «بالشكل والمظهر»... ألا تقول القاعدة الفقهية: العبرة بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمباني، فالإسلام قرر مبدأ الشورى، واعتبر الفقهاء أن الإمام مجرد أجير عند الأمة، ولا يجوز أن يحكم الناس بالقهر والغلبة بل باختيارهم ورضاهم... وهذا هو جوهر الديمقراطية التي لا تتعارض مع حقيقة الشورى [٢٠].

وقد ظهر نموذج الدولة القومية في أوروبا منذ أربعة قرون، ثم وقع تعميمه في جل مناطق العالم... ثم أخذ الفقه المعاصر ينظر لهذه الدولة ويبحث عن «مشروعيتها» في الوقت الذي بدأ الغرب نفسه يسعى إلى تجاوز هذا الشكل الدستوري من الحكم بشكل آخر أوفق لمصالحه ومستقبله [٢١].

وهذا الوضع سببه أننا عجزنا عن «الإبداع» والفعل الحضاري البناء، وما كان أيسر لنا أن نتكل على الآخر الذي جعلناه أصلاً ومرجعاً.

قاعدة الأصل في الأشياء الإباحة:

وقد يحتج الناظر بالقاعدة الشرعية التي تقول: الأصل في الأشياء الإباحة، فكل الأعيان والتصرفات والأفعال في الوجود الكوني والإنساني على أصل الإباحة والجواز حتى يقوم الدليل الفقهي المعتبر على أنها محرمة، وعلى هذا يجوز لنا أن نفتتس مما أنشأته الحضارة الغربية، فالشرط الوحيد ألا يكون ذلك متعارضاً مع كليات الدين، ثم بعد ذلك ما علينا إلا أن

خاتمة في أسئلة معلقة:

إننا - في الواقع - مازلنا نعيش مرحلة الولوع بتقليد الغالب، ما هو السبيل إذن، وأي دور ينبغي أن يكون للفقه المعاصر، وفيما يجب أن يكون الاجتهاد، وكيف؟ لا أمك أجوبة واضحة على هذه الأسئلة، وهذا المقال الذي بين يدي القارئ الكريم لم يقصد إلى ذلك، إنه مجرد دعوة للتأمل والمناقشة وتوطئة لهما، والله تعالى أعلم.

الهوامش:

(١) راجع «تاريخ الإسلام» للدكتور إبراهيم حسن.
(٢) وأهم هذه الكتب «الملل والنحل» للشهرستاني، والفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي، والفصل بين الملل والأهواء والنحل لابن حزم، وكلها مطبوعة متداولة.

(٣) راجع كتاب المرحوم علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٤. وانظر خصوصاً الباب الخامس: مناهج البحث لدى علماء العلوم الكيميائية والطبيعية والرياضية في العالم الإسلامي، صفحة ٢٢٩ فما بعدها.

(٤) عن المجلة الشهرية «مستقبلات» الصادرة عن الجمعية الدولية للمستقبلية، وذلك بالفرنسية، وفيها مقال بيرل: FUTURIBLES, N 154, MAI 1991, PARIS.

(٥) راجع في هذا الموضوع الكتاب الهام للمفكر وعالم الاقتصاد الفرنسي سيرج لاتوش: تغريب العالم: Serge Iatouche: L'occidentalisation du monde, la decouverte, 1989. France. وهو مترجم إلى العربية.

(٦) هذا موضوع مشكل، لقد نشأ العلم ونما جيداً في حضارتين اثنتين: الحضارة الإسلامية، والحضارة الصينية، ومع ذلك فإن هذا النمو توقف فجأة في هاتين الحضارتين، ولم يتطور العلم حق التطور إلا بعد أن انتقل إلى أوروبا، لماذا حدث هذا وكيف؟ لقد حاول أحد الباحثين أن يجيب على هذا اللغز في كتابه: فجر العلم الحديث، سلسلة عالم المعرفة ١٩٩٨.

(٧) هذا أصل الخلاف حول بعض الإصلاحات التي شهدت مناطق من العالم الإسلامي في بعض الأوقات، مثل الإصلاح المعروف بـ «خط كلخانة» الذي عرفته الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر.

ذاته خطأ - لا يمكن أن يرى النور ويتحقق - حتى لو أردناه - في زمن العولة وتقارب الحدود، وانمحاءها بالكامل أحياناً، وسيطرة الإعلام ووسائل الاتصالات ووحددة المصير الإنساني... لقد غدا العالم واحداً، يؤثر بعضه في بعض، واستحال فيه الانعزال والتفوق على الذات.

لكنني أقصد أن التغريب ما يزال يعيش بيننا ويؤثر فينا من حيث نشعر ومن حيث لا نشعر، ولم تسلم عقولنا وأفكارنا وقيمنا من فعله وأثره... يقول المفكر المغربي محمد عابد الجابري: «إن إعادة بناء أهداف المشروع النهضوي العربي تتطلب، كما قلنا، الأخذ بعين

**** الصين
التي ترقب
ما ينتجه
الفرب لا
تأتى إلا
بفقه هش
أنهمكه
الترقيع
والتضارب.**

**** الحضارة
الفربية
يحررها
منطقها
الداخلي
الخاص بها.**

الاعتبار الكامل ليس العوامل الداخلية وحدها بل الظروف والتطورات الدولية أيضاً... ولما كانت عملية إعادة بناء الأهداف عملية فكرية بالأساس فإنه من الضروري استحضار التأثير الذي يمارسه الغرب علينا - شئنا أم كرهنّا - في المجال الفكري، والوعي بالتالي بالتوجيه الذي يمارسه الفكر الغربي على رؤانا الفكرية المعاصرة، ومن بينها تصوراتنا لأهداف المشروع النهضوي العربي مستقبلاً» [٢٣].

العالمي، فرجينيا، طبعة أولى ١٩٩١.
(١٧) عن «العلمانية وأثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا» ص ١٧٢ - ١٧٤، للدكتور عبد الكريم مشبهاني، منشورات المكتبة الدولية بالرياض.

(١٨) قارن مثلاً «فتاوى النووي والغز بن عبد السلام الذين عاشا في القرن السابع مع فتاوى الوتشرسي السماعة بالمعيار، وهو قد توفي في بداية القرن العاشر، وكذا مع فتاوى الشيخ عليش - من علماء القرن الرابع عشر - المسماة «فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب مالك».

(١٩) وهو عنوان كتاب للأستاذ مصطفى السباعي رحمه الله تعالى، وكان صدر في نهاية الخمسينيات. وفي هذه الفترة كثرت المقالات والكتب التي تسير في هذا الاتجاه.

(٢٠) راجع المقال الهام للأستاذ ميمون النكار بمجلة المنعطف، عدد: ١٢ سنة ١٩٩٦ ص ٣ - فما بعدها «المنعطف» مجلة فصلية ثقافية تصدر من وجدة بالمغرب، عنوان المقال، «الخطاب الإسلامي المشور وقاهرة السط المعرفية».

وانظر مقال: الديمقراطية المهزوزة، في المجلة الشهرية التي تصدر من باريس.

Le monde Diplomatique, Octobre 1996, PI.

(٢١) راجع فصل «مستقبل الدولة القومية» في: Paul Kennedy: Prerer LeXXI sicle Edition Odil gacob, 1994.

وانظر حول مستقبل الشكل البيروقراطي للإدارة، وهو الأسلوب الذي تسير عليه الدولة القومية - Alvin Tofler: Le choc du futur pp144-174. folioVessais. 1971

وانظر أيضا في الموضوع نفسه مقال: Diana Pinto: La societe francaise fiere de sesmaux Futuribles, N 154, P 5. وذلك بمجلة:

(٢٢) راجع في القاعدة: الأشباه والنظائر في الفروع، ص ٤٢ فما بعدها، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، وقد توسعت في دراسة هذه القاعدة في كتابي - الذي تقدمت به لنيل دكتوراه السلك الثالث: «الاحتياط في الشريعة الإسلامية» - جامعة وجدة بالمغرب ١٩٩٦.

(٢٣) سلسلة المشروع النهوضي العربي: آفاق المستقبل، وهي مجموعة مقالات للدكتور محمد عابد الجابري نشرها بجريدة «الاتحاد الاشتراكي» بالمغرب، أما النص المذكور فيوجد بالصحيفة يوم ٢ غشت ١٩٩٦م.

Mahdi Elmandjra: "premiere guerre (A) civilisationnelle", P176. Editions toukbal, Maoc.

(٩) راجع في المسألة: الاجتهاد في الإسلام، ص ٢١٨ فما بعدها، لنادية العمري مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة ثالث ١٩٨٦.

(١٠) انظر في الفرق بين المجتهد المستقل والطلق: «المجموع شرح المذهب» للنووي ٧٥/١ - ٧٦، مكتبة الإرشاد، جدة، السعودية، أدب المفتي والمستفتي، ص ٨٦ - ٨٧، للحافظ ابن الصلاح، «الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض» لجلال الدين السيوطي، ص ١١٢ - ١١٣.

(١١) راجع: «المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب»، لأبي العباس أحمد الوتشرسي، طبع دار الغرب الإسلامي، ونشر وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٨١، ٢٥٠/٦ فما بعدها.

(١٢) انظر في مراتب الاجتهاد: المداخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٧٤ فما بعدها، الكتاب لعبد القادر بدران، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، ١٩٩١، أدب المفتي والمستفتي ص ٨٨ إلى ٩٨، الاجتهاد في الإسلام، ص ١٧٢ فما بعدها، لنادية العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(١٣) الرد على من أخلد إلى الأرض ص ١١٦.
(١٤) «الحصول في علم الأصول» ٢٥/٦ لمحمد بن عمر الرازي، تحقيق طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة، طبعة ثانية، ١٩٩٢، «المستصفى» ٣٥٢/٢ فما بعدها، لأبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٨٣، «البحر المحيط» ٢٤٢/٦، لبدر الدين الزركشي، دار الكتب، مصر، طبعة أولى ١٩٩٤، «أدب المفتي والمستفتي» ص ٨٩ - ٩٠.
(١٥) راجع «الموافقات» للشاطبي ٦٤/٤ إلى ٦٨، ١١٢ إلى ١١٧، ١١٩ إلى ١٢٠، طبعة دار الكتب العلمية، بتعليق عبد الله دراز.

وانظر تفرقة الشاطبي بين تحقيق المناط العام والخاص والخاص ٦٩/٤ إلى ٧٥ وانظر أيضا «الاحكام في أصول الاحكام» ٢٦٤/٣ لأبي الحسن علي الأمدي، دار الكتب العلمية، طبعة أولى، ١٩٨٥، «البحر المحيط» ٢٢٤/٧.

(١٦) انظر «الأزمة الفكرية المعاصرة» ص ٢٦ - ٢٧، لطله جابر العلواني، منشورات المعهد العالي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة. طبعة أولى ١٩٨٩.

وانظر أيضا: «مراجعات في الفكر والدعوة والحركة» ص ٩٦ إلى ٩٨ للأستاذ عمر عبيد حسنة، منشورات المعهد

الخوارج

روى ابن مساجة في سننه بسند حسنه العلامة الألباني رحمه الله من رواية عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «تنشأ نشأاً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع» قال ابن عمر - راوي الحديث - سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «كلما خرج قرن قطع» أكثر من عشرين مرة: «حتى يخرج في عراضهم الدجال».

مصادقاً لهذا الحديث فقد استمر فكر التكفير ومذهب الخوارج على مر العصور وكر الدهور حتى يومنا هذا وسيستمر هذا الفكر إلى أن يخرج الدجال كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام.

يجدر بنا في هذا الموضوع أن ننبيه إلى

أربعة أمور مهمة جداً تتعلق بالخوارج الأوائل، وتتعلق كذلك بأفكار وجماعات التكفير المنبثقة عن ذلك الفكر الأول:

أحدها: أن الامتداد الحديث للفكر القديم يصح أن نطلق عليه اسم الخوارج ونجري عليه أحكام الخوارج إذ أن الخوارج ليسوا محصورين في أولئك نفر الذين قاتلهم علي - رضي الله عنه - يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى (٤٩٥/٢٨ - ٤٩٦): «... وهذه العلامة التي ذكرها النبي (صلى الله عليه وسلم) هي علامة أول من يخرج منهم، ليسوا مخصوصين بأولئك القوم، فإنه قد أخبر في غير هذا الحديث أنهم لا يزالون يخرجون إلى زمن الدجال وقد اتفق المسلمون على أن الخوارج ليسوا مختصين بذلك العسكر - وأيضاً الصفات التي وصفها تعم غير ذلك العسكر» ويقول رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى (٤٧٦/٢٨) وهذه النصوص المتواترة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في الخوارج قد أدخل فيها العلماء لفظاً أو معنى من كان في معناهم من أهل الأهواء الخارجين عن شريعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجماعة المسلمين.

وعلى هذا فكل من سلك سبيل التكفير فهو من الخوارج لأن الخوارج (يجري مجراهم من سلك سبيلهم) [١].

والثاني: أن الخوارج قد انقسموا - قديماً وحديثاً - إلى جماعات وفرق عديدة وهذه الجماعات ليست بالضرورة على فكر واحد وفهم واحد بل القاسم المشترك بينها هو الاتفاق على تكفير المسلمين وأما ما عدا ذلك فالغالب على هذه الفرق أنها يكفر بعضها بعضاً، يقول الإمام ابن حزم رحمه الله متكلماً عن فرق

مسلم (٧١/٧ - ٧٢): «قوله [صلى الله عليه وسلم] «فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجراً» هذا تصريح بوجوب قتال الخوارج والبغاة وهو إجماع العلماء، قال القاضي: أجمع العلماء على أن الخوارج وأشباههم من أهل البدع والبغي متى خرجوا على الإمام وخالفوا رأي الجماعة وشقوا العصا وجب قتالهم»، ولثبوت النص في الأمر بقتال الخوارج كان السلف يفضلون قتالهم على قتال المشركين فقد روى ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٣/١٥) وأحمد في المسند (٢٣/٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «قتالهم - أي الخوارج - أجل عندي من قتال عدتهم من الترك» [٦].

هذا كله عن قتال الخوارج الممتنعين وأما الواحد المقدور عليه من الخوارج ففيه خلاف بين العلماء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوي (٤٧٥/٢٨ - ٤٧٦): «وأما الواحد المقدور عليه من الخوارج والرافضة فقد روي عنهما - أعني عمر وعلي - قتلهما أيضاً - والفقهاء إن تنازعوا في قتل الواحد المقدور عليه من هؤلاء فلم يتنازعوا في وجوب قتالهم إذا كانوا ممتنعين».

والذي يذهب إليه الإمام النووي رحمه الله أن الخوارج إذا لم يخرجوا عن الطاعة لا يقاتلون يقول في شرح مسلم (١٧٠/٧) «وما لم يخرجوا عن الطاعة وينتصبوا للحرب لا يقاتلون بل يعطون ويستتابون من بدعتهم وباطلهم»، ولكن الراجح أنه يجوز قتل الواحد المقدور عليه منهم إذا كانت المصلحة في قتله، أو ترتب من بقائه حياً الفساد، وهذا هو اختيار شيخ الإسلام

الخوارج: «لهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها» [٢]، وهذا من شأن أهل البدع دائماً وأبداً فإن «من عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن ممدح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون» [٣].

يقول أبو المظفر السمعاني فيما نقله عنه الحافظ قوام السنة الأصبهاني في كتاب الحجة في بيان المحجة (٢٢٥/٢): «إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعاً وأحزاباً لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضاً بل يرتقون إلى التكفير يكفر الابن أباه والرجل أخاه والجار جاره، تراهم أبداً في تنازع وتباغض واختلاف، تنقض أعمارهم ولم تتفق كلماتهم».

والثالث: أن العلماء اتفقوا على وجوب قتال الخوارج إن كانوا ممتنعين غير مقدور عليهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوي (٥٣٠/٢٨): «وقد أجمع المسلمون على وجوب قتال الخوارج والروافض إذا فارقوا جماعة المسلمين»، وقال: «الخوارج المارقون الذين أمر النبي [صلى الله عليه وسلم] بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم» [٤] ولأجل ذلك نقل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى عدم الخلاف في صحة قتال علي رضي الله عنه للخوارج فقال: «فأما الخوارج فلا نعلم أحداً كره قتاله إياهم» [٥].

يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح

أبي وقاص وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم»، ويقول الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (١٦٠/٧): «قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: قال المازري: اختلف العلماء في تكفير الخوارج... ومذهب الشافعي وجماهير أصحابه العلماء أن الخوارج لا يكفرون».

وفي ختام هذا الفصل ننقل ما ذكره العلامة موفق الدين بن قدامة رحمه الله في المغني حيث قال: «ومن اعتقد حل شيء أجمع على تحريمه وظهر حكمه بين المسلمين وزالت الشبهة فيه للنصوص الواردة فيه كحكم الخنزير والزني وأشباه ذلك مما لا خلاف فيه: كفر... إن استحل قتل المعصومين وأخذ أموالهم بغير شبهة ولا تأويل فذلك، وإن كان بتأويل كالخوارج فقد ذكرنا أن أكثر الفقهاء لم يحكموا بكفرهم مع استحلالهم دماء المسلمين وأموالهم وفعلهم لذلك متقربين إلى الله تعالى وكذلك لم يحكم بكفر ابن ملجم مع قتله أفضل الخلق في زمنه بذلك، ولا بكفر المادح له على هذا المتضمني مثل فعله، فإن عمران بن حطان قال فيه يمدحه بقتل علي:

يا ضربة من بقي ما أراد بها
إلا ليبلغ عند الله رضوانا
إني لأذكره يوماً فلحسبه
أوفي البرية عند الله ميزانا

وقد عرف من مذهب الخوارج تكفير كثير من الصحابة ومن بعدهم واستحلال دمائهم وأموالهم واعتقادهم التقرب بقتلهم إلى ربهم، ومع هذا لم يحكم الفقهاء بكفرهم لتأويلهم.

إن الناظر في الساحة الإسلامية الدعوية يرى أن

ابن تيمية رحمه الله وقد استدلل على ذلك بما لا يمكن دفعه يقول في مجموع الفتاوى (٤٩٩/٢٨ - ٥٠٠) «فأما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج كالحورية والرافضة ونحوهم فهذا فيه قولان للفقهاء هما روايتان عن الإمام أحمد والصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم كالداعية إلى مذهبه ونحو ذلك ممن فيه فساد، فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم» وقال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» وقال عمر لصبيغ بن عسل: «لو وجدتكم مخلوقاً لضربت الذي فيه عيناك، ولأن علي بن أبي طالب طلب أن يقتل عبد الله بن سبأ أول الرافضة حتى هرب منه، ولأن هؤلاء من أعظم المفسدين في الأرض فإذا لم يندفع فسادهم إلا بالقتل قتلوا، ولا يجب قتل كل واحد منهم إذا لم يظهر هذا القول أو كان في قتله مفسدة راجحة، ولهذا ترك النبي (صلى الله عليه وسلم) قتل ذلك الخارجي ابتداءً لئلا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، ولم يكن إذ ذاك فيه فساد عام، ولهذا ترك علي قتلهم أول ما ظهروا لأنهم كانوا خلقاً كثيراً وكانوا داخلين في الطاعة والجماعة ظاهراً ولم يجاربوا أهل الجماعة».

والرابع: أن الخوارج مع عتوهم في الضلال وتكفيرهم للمسلمين واستحلالهم لدماء المعصومين فهم ليسوا كفاراً لأنهم فعلوا ذلك بتأويل، ولأجل ذلك الصحابة رضوان الله عليهم لم يكفروا الخوارج الأوائل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٢٨٢/٣): «الخوارج المارقون الذين أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد ابن

كيف كان رأي ابن عمر في الضرورية؟ قال: يراه من شرار خلق الله، قال إنهم انطلقوا إلى آيات في الكفار فجعلوها على المؤمنين [٩].

وما من عاصم من هذه الفتنة وما من دواء لهذا الجهل إلا بالعلم ثم العلم ثم العلم، أعني به العلم المبني على كتاب الله عز وجل وسنة النبي عليه الصلاة والسلام وفهم سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين والعلماء العاملين أئمة الهدى ومصابيح الدجى فمن تنكب هذا الطريق فلا عجب أن يضل هذا الضلال المبين ويزيغ عن الصراط المستقيم.

- البحث صلة -

الهوامش :

- (١) الاعتصام للشاطبي (٢/٧٢٦).
- (٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/١٥٦).
- (٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفى ص ٣٢٠.
- (٤) مجموع الفتاوى (٣/٢٨٢).
- (٥) السنن الكبرى للبيهقي (٨/١٨٨)، بواسطة مدارك النظر للشيخ عبد المالك الجزائري.
- (٦) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٢/٣٠١) قال ابن هبيرة: وفي الحديث أن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين، والحكمة فيه أن في قتالهم حفظ رأس مال الإسلام، وفي قتال أهل الشرك طلب الربح، وحفظ رأس المال أولى.
- (٧) الفصل لابن حزم (٤/١٥٦).
- (٨) بتحقيق الشيخ سليم الهلالي.
- (٩) الأثر علقه البخاري في الصحيح وصححه إسناده الحافظ في الفتح.

فكر التكفير قد استشرى وانتشر وتمخضت عنه أمور يشيب من هولها الولدان فسالت الدماء المعصومة واستبيحت الأموال المصونة وانتهكت الحرمات والمقدسات ولأجل ذلك لا بد من وقفة نحاول فيها أن نتتبع الأسباب والعوامل التي أدت إلى ظهور هذا الفكر أولاً وانتشاره ثانياً، ومن أهم هذه العوامل:

أولاً: الجهل بالشرع من حيث أحكامه ومقاصده وقد كان هذا السبب هو العامل الرئيس في ظهور هذا الفكر أول مرة، فالخوارج الأوائل لم يقعوا فيما وقعوا فيه من البدع والطامات إلا لجهلهم وبعدمهم عن الفقه في دين الله عز وجل فقد كان الخوارج الأوائل «أعراباً قرأوا القرآن قبل أن يتفقهوا في السنن الثابتة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء» [٧] يقول الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى في الإعتصام [٨] (٢/٦٩٠ - ٦٩١): «هذه الأسباب الثلاثة راجعة في التحصيل إلى وجه واحد وهو الجهل بمقاصد الشريعة والتخرس على معانيها بالظن من غير تثبت أو الأخذ فيها بالنظر الأول ولا يكون ذلك من راسخ في العلم، ألا ترى أن الخوارج كيف خرجوا عن الدين كما يخرج السهم من الصيد المرمي لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصفهم بأنهم «يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم» يعني والله أعلم أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم لأن الفهم راجع إلى القلب.

وإن من أدل الدليل على جهل الخوارج أنهم حملوا آيات القرآن على غير مناطاتها وفهموا النصوص على غير مراميها، روى الحافظ أبو عمر بن عبد البر النميري في التمهيد (٢٣/٢٣٥) عن بكير بن الأشج أنه سأل نافعاً مولى ابن عمر رضي الله عنه فقال له:

ولاية البلد الأمين

الثالث وتبقى الحجابة والسدانة لعبد الدار وبذلك أنتقلت ولاية البلد الأمين إلى:

- عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

وكان عبد مناف شريفاً في قومه وسيداً في عشيرته وكان قد ركب صهوة جواد الشرف في حياة أبيه وذهب بالمراتب كل مذهب. وكان يدعى القمر لحسنه وجماله وفيه قال أبو طالب بن عبد المطلب عم النبي (صلى الله عليه وسلم) في قصيدته البليغة المشهورة:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر

فعبد مناف سرهما ومميمهما

واستمرت ولاية البلد الأمين بيده حتى تولاه ابنه سيد البطحاء:

- هاشم بن عبد مناف وهو الجد الثاني لرسول الله (صلى الله عليه وسلم).

واله ينتمي نسب بني هاشم، وفيه حصرت الفضائل والشرف وعرف بحسن القيادة وجميل السيرة فلم يكن له بمكة شرفها الله مساو ولا نظير وكان يكنى أبا فضلة ويقال له عمرو العلي. وهو الذي هشم الشريد لقومه وللحجاج الأفاقيين وسن رحلة الشتاء والصيف التي نوه القرآن الكريم عنها في سورة قريش، واستمرت ولاية البلدة المحرمة فيه حتى توفي بأرض الشام وتولى بعده:

- المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

وظل يحكم مكة شرفها الله فصار زعيماً لا يبارى وسيداً لا يضاهى وسمي الفقيض لسماعته وفضله وكان يقال له القمر لحسنه وجماله وقد ترجم له العلامة الأمام ابن كثير القرشي في تاريخه البداية والنهاية.

ولبت المطلب في ولاية البلد الأمين حتى توفي فتسلم شرف مكة ولايتها من بعده ابن أخيه وربيبه سيد البطحاء:

- عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب جد النبي (صلى الله عليه وسلم) الأول، فمضى على سنن آبائه وأحسن السيرة، وأطعم الحجيج وسقى

وحيث كنت قد توقفت في الحلقة الماضية أن ولاية البلد الأمين قد صارت إلى جد النبي (صلى الله عليه وسلم) الرابع:

قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. وكان من أمره أنه قد احتملته أمه صغيراً من الديار الحرمية إلى الشام وكانت قد تزوجت برجل من أشرف قضاة بعد وفاة زوجها والد قصي. ولما كبر قصي عاد إلى الأباطح المكية مع قوافل الحجيج. وبعد أداء المناسك ثبت في البيت الحرام ولم يرجع إلى أمه، ثم أنه خطب إلى والي مكة وحاجب البيت الحرام. خليل بن حبشية الخزاعي ابنته. حبي فزوجها إياه لما رأى فيه من الوسامة والوضاعة والشرف والسؤدد ما لا يوصف. فلما زوجها إياه دفع إليه مفتاح الكعبة المشرفة كما سبق ذكره، فلما عادت ولاية البيت الحرام إلى قصي بن كلاب، جمع شتات قومه وأعادها إلى محور الديار المكية والرحاب الأبطحية وأقطع مكة لهم رباعاً وأنزل كل قبيلة منها في ناحية فسموه بذلك مجعماً.

وكان قصي رجلاً عاقلاً حازماً بارعاً جميلاً وسيماً حكيماً فأتاعه قومه وهابته العرب، فأنشأ دار الندوة إلى جوار المسجد الحرام وجعل بابها شائعاً فيه وكان بيت في هذه الدار في أحوال وشئون قريش. فلا تعقد الرايات إلا فيها ولا تتكح الأيم إلا ما بعد إذنه. ولا تدرع الفتاة إلا في داره وكان يجتمع فيها برؤساء قريش وينظر في أحوالهم، غير أنه أقر العرب على ما كانوا عليه من عادات، وسن الرفاة والسقاية وإطعام الحجيج ولم يزل حتى أدركته الوفاة فصار الأمر من بعده إلى ولده:

- عبد الدار بن قصي بن كلاب.

فسار عبد الدار على نهج والده وطريقه وظل عليها زمناً وهو جد بني شيبه سدة بيت الله الحرام، فلم يلبث أن وقع التنازع على الولاية والشرف فيما بينه وبين إخوته والمؤيدين لكل فريق منهم وكادوا يقتتلون عليها حتى درأ الله عز وجل عنهم الشر ووقع الاتفاق في معاهدة تسمى المطيبون على أن تكون الرئاسة والولاية والقيادة واللواء لعبد مناف بن قصي جد النبي (صلى الله عليه وسلم)



بقلم: السيد ضياء محمد عطار - المدينة المنورة

الاسلام في الرحاب الحريمية وسطع نوره.

وحدث التحول العظيم في تاريخ البلد الأمين وبعد أن آلت ولاية البيت العتيق الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقبض مفتاح البيت ودخله معززا مكرما متواضعا لله رب العالمين وأطلق الاسارى من قريش فقال اذهبوا فانتم الطلقاء أعاد (صلى الله عليه وسلم) اشارة البلد الحرام الى شباب من بنى أمية كما رد مفتاح الكعبة المشرفة الى أصحابها من بنى عبد الدار بن عبد مناف خالدة تالدة الى يوم القيامة حين أنزل الله عز وجل عليه قوله: {إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها} الآية... وولي على مكة شرفها الله سيدنا عتاب بن أسيد الأموي وهو شاب حدث وأوصاه بأهل مكة خيرا فقال له: أتدري على من وليت؟ فقال صلوات ربي وسلامه عليه مجيبا: على أهل الله فاستوصى بهم خيرا كررها عليه ثلاثا... وربط له مكافاة يومية قدرها درهم واحد فكان يقول رضي الله عنه في بعض خطبه: أيها الناس أجاغ الله كبد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) درهما كل يوم فليست لي حاجة الى أحد كما ذكره الامام أبو محمد بن هشام في سيرته المشهورة وذكر العلامة نجم الدين ابن فهد الهاشمي في كتابه إتحاف الوري بأخبار أم القرى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرض له أربعين أوقية فضة: وذكر العلامة ابن قدامة المقدسي في كتابه التبيين في أنساب القرشيين أنه حلف بالله عز وجل وقال: ما أصبت في عملي الذي بعثني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليه إلا ثوبين.

ولم يزل الأمير عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية الأموي القرشي رضي الله عنه في ولاية البيت العتيق حتى قبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأنقره خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الصديق سيدنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه على ولايته للبلد الحرام فلم يزل عليها حتى توفي الى رضوان الله تعالى وكان دفنه يوم دفن الصديق رضي الله عنه بالمدينة المنورة، وذلك في السنة الثالثة عشرة من الهجرة وهو ممن توفي بمكة شرفها الله من حكامها في الاسلام وكان عمره يوم وفاته خمس وعشرون سنة، والله تعالى أعلم..

- الحديث بقية -

السقاية وحفر زمزم بعد اندثاره وقد دل على مكانه في النوم برؤيا رآها فكانت منقبة عظيمة له، وكان يتحدث بغار حراء يتعبد فيه الليالي والايام، وكان مجاب الدعوة ويستسقى به قومه عند الجذب وكان يطعم الفقراء والوحوش والطيور وكان يدعى الفياض لسماعته وفضله. وقصته في حفر زمزم وما حدث له وقصته مع أصحاب الغيل متواترة مشهورة وقد كفل النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد أمه حتى بلغ الثمانية من العمر، ولبت عبد المطلب في حكم مكة شرفها الله ما لبت حتى توفي عن مائة وعشرين سنة وقيل أقل من ذلك وقد رثاه الشعراء ومنها قولهم:

على شيبة الحمد الذي كان وجهه

يضيء سواد الليل كالقمر البدر

كما ذكره الامام أبو محمد بن هشام في سيرته المباركة.

- ومن بعده صار الأمر وولاية البلد الحرام الى عمه وصنو أبيه عبد شمس بن عبد مناف وكان رجلا كثير الأسفار وتوفي بمكة شرفها الله فصار الأمر من بعده الى ابنه:

- أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب جد بني أمية. ومن بعده انتقلت ولاية البلدة العظيمة الى ابنه:

- حرب من أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. فقاد أمية حرب الفجار المشهورة وشهدها النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو ابن عشرين سنة كما ذكره الامام أبو الوليد الأزرق في أخبار مكة.

وبعده صارت ولاية البلد الحرام الى ابنه:

- أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي القرشي رضي الله عنه وقد تولى القيادة بمكة شرفها الله وقاد الحروب وعقد الرايات قبل اسلامه ولم يزل كذلك حتى كتب الله عز وجل له الايمان والاسلام في السنة الثامنة من الهجرة عام الفتح رضي الله عنه وأرضاه وبذلك انتهت ولايته وعادت ولاية البلد الأمين الى دولة الاسلام ورعاية سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وانتهت ولاية قريش في الجاهلية على الاباطح الحكية وبزغ فجر



قراءة في قصيدة الشاعر الخطيب

لقد كانت أحوال المناطق والواحات والهجر يرثى لها، يحدثني جدي لامي وأستاذي الراحل/ عبد اللطيف بن عبد العزيز العبد الله الرشيد (يرحمه الله) قائلاً: لقد حرمني من جدي لامي/ عبد الله بن دخيل، حين قتله الأعراب من قبيلة (؟) وهو متوجه إلى دولة البحرين على طريق ميناء الأحساء (العقير) حيث خرّ صريعاً من مطيته الحملة بالتمور والأرز الأحسايني المشهور وغيرها من خيرات الأحساء ومنتوجاتها.

وذكر لي أبي/ عبد الله بن أحمد الهاشل (والد زوجتي) من رواية قرية الشقيق قائلاً: إن الحياة كانت صعبة، حيث لا يأمن الشخص على نفسه، فلا يمشي إلى مزارعه إلا بالسلح، إلى درجة أن بعض أهل البادية يحرمون الماشي من ثوبه، وربما أخذوا ثوبه وقتلوه أيضاً، كما يحدث

نحن أمام قصيدة دالية عصماء، قالها الشاعر العراقي «محمد رضا الخطيب» وألقاها بين يدي المغفور له بإذن الله تعالى الملك عبد العزيز آل سعود - يرحمه الله - بمضى عام ١٣٥٤هـ. وأفكار القصيدة (عناصرها) تتمثل في خمس نقاط:

موقف العرب كافة من الملك عبد العزيز، وإعجابهم بنخوته وسياسته، وأنهارهم من توجهه الإسلامي السامي، المتمثل في: الوحدة، ولمّ الشمل، والدود عن حمى الإسلام والمقدّسات. نعم إنهم رأوا فيه السيد الشجاع، الذي يبأى الضيم، ويطمح إلى بث روح الحياة في جزيرة الإسلام (الجزيرة العربية) بعد أن كانت شبه ميتة! عبر ما يحدث فيها من فوضى وفتن. فلا أمن، ولا أمان، ولا عدل ولا نظام.



بقلم : **عبدالله بن ناصر العويد** - السعودية

ثم تحدث عن صفات الملك/ عبد العزيز، وابتدأ بمحاربة البدع، ولم يفصلها الشاعر، لكنها معروفة لدى المثقفين وغيرهم. وهي مذكورة في كتب التاريخ والعقيدة، ومقررات الطلاب في شتى المراحل، ومنها: الطواف حول القبور، والتوسل لها، والبناء فوقها، وتقديس الأولياء عبر الغلو المقوت الذي لا يرضي من يقصدونهم لو كانوا أحياء، والاحتفالات بالموالد، وحادثة الإسراء، وليلة النصف من شعبان... وغيرها مما لم ترد نصوص تؤيدها (..) ابتدعوها ما كتبناها عليهم). فكان الملك عبد العزيز يحث العلماء الثقة على الدعوة بالتي هي أحسن، ويشجع بالدعم في طبع الكتب، فأحال أجواء الضلال المظلمة إلى أنوار الرشاد!! وذلك بسخائه الذي شبهه الشاعر بالغيث العميم، فلنستمع إليه، وهو يشدو قائلاً:

أخوهمة، لم يُبق في الناس بدعة
تخالفه إلا إلى الدين قادها
أتى للورى نوراً من الحق مشرقاً
لتبصر من بعد الضلال رشادها
لئن أجبت فالكف منه كفيلة
تقوم مقام الغيث، إن هو جادها
لقد محض الإسلام نية ناصح
كما محضته كل نفس ودادها

لبعض ضعاف الفلاحين في ذلك العصر (لا أعاده الله)، حيث إن اللصوص من الأوغاد يأمرون الفلاح بخرف الرطب، أو صرام التمر، وقس على ذلك قطف الثمار: كالخوخ والزمان والليمون والاترج والتين... الخ من خيرات هجر.

ثم يجازى بعدها بالضرب أو القتل!! إلا من عنده شيمة منهم، فيكتفي بالسرقة، ثم يولّي ذليلاً، منتظراً العقوبة الدنيوية قبل عقوبة الآخرة!!

أعود إلى الآيات التي نوهت عنها في مطلع القصيدة، والتي تبين موقف العرب من الملك عبد العزيز آل سعود، كما أسلفت، حيث يقول (يرحمه الله):

أرى العرب، قد ألفت إليك قيادها
وأعطتك عفواً قلبها وفؤادها
فتحمي نواحيها، وتجمع شملها
وتمنع عنها بالأذى من أرادها
لقد وجدت فيك الجزيرة سيداً
علاها على رغم الأثوف وسادها
وكانت مواتاً قبل ذاك، وإنما
«أبو فيصل» نحو الحياة أعادها
ليجعل فيها الأمن والعدل ظاهراً
ويعمو بآيات الصلاح فسادها

لوجه، بعد أن سلب الشوق من ناظره رقاده!!
أجل ٠٠ لن يهنا لعينيه الرقاد إلا بعد أن تكتحل
بمراى من قصده ٠ وحق له ذلك ٠

ما أجمل هذا الشوق! وما أروع! وقد قص
أجنحة النوم، حتى لا تحوم على أجواء ناظره!!
حول هذه الفكرة المضيئة في قلب مروج القصيدة،
ها هو يقول بكل فخر واعتزاز :

قطعتُ إليك الفج، والشوقُ رائدي

ونارُ الجوى أورتُ بقلبي زنادها!

ولما بدتُ من أرض نجد نفوذها

وقد قاربتُ نفسُ المشوقُ نفادها

تعلّلتُ في لُقياك عن كل مأرب

ونفسي من ذكراك صيرتُ زادها

وحين تراءت للحجاز مضاب

وقد سلب الشوقُ العينون رقادها!!

فقلتُ لها: قرى، فقد قرُب الحمى

وقاربتُ مولى يعرُب وجوادها

ويأت تناجي الفرقين مناعة

مبان لك الرحمن بالعز شادها

بعد ذلك شرع يدعو بدوام الحكم للملك عبد
العزيز وذريته، بأن تكون القيادة فيهم إلى يوم
الحشر، وفيها دعاء للملك فيصل (يرحمه الله)،
الذي أحكم ثغور البلاد بدهائه وشجاعته وإقدامه
منذ شبابه المبكر، كما دعا للملك عبد العزيز بطول

طقق الشاعر يعبر عن شعوره تجاه إعجابه
بالشخصية الفذة التي منحها الإله الحكيم
لمدوحيه، وهو من يستحق أضعاف ما قال، حيث
إنه قطع الفجاج (فجاج الجزيرة) مشرقاً من
موطنه العراق، ورائده في ذلك الشوق، بيد أن نار
الجوى أورت زنادها بقلبه المتلهف المتوهج للملك
عبد العزيز، بعد أن غرّدت البلبل بذكره فوق أفنان
فؤاده الرحب، على أن نفس المشوق قد قاربت
نفادها عندما وصل إلى منتصف طريقه على كثبان
النفوذ من ديار نجد أثناء توجهه إلى ديار الحجاز
للحج والسلام على الملك الصالح الذي ما انفك
يدعو له طيلة المسير، وقد انتشر نبأ عدله وحكمته
وحكمته في الآفاق:

تذكرني الرمال بأرض نجد

وقلبي عند من هن الرمالا!!

والصبر جميل، لكن للصبر عند المتلهفين حدود،
فليس لشاعرنا إلا أن يعال نفسه، ويسليها بالأمل
القريب المنتظر، حيث ستقر عينه عندما يسعد
ويتشرف بالوقوف أمام الملك عبد العزيز، كما يقول
الطغرائي (يرحمه الله):

أعلُ النفس بالأمال أرقبها

ما أضيق العيش! لولا فسحة الأمل

وقفة! إذا بشاعرنا أمام مضاب الحجاز وجهاً

المنهل

ولا ٠٠ والذي استولك حرمة بيته
ولاكها بطحهاها وجيادها
تجدد فيك العيد في كل حجة
وتثنى إليك المكرمات وسادها!

هكذا انتهت قصيدة الشاعر العراقي الوفي «ابن الخطيب» أثابه الله ورحمه، بعد أن تجولنا في بساطينها العيقة، ذات الأزهار المبتسمة، والأنهار المتفجرة!! والحديث عن الملك «عبد العزيز» - يرحمه الله - ذو شجون، وهو بحاجة الى مؤلفات، لأن حياته كما يقول فضيلة الشيخ/ محمد بن عبد الرحمن آل إسماعيل (مدير إدارة الأوقاف والمساجد في الأحساء)، وهو من المؤلفين المبدعين في الفقه والعقيدة والأدب واللغة والتاريخ والتراجم والنقد ٠٠ حيث يقول (أثابه الله):

«فحياة الملك عبد العزيز رحمه الله مليئة بالأحداث الجسام، والعبر . وشخصيته متعددة النواحي، في كل جانب منها تبرز عظمته، حتى إنها الجديرة بتقديم رسالة أو بحث .

فعفته واستقامته وورعه وشجاعته وفروسيته وفراسته وإقدامه وانتصاراته وبعد نظره، وسعة أفقه ٠٠ وإقامته الحدود الشرعية وصرامته وعدله وتأمينه السبل وأخذه على أيدي المفسدين وتقديره للعلماء الصادقين المخلصين، كل ناحية منه تستحق دراسة مستقلة ٠٠ الخ»

انظر مقدمة كتابه (شعراء العلماء بين يدي الملك عبد العزيز).

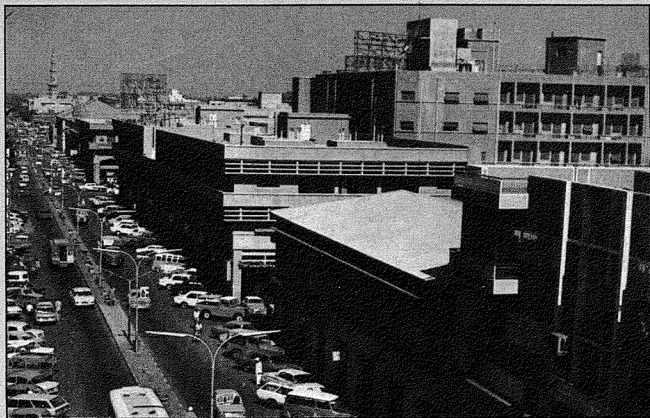
العمر المبارك، فهو مَنْ سيقود الأمة من الغمة الى القمة!! مهما شبّت فتن الغرب الحقود:

إلى الحشر فيكم، لا تزال وراثته
نؤملُ من باري الوجود امتدادها
وفي «فيصل» أكرم بطلة فيصل
وجدنا ثغور المسلمين سدادها
تراه يداً للمسلمين وعُدّة
إذا فقدت يوم النضال عتادها
أمولاي ٠٠ دم للعرب حياً ملكاً
وتلك حياةً ، لا تُحبُّ افتقادها
لعلك إن شِيتُ من الغرب فتنةً
لتضمنُ للإسلام منها حيادها

وختم مسكها الفواح بمخاطبته منادياً بأنه
دبج قصيدته، وهو في غاية الفخر والاعتزاز، بيد
أنه جعل مدادها من سواد عينيه، التي ملأ بها
عيون المحبين قرّة! وعكس ذلك مع الشائئين .

ويقسم بالله الذي اختار الملك عبد العزيز
حاكماً وحارساً على نجاد الوطن ويطاحها بتجدد
العيد في كل حجة، على أن المكرمات؛ تنثني إليه
وسادها!!

أمولاي ٠٠ قد دبجتُ فيك قصائدأ
جعلتُ سواد العين مئي مدادها!!
ملأت بها عين المحبين قرّة
ومن عين أعداكم، فقتُ سوادها!



الشاعر السوداني أحمد محمد صالح

«الإنجليزي الأسود» لعرفته الفائقة باللغة الإنجليزية. وعند استقلال السودان أختير عضواً في مجلس السيادة، وكان له فضل في نظم نشيد الجيش والسلام الجمهوري السوداني.

كان شاعراً فحلاً، عشق الشعر منذ طفولته وحفظ عيون الشعر العربي والإنجليزي وأطلق عليه الشعراء المعاصرون له لقب «الأستاذ الشاعر». كان وطنياً يعتز بكرامته وحريته، وله ديوان بعنوان

ولد شاعرنا أحمد محمد صالح - طيب الله ثراه - في أم درمان عام ١٨٩٤م وتوفي في عام ١٩٧٢م، تخرج في كلية غردون عام ١٩١٤م وعمل مدرساً للغة الإنجليزية والجغرافيا بالمدارس الابتدائية (المتوسطة الآن) - ورقي ناظراً وهو في الثلاثين من عمره، وتقلد وظائف كثيرة في وزارة المعارف حتى أصبح نائباً لمديرها الإنجليزي. عمل أيضاً مدرساً بكلية غردون وسماه طلبته في الكلية

المنهل

٥٤



بقلم : د. عبيد خيرى - المدينة المنورة

اتسم بجزالة اللفظ وجمال التجسيد وحسن السبك والصياغة، فقال:

صبراً دمشق فكل طرف باك
لما استببح مع الظلام حماك
جرحُ العروبة فيك جرحُ سائلُ
بكت العروبة كلُّها لبيكاك
جزعتُ عمانُ وروعتُ بغدادُ واهـ
تزتُ ربي صنعاء يوم أساك
وقرأتُ في الخرطوم آياتِ الأسى
وسمعتُ في بيروت أنثى شاكِي
الزعفرانُ مشّت عليه كآبة
لما استبد السيفُ في مضناك
والروضةُ الفيحاء روعَ ركنُها
لما تعفر بالثرى خدَاك

ثم دلف بعدها يتحسر على الغساسنة والعرب في دمشق وهم يلثمون حصاها وثرأها حباً وعاطفة وهياماً بها، ثم يعود فيواسي الأمة العربية في الكارثة التي أحلت بها ليهون على نفسه وقع الفاجعة وفظاعتها، وعلى الرغم من ذلك الدمار

«مع الأحرار» مقسم إلى أبواب هي: باب المدح، باب الرثاء، باب الاجتماعيات، باب الوطنيات، باب الغزل، وأخيراً باب العروبة. هذا ووجدت أحداث العالم العربي طريقاً إلى نفسه وحركت مشاعره فصاغ في ذلك شعراً حافلاً بضروب البلاغة والبيان.

وفي قصيدته «دمشق مهد الحرية» يصور شاعرنا ما ألم بها من دمار وخراب عندما أراد الفرنسيون الاستيلاء عليها وضمها لهم كإحدى مستعمراتهم. فصاغ في ذلك شعراً ضمنه لواعج نفسه وصور فيه صدى تلك الكارثة في مختلف البلاد العربية وعواصمها التي رددت هذا الصدى ألماً وحسرة وغضباً، فهو يهيب بدمشق ويناشدها الصبر وسعة الصدر وطول الأناة. هذا وجسّد دمشق في شخص حزين مكفهر الوجه، ولم يكن جرح دمشق جرحها فقط بل كان جرحاً عميقاً غائراً في مختلف البلاد العربية. فعمان جازعة وصنعاء مهتزة روايبها لهول ما أصاب شقيققتها دمشق، والخرطوم ترى في محياها آثار الحزن والألم الدفين، وبيروت تنثن أسى وحزناً عميقاً. كل هذه المآسي والأحزان صاغها الشاعر في أسلوب

والهلاك فسوف تعود دمشق لا محالة إلى رونقها
وعظمتها ومجدها الطارف التليد . فكانت حاضرة
للأمويين وتاجاً على رؤوسهم حيث كانت عزيزة في
الجاهلية والإسلام، فهي قبلة العباد والنسك، وفي
هذا أنشد شاعرنا قوله:

ضربوك لا متعفين سفاهة

لم تأت إثمأ يا دمشق يداك
ورماك جبّار يتيه بحوله
شُلْتُ يمين العليج حين رماك
أين الفساسة الألى دانت لهم
عُربُ الجزيرة يلثمون حصاك
بل أين من مروان كل خليفة
لو يستطيع بتاجه لفداك
قم يا ابن هند وامش فيهم غزياً
في كل جبّار العزيمة شاكي
جدد لنا يوم اللواء وعهده
وأعد علينا ما حكاه الحاكي
أيام خيل الله أو قلّ جمعهم
في دار أهل البغي والإشراك
يحملن كل أغر وضّاح السنّا
عند الكريهة باسم ضمّاك
داسوا فرنسا واستباحوا أرضها
وغدوا لحوزتها من الخلاك

المنهل

٥٦

سبحانك اللهم أمرك نافذ

لك حكمة جُلّت عن الإدراك
صبراً دمشق فكلّ هم زائل
وغداً يلوح مع النجوم سناك
تتألقين كما عهدتك درة
في تاج أنوع من أمية زاكي
في الجاهلية كان عزك بانخاً
وازدان بالإسلام عقد حلاك
يا جنة الدنيا وبهجة أهلها
وحظيرة العباد والنسك
يا معقل الإسلام في عليائه
لا تُدعني للفاضب السفك

ثم خاطب شاعرنا ديّجول (رئيس فرنسا)
ساعتئذ وذكره بما أصاب سيدان وما عاناه رجاله
من التقتيل والتعذيب وموقفه الجبان وفراره حين
غزا هتلر بلاده تاركاً قومه تحت نيران الحروب
ومآسيها، ناجياً بنفسه ممثلاً الغدر والإفك
والخيانة . ثم مجد شاعرنا للإنجليز دورهم في
مساندة فرنسا فلولاهم لأصابتها وصمة العار
والذل والخزي، ولكن حتى هؤلاء جحد ديّجول ما
فعلوه وتياهى بذلك النصر الذي لا محالة زائل

وغداً تدور الدائرات على بلاده وعندها سيكون
شاعرنا أول شامت يتعاهها، فقال:

قولي لذي جول مقالة شامت

أنسيت في باريس نوح الباكي؟

أنسيت كيف ترنحتُ (سيدان) من

ضرب على هام الرجال دراك؟

أنسيت يوم أذاك هتلتُ غازياً

وفررت لم تصبر ليوم عراك؟

خُلفت قومك يلطمون خبودهم

ونجوت فعل الغادر الأفك

مهلا فرنسا فالحوادث جمّة

والدمر نوراً مع الأفلاك

والله لولا الإنجليز وحلفهم

لذهبت غير حميدة ذكراك

هم أزروك فكُنت وصمة عارهم

ياليتهم تركوك في بلواك

سرعان ما نسيت يداك صنيعهم

ورميتهم بالطين والأشواك

وزهيت بالنصر الرخيص سفاهة

أتراك بلُغت الأمان ثراك

اليوم أنت عزيزة موفورة

حتماً فهتلتُ قد مضى لهلاك

وغداً تدور الدائرات فشمري

سأكون أول شامت ينعاك

ثم ختم شاعرنا منظومته هذه بتوجيه النصيح
الى العرب وطلب منهم عدم الركون الى الغرب،
فهم كفرة لا يوفون بوعد، ولكنهم ينصبون حباتهم
للدول الصغيرة فتقع في شراكمهم. ثم أوصاهم
بالاعتماد على النفس وحماية أوطانهم والزود عنها
بكل ما أوتوا من قوة الإيمان وثبات العقيدة، وذلك
في قوله:

قل للعروية قول باك مشفق

لا تركني للغرب في مسعاك

الوعدُ عندهم جَهَامٌ خُلِبَ

وعهودهم شَرَكٌ من الأشرار

إن كنت تبغين الحياة عزيزة

صُونِي حماك وسدي مرمك

(من لم يذد عن حوضه بسلاحه)

كَبُرَ عليه فذاك في الهلاك

إن كان سرُّك أنهم قد بشُّروا

بالحبِّ حقاً كان محض تباك

كم خورُ الأعصاب مغوالُ المني

حلّو الحديث حُباله الفتاك

الاجتهاد مشروع حضاري

ثقافة الإبداع والتجديد

عملاً حديثاً، وبهذا المعنى فالحداثة ظاهرة تاريخية إنسانية عامة [٢]، وليست وقفاً على مرحلة معينة من التاريخ الحديث، كما يريد لها الأوروبيون والمتغربون في بلادنا.

ولقد عدَّ الاسلام الاجتهاد في الامور التي لم يرد فيها نص شرعي (إلهي أو نبوي)، عُدَّةً مصدراً من مصادر التشريع، وندب إليه القادرين عليه، وأثاب من يصيب فيه مرتين، ومن يخطئ مرة ولعل في ذكر حديث معاذ بن جبل (رضي الله عنه) ما يوضح هذه الدرجة الاجتهادية. فلقد سأل الرسول (صلى الله عليه وسلم) معاذاً عن سبيل استنباطه للأحكام التي سيقضي بها بين الناس قائلاً: (بِمِ تَقْضِي؟)، فقال: بكتاب الله، فسأله: (فإن لم تجده في كتاب الله؟)، فقال: أقضي بما قضى به رسول الله. فسأله: (فإن لم تجد فيما قضى به رسول الله؟)، فقال: أجتهد رأيي، ولا ألو. وعند ذلك قال الرسول: (الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله) [٣].

هذا في حدود الدين والفقه، حيث يطلب النظر والاجتهاد أو قل التجديد، كما يفهم من الحديث: (يُبْعَثُ الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها) [٤]. والدعوة في هذا المجال مستمرة حيث

ما من شك في أن الاسلام قد أطلق عنان التفكير والاجتهاد ودعا الى اكتشاف السنن الإلهية في الكون والحياة والاجتماع... وهذا كتابه الأكبر (القرآن الكريم) يمثل دعوة صريحة الى التدبير والتفكير والنظر والابداع والانتاج والعمل [أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض، وما خلق الله من شيء] (الأعراف/ ٥٤). (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) (الذاريات/ ٢١). وكان ثمار هذه الدعوة ذلك المنهج التجريبي الذي أبدعه المسلمون وانتجوا من خلاله آثاراً علمية شهدها لهم العالم بالبراعة فيها والأصالة، ولقد كان معلوماً في تاريخ العلم أن الأوروبيين في عصر نهضتهم اقتبسوا هذا المنهج من المسلمين مباشرة، بعد أن عجز المنهج الارسطي عن أن يكون أداة علم نافع، وكان المسلمون من قبل قد نقدوا هذا المنهج وتجاوزوه [١].

والحق أنه لا يمكن للإنسانية أن تتطور وتتكيف مع ما يحيط بها من عوالم، ولا يمكن أن توظف هذه العوالم لخدمتها، دون أن يكون هناك منهج عملي يفضي الى الابداع، كما أنه بدون هذا الابداع لن تكون هناك نقلات في تاريخ البشرية على مستوى الفكر والاكتشاف والصناعة، ولن تكون هناك حداثة بالمعنى الذي نفهمه للحداثة، وهو أننا وجدنا إبداعاً وجدنا

الاسلامية وسماتها، وما عداها من نتاجات المسلمين فنحن نتعامل معها بحرية تامة، فنأخذ ما نأخذ وندع ما ندع، ولكننا - وهذا حق يجب أن يؤكد - لا نتعامل مع هذا التراث، تعاملنا مع الوافد الغربي الذي يعكس التصور الأوربي للحياة، ونضعهما على طاولة واحدة.

فالأمر مختلف، إذ إن ما أنتجه المسلمون القدامى صار جزءاً من كيانتنا وحياتنا المعاصرة، وهو يسري في شرايين كل جسد منا، فهو - في كثير من جوانبه - معاصر وحيوي، بقدر ما هو ماض وتراث، ولكن الذي نحياه من الوافد المستورد لم يشكل جزءاً من كيانتنا العضوي، بل إنه مازال طارئاً مفروضاً علينا بالاكراه تارة، وبالإغراء تارة أخرى.

وبكلمة أخرى إننا

لا بد أن نفكر في معادل مشروعا الحضاري الجديد من خلال ما نضيفه نحن، وليس من خلال ما نقتبسه من الغرب، أو نقلد به اسلافنا، وهو غير نافع، وغير مناسب ليقاع حياتنا وحركتها وتوقها الى المنافسة والبناء والحضور.

وفي هذا المجال لا بد أن نشير إلى شريحة من الناس الاحياء بيننا تستقرهم

يجب بذل الجهد العلمي الدائب وتشجيع منهج الجمع بين العقل والنقل، واصطناع علوم الدراية الى جانب علوم الرواية، وذلك من خلال فقه اسلامي معاصر يساعد على التطبيق اليومي للاحكام الشرعية، مما يجعل الدعوة الى جعل الشريعة الاسلامية مصدراً للتشريع في العالم الاسلامي أمراً مقبولاً لدى الامة، ومفروضاً على الحكام الذين لا يرضيهم هذا الاتجاه.

اما فيما يتعلق بالابداع والاجتهاد والتجديد في امور الدنيا، فلا حدود له اذا التزم بالخطوط العريضة للتصور الاسلامي، ومصالح العباد، بل هو عبادة لله اذا توفرت فيه النيات الصالحة.

واذا كنا نفكر في مشروع احياء حضاري هادف، فانه لا مفر لنا من جعل الابداع هاجساً يعمياً في ضمير كل إنسان مسلم في حدود الطاقات والامكانيات والمواهب. ولكن لا ينبغي أن يكون هذا الابداع خاضعاً لضغوط المشروع الأوربي الذي يريد تفصيل الحياة الاسلامية على قياساته وتصورات، لأننا لو فعلنا هذا لفقدنا مبرر عرض أي مشروع، لأن عرضك لمشروعك الحضاري يعني قبل كل شيء تميزك وأصالتك وإبداعك الخاص.

كما ينبغي التاكيد على ان المشروع الثقافي الاسلامي لا يعني السكونية والركون الى جوانب الابداع في العصور الاسلامية السابقة فيما لم يعد مفيداً للحياة المعاصرة، لأننا لا ننظر الى هذه الجوانب نظرة تقديس ولا نعطيهها صلاحية البقاء لكل زمان ومكان، لانها نتاج انساني خاضع لزمانه ومكانه. ومن المعلوم أننا لا نلزم انفسنا الا بما هو ثابت من مصادر التشريع الاسلامي، وما هو من ثوابت الشخصية

**** الحداثة
ظاهرة
تاريخية
انسانية
عامة.**

**** الاجتهاد
منهج عملي
يفضي الى
الايداع
والتقدم.**

**** المشروع الضاري ركائزه الابداع والاجتهاد**

والعمل الثقافي، وحماية الآثار،
ويتكبن الاتحادات والنقابات الخاصة
بالتقافة بأنواعها المختلفة[هـ]، بمعنى
أخر أن تكون لنا سياسة ثقافية شاملة
واسعة تمثل الثقافة بروحها العام،
وهي حركة الفكر والادب والصناعة
والثقاليذ، بل حركة الحياة كافة.

ومما من شك في أن روح هذا
المناخ الثقافي العام وقاعدته هي
الحربة التي تسمح لجهاز التنفس لدى
الفكر والابداع أن يعمل بأقصى
طاقاته دون معوقات أو اختناقات، إذ

انه لن يكون هناك إبداع مع القيود والهيمنة
والاستبداد والفرعونية السياسية والثقافية، فالبليل-
كما هو معلوم - لا يُنسلُ داخل قصص، حتى هذا الطائر
الصغير له أسلوبيه في رفض القيود والاعتراض عليها
بطريقة عدم الإنجاب حتى لا يلد عبيداً مقيدين مثله!!

غير أن قضية الحرية هذه يتجاهلها جانبان
متطرفان هما: حرية مطلقة من كل قيد، ولا حرية على
الاطلاق!! وكلا الجانبين غير مجد وغير واقعي ولا
يسهم في بناء الحياة والانسان والنظر الصحيح الى
هذه المسألة يمكن استجائوه من المنهج الاسلامي الذي
لا ينظر الى حرية الفرد الا من خلال المجتمع بما فيه
من أفراد آخرين واتجاهات أخرى، وهو ينمي لدى
الانسان الوازع الاخلاقي الذي يراعي الذات والجماعة،
ولا يشتط او يجعل كفة الميزان تميل لصالح الذات، او
تذيب الذات في المجتمع الا في الحالات الخاصة
بالتضحية التي تحمي الذات والمجتمع معاً[٦].

إن الانسان في المفهوم الاسلامي سيد في الكون
مكرم، وهو يمارس حريته كخليفة لله في هذا الكون،

الدعوة الى التجديد واستعمال العقل خشية منهم وغيره
على الدين، وهم صادقون مخلصون في هذه الخشية
والغيرة، ولكنهم ليسوا على صواب في هذا الاتجاه،
وإن فهمهم هذا مجانب لمنهج الدين نفسه، فالدين
الاسلامي في حقيقته ثورة على الجمود ودعوة الى
التأمل والاجتهاد والابداع، كما اشرنا.

ومن المعلوم أن أمتنا مرَّ عليها وقت من الخمول
والتبطل والركون الى التواكل وعدم التعلق بالاسباب
والبعد عن روح العلم والعمل والفاعلية، فعليتنا - ونحن
في سبيل الدعوة الى مشروع ثقافي حي - أن نُهَيِّئَ
المناخ المناسب للفكر المبدع، والنتاج الخلاق، والروح
المتوثبة المجددة، التي تحرك الكيان الانساني كله: عقله
وقلبه ويده، ليسوح في ملكوت الكون فيبدع ويبني
ويجني ثمار ابداعه وبنائه.

يرى بعض المفكرين إن السبيل الى هذا المناخ هو
(توفير او تطوير بعض التشريعات القانونية اللازمة
للنشاط الثقافي، وعلي رأسها التشريعات المتعلقة
بحرية المثقف، وبتشجيع الانتاج الثقافي وبتحويل
الثقافة، وبانشاء الصناعات الثقافية، وبحقوق التأليف،

**** الاسلام**

ثورة على

الجمود،

ودعوة للتأمل

والتجديد.

**** الثقافة،**

مفاتيح حركة

الحياة.

**** الحرية،**

هي منظومة

الوازع

الأخلاقي

الذي يراعي

الجماعة

والذات.

**** في المفهوم**

الاسلامي

الانسان سيد

في الكون

وليس سيد

الكون.

وجهت إليه نقداً أدبياً
أو علمياً - تنتفخ طائناً
أن هذا النقد موجهاً
الى شخصيته، وليس
الى الأثر النقود إن
كان أدباً أو علماً.

وكلمها زادت

نسبة (الهمج
الرعاع) - بتعبير
الامام علي - كان
المجتمع اقل
استعداداً للنقد، وأقل

تقبلاً للنمو: (الناس
ثلاثة: فعالم رباني،
ومتعلم على سبيل
نجاة، وهمج رعاع
أتباع كل ناعق،
يميلون مع كل ريح،
لم يستضيئوا بنور
العلم، ولم يلجأوا الى
ركن وثيق) [٩].

وكما قلت فيه نسبة
هؤلاء، وزادت نسبة
المتعلمين على سبيل
النجاة، ونسبة
المبدعين والمجتهدين
الذين يستخدمون
عقولهم، ويستنبطون
الاحكام الشرعية،
ويساهمون في تنمية

وهو بذلك لن يسيء استعمال هذه الحرية، ولن يركن
معها الى ظلم، وهو يختلف عن الانسان الاوربي الذي
أراد أن يكون سيداً للكون [٧]، أو إليها فيه، بعد أن
تمرد على الالهية العظمى، وكانت الحرية التي أعطاها
هذا السيد لنفسه قد أفضت به - في جانب من جوانبها
- الى الخروج عن أي التزام أو أخلاق يفرضها الدين،
ولم يعرف الا الاخلاق التي تؤدي الى المنفعة.

والمعلم الآخر المتولد من مناخ الحرية هو تربية
العقل الناقد الذي يتعامل مع الأفكار بعقلانية وفعالية
ناقدة، ولا يأخذها كمسلمات الا ما كان منها منسجماً
مع الفطرة والعقل الكلي والتوجيه الرباني المتفق على
نصيته.

وهذه العقلية الناقدة المتبصرة هي التي تقابل بين
مختلف المعطيات حتى ما كان منها متعارضاً، لتقارن
وتحاكم حتى تتوصل الى وجوه الحق بأكثر ما يمكن
من الضمان، دون الاقتصار على الوجه الواحد من
المعطيات مما قد يكون سبباً في انحجاب الحقيقة أو
جزء منها عن الباحث عنها [٨].

وما من شك في أن المجتمع الذي يتمتع بدرجة
عالية من الرشد والوعي هو الأقدر على اشاعة روح
النقد بين اعضائه وجعله عرفاً أو تقليداً اجتماعياً
وثقافياً يسهم في بناء الكيان الثقافي كله، ويسارع في
البناء الحضاري للامة. ولو أنك تصورت مجتمعاً يخلو
من روح الإرشاد والنقد والتربية الناقدة الواعية،
لتصورته مجتمعاً ساكناً راكداً خالياً من ملامح
الحياة فاقداً لحركة النمو والتطور، ولن يكون هذا
المجتمع سوى مجتمع السلطة القاهرة، والفرعونية
المجبرة، والرأي المفروض بالأسنة والحراب!! ولقد
لاحظنا من خلال المعايشة أن المجتمعات الراكدة
يثيرها النقد ويستفزها، وترى أوداج الشخص - اذا ما

**** الحرية تعلي من شأن العقل الناقد.**

**** المجتمعات الراكدة يشيرها النقد ويستفزها.**

**** الكيان الثقافي الحي يطور مؤسساته وأفراده.**

الواقع والانسان،
كان المجتمع يسير
في طريق النمو
والتكامل حقاً،
والأمر ليس سهلاً،
بطبيعة الحال، وهو
يتعلق ببرنامج الثقافة
ومحيطها ومناخها
وطماح النفوس
الراغبة في الحرية
المستعصية على
الاستبداد.

ولا ينبغي أن
يكون هذا النقد وقفاً
على علم معين أو فن
أو سلوك بل هو روح

تسري في كل الكيان العضوي للثقافة الاجتماعية،
والكيان الثقافي الحي هو الذي يطور مؤسساته
وأفراده وفنونه وعلمونه، فتجده دائماً الدأب، دائم
التغيير، دائم الإصلاح، دائماً النقد... وقد يقوم الفرد
نفسه مقام الناقد المقترض، فيمارس النقد والمحاسبة
لنفسه وأعماله، ونحن المسلمين لسنا بعيدين عن
التوجيه القرآني والنبوي في هذا المجال.

ولكن - والحق يقال - إن واقعنا الاسلامي ليس
صورة مثلى، ولا صورة تعكس هذا التوجيه القرآني
والنبي، فمارلنا نحب المديح ونطرب له، على الرغم من
أنه (كسر للرقاب) كما ورد في التعبير النبوي، بل إن
النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: احثوا التراب في
وجوه المداحين!!

ومارلنا أبعد ما نكون عن المحاسبة الذاتية،

والمحاسبة لمؤسساتنا أو حركاتنا السياسية التي ننتمي
إليها[١٠]، بل إن رموزنا الثقافية والفكرية ننظر إليها
على أساس من الرهبة، وكأنها من تسبيح (ما فوق
الواقع)، في حين أن كل حديث وكل رأي يمكن
محاورته وغانؤه، أو ترشيده... الا حديث المعصوم
الذي لا ينطق عن هوى، ولا يزع عن خطئ. كما أن
كثيراً من عاداتنا الاجتماعية التي تشكل جانباً كبيراً
من حركة الروح والفكر والعواطف في محيطنا الثقافي،
مازالت محاطة بمهابة القداسة والتقليد، بينما هي
خالية - أحياناً - من القدرة على تغيير محتوياتنا
الداخلية أو واقعنا الخارجي، لما في بعضها من
مفارقات وتجاوزات في الشرع والمعقولة[١١]:

والحق أننا في صمتنا هذا كثيراً ما نترك الفرصة
سانحة لأعداء الاسلام ليمارسوا النقد لواقعنا وفكرنا
وترائنا، ومن المعلوم أن نقد هؤلاء فيه قسوة ويعد عن
الحقيقة في كثير من الأحيان، ولكن شرائع واسعة من
الامة تستقبله بالرضا، لأن الساحة الفكرية خالية من
النقد للبيت الاسلامي ومرافقه المتعددة. تصور لو أننا
مارسنا بانفستنا نقد التراث بمعناه الانساني الذي
يمتد الى الف وخمسمائة عام، بما فيه من حقول
فلسفية واجتماعية، ودينية (تصرفات اشخاص
محسوسين على الدين، أو افكار أو احاديث لاشخاص
محسوسين على الدين)، ألم نكن قد سحبنا البساط من
النقد الذي صُبَّ على تراثنا صبا على السنة المنافقين
والعلمانيين من أبنائنا، والذين لم يكن لهم فضل في
هذا - في كثير من الأحيان - سوى ترديد ما قاله
أساتذتهم من المستشرقين.

ولابد - في هذا المجال - من التحذير من أن نفهم
النقد على أنه القاء الضوء الكاشف (البروجكتور) على
نصف الكوب الفارغ، أو على زاوية معينة مظلمة من

ولكن ثمة تداول للإيام حدث، فصارت الامة تعاني من تطاحن مذهبي داخل حصونها شغلها عن الوحش الرابض على ثغورها، وكلنا يعلم أن الصراع العثماني الصفوي في اطاره المذهبي والسياسي كان تحطيماً للقوة الاسلامية وتمكيناً للمارد الغربي في بدايات توثبه وانقضاضه على محيطات الاسلام ومراكز إشعاعه، بل إن المذاهب الاسلامية الأربعة حدث بينها من الصراع ما لو وظف لصالح الاسلام لكان الاسلام بألف خير... ولكن هذا الذي حدث في المراحل الأخيرة من تاريخنا!!

والدعوة اليوم ملحة الى بناء البيت الاسلامي من الداخل وترميمه وجعله قادراً على الثبات والرسوخ امام عوادي المعتدين ومكرهم وتربصهم. وإذا كانت الدعوة ملحة في الانفتاح على التيارات الفكرية والمذهبية داخل البيت الاسلامي، فانها ملحة -

ديكور المسرح، ولا هو نوع من التيسيس أو إشاعة روح الإحباط، بل هو لا يقل عن الإبداع نفسه، وعن البناء ذاته، وهذا النوع من النقد هو الذي يكون في تركه خطر، لأنه نوع من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وناهيك عن عظمة هذه الشعيرة في الاسلام.

والاطار العام لهذا النقد البناء هو التسامح والانفتاح والحوار الإيجابي والنظرة التاريخية المتبصرة لحركة الفكر في الواقع الاسلامي خلال قرون عديدة تنتهي الى الاقرار بأن التسامح هو اختراع اسلامي لم تحظ به امة من الأمم في مجال علاقاتها بين افرادها وبينها وبين غيرها من الأمم تستشف ذلك من التوجيهات القرآنية والسنة النبوية وعلاقات مجتهدي المذاهب وعلماء الاسلام عموماً، إذ كان احدهم يقول: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي الآخر خطأ يحتمل الصواب!! حتى صار للمسلمين أدب خاص بالاختلاف والحوار، انطلاقاً من كون الاختلاف نفسه سنة إلهية في الحياة البشرية، فهو واقع بمشيئة الله، وغير منفصل عن حكمة الله: (ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم) (هود/١١٨).

اي من اجل الاختلاف خلقهم، كما يرى بعض المفسرين، أو من اجل ذلك الاختيار الذي كان منه الاختلاف. كما يقول الزمخشري[١٢]: فهو القادر - سبحانه - على أن يجعل الناس على نمط واحد من التفكير، بل لو شاء لجعلهم مسلمين موحدين، ولكن حكمته اقتضت هذا الاختلاف في التفكير والأديان والمذاهب هذه هي طبيعة البشرية، إذ التنوع في أداها وتفكيرها هو القاعدة، وطبعهم على نسخة مكررة وتشابه تام هو الاستثناء.

وهذا من الحقائق التي فرغ الوعي الاسلامي من تقريرها وإشاعتها في النسيج الثقافي العام للامة،

**** كثير
من عاداتنا
الاجتماعية غدت
محاطة بالقدااسة
والمهابة.**

ونسقها العام، وهذا ما يحدث بالضبط في علاقة الثقافة الغربية بثقافة العالم الاسلامي، وثقافات الشعوب الأخرى. فالثقافة الغربية تنطلق من عقدة التفوق والمركزية، وتعد نفسها ثقافة نهائية ونموذجاً ينبغي ان يحتذى عالمياً، إما بالاغراء وإما بالقسر والإكراه.. وتاريخها وصراعها مع ثقافات الأمم شاهد على هذا، وما حديث (العولمة) عنك ببعيد.. حيث يُراد للندى كلها أن تفصل على مقاس النظرة الغربية للإنسان والفكر والاقتصاد والسلوك!!

وهذا - في واقع الامر - استئصال بشرة السيف، وليس تسامحاً أو انفتاحاً. إن الانفتاح الحقيقي، أو الحوار الحقيقي هو الحوار المتكافئ الذي يكون بين الانداد الأحرار، وليس حوار السيد مع عبده [١٤]، كما هو الحال في الحوار الذي يحدث بين أوروبا وإفريقيا تحت ضغط التجويع والتمسيخ (والفرانكفونية) الثقافية الفرنسية المفروضة على تلك الشعوب المغلوبة.

وإذا كانت الدعوة الى

السلام والبعد عن الحقد

معنيان قريبان من روح

الاسلام وأجوائه، فانهما لا

يعنيان - في فهمنا - تطبيعاً

وتدجيناً للعقل المسلم لأن

يستجيب لمعطيات الأقوياء

الذين يخططون ليل نهار

لنهب ثرواتنا، ومسح ثقافتنا،

واستعبادنا.. بل ربما تكون

تغذية النفوس والوجدان

بالحذر من فكر الآخر

وهيمته هو السبيل لليقظة

كذلك - من حيث التعامل مع الأمم والشعوب وثقافتها وأنساقها الفكرية، وذلك استجابة للنداء القرآني في التعارف والتجاوب بين بني البشر، وفي هذا اغناء لفكرنا نفسه، لأن منطلقنا وإنجازاتها تبقى إنجازات بشرية محتاجة الى رفدها من تجارب الآخرين وإغنائهم. وهذا التلاقح والتبادل الثقافي سنة وليس وقفاً على تجربتنا في التعامل مع الآخر، بل كان الآخر نفسه ميدان استفادة وأخذ من حضارتنا وإنجازها في مرحلة ازدهارها.

ولكن هذا المنطلق، على صحته وسلامته بشكل عام، يحتاج الى شيء من الضوابط والايضاحات، منها اسبقية وعي الذات وتشخيصها وتركيز عناصرها في الامة المسلمة، ثم الانطلاق - بعد ذلك - لحالة التواصل مع الآخر [١٣]. ومنها الا يكون هذا التسامح من نوع الصلة بين القاتل والقتيل، اذ لا يمكن أن يكون هناك حوار وانفتاح وتسامح مع حضارة تريد استئصالك وتريد تهجيتك وترويضك على الانصهار في مفرداتها

**** التسامح اختراع اسلامي،
فقدته كثير من الأمم.
** الصراع العثماني
حطم القوة الاسلامية
ومكن للفرب.**

**** حضارات الغرب لا تمتد بالأخر وتعمل على تهجينه أو استئصاله**

١٩٨٩، ص ٢٣٦.

(٧) بحث (الهوية

الثقافية بين الاصل

والمعاصرة) د. محمد

عمارة، مجلة رسالة

الجهاد، مالطا، ع ١٠٠،

ص ٩٦.

(٨) المستقبل الثقافي

للغرب الاسلامي، د.

عبد المجيد التجار،

دار الغرب الاسلامي

بيروت، ط ١، ١٩٩٧، ص ٣٨.

(٩) نهج البلاغة، تحقيق د. صبحي الصالح، دار

الكتاب اللبناني، ط ٢، ١٩٨٢، ص ٤٩٦.

(١٠) ينظر، الحركة الاسلامية، رؤية مستقبلية، اوراق

في النقد الذاتي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١،

١٩٨٩، هـ، ١٤١٠.

(١١) ينظر، الاختلاف والنقد ثم الاصلاح، مختار

الاسدي، قم، ايران، ط ١، ١٤١٨، هـ، ١٩٩٨، كما

ينظر ملف مجلة التوحيد عن اصلاح الشعائر

الحسينية، وندوتها، ع ٩٤، ١٩٩٨، م.

(١٢) الكشف، ج ٢، ص ١٢٠.

(١٣) متابعات ثقافية، عبد الجبار الزفافي، مكتب

الاعلام الاسلامي، قم، ايران، ط ١، ١٤١٤، هـ، ١٩٩٣، م.

ص ٢١٥.

(١٤) ينظر، الثقافة العربية وثقافة العالم، حوار

الانناد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط ١،

تونس، ١٩٩٩.

(١٥) التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، ص ٢٦٦.

وعدم الذوبان، حتي ليكون ذلك نوعاً من التربية
العسكرية وتنمية لروح الاستعداد والتحدي [١٥].

ثم لماذا هذا الحديث الذي شاع على كل لسان عن

التسامح مع اوربا ومع المسيحية واليهودية، عبر

مصطلحات من مثل (حضارة البحر الابيض المتوسط)،

(الثقافة الشرق اوسطية)، ولا نسمع عن حوار وتلاقح

مع ثقافات الشعوب الاسلامية في ايران وتركيا

واندونيسيا، فضلا عن ثقافات الشعوب الأخرى في

اليابان والهند وأمريكا اللاتينية؟ تبقى القاعدة تعميق

الوعي بالذات وبناء أسس التمييز والخصوصية، مع

الانفتاح والحوار مع ثقافات الشعوب والأمم الأخرى

شريطة الالتفات الى الضوابط والحدود التي أشرنا

إليها.

الهوامش :

(١) ينظر بحث (نظرية الاستقراء الأرسطية وموقف

جابر بن حيان منها) د. عادل محيي الدين شهاب،

مجلة جامعة سبها، قسم الآداب والعلوم الانسانية،

ع ٢، ١٩٩٥، ص ٩٧.

(٢) بحث (العولة والهوية الثقافية)، د. سليمان نجم

خلف، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، الكويت، ع ٦١،

١٩٩٨، ص ٢٢١.

(٣) رواه ابن حنبل، وابو داود والدارمي وابن ماجه.

(٤) رواه الدارمي (الملاحم).

(٥) ينظر بحث (المسألة الثقافية بين الاصل

والمعاصرة) في ندوة مركز دراسات الوحدة العربية،

بعنوان (التراث وتحديات العصر في الوطن العربي)،

بيروت، ط ٢، ١٩٨٧، ص ٧١٢.

(٦) التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، د. علي

القريشي، دار الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، ط ١،

صالح بن سالم اليعربي

ويشير بألم إلى عدم استطاعته مواصلة الدراسة... حيث يجد في القراءة ما يسد النقص ويثري العقل.

كانت الأحلام في المخيلة تتراقص بقوة ومنها حلم الدراسة الجامعية، ولكن الأقدار وبما أصابت من ظروف صحية صعبة، لم تسعفني في تحقيق ذلك الحلم الكبير وإن كنت لم استطع مواصلة الدراسة الأكاديمية المتخصصة إلا أنني وبفضل الله استطعت من خلال القراءة الذاتية الحصول على قدر يسير من الزاد المعرفي، وحقيقة أن هذا الزاد هو الذي يجعلني شغوفا إلى التطلع إلى أبواب الجامعة.

ويتحدث عن معارض الكتب باعتبارها مواد شبيهة تحتوي من أصناف المعرفة كل ما لا وطاب: كم هي ظمأى نفوسنا وأرواحنا لينابيع المعرفة المختلفة، ونحن كما نعرف نجد دائماً في الكتاب، مهما تعددت وسائل المعرفة، حيثيات الارتواء المناسب لذلك الظمأ، فهو يبقى ملاذاً الأول والآخر، إنني عندما أتجول بين ردهات الكتب في أي معرض تنتشي الروح فرحاً بين هذه الردهات، كما أن العين ترى متسعة لرؤية مشاعر الحركة والتفاعل في جنبات المعرض، ولا عجب في هذا التأثير المباشر للكتاب ولحركة الناس، لأن مفعول الكتاب وأثره في حياة الناس هو الذي يجعل نفوسنا وأرواحنا في قمة التأثير والإحساس بقيمة الكتاب، فمع الكتاب نقضي دائماً روعة الإحساس، وفي قراءات متفاوتة بين التأمّل في لحظات، وبين التعجل في بعض الأحيان، وفي كل الأحوال ونحن ننصهر ونتفاعل بفكرنا بين صفحات الكتاب لنتلقى في النهاية بخطاب النفس إلى النفس من خلال ما يبده العقل والوجدان الإنساني من صنوف المعرفة.

إن هذا الشاب الذي حالت إعاقته دون إتمام دراسته لم يستسلم لتلك المعوقات والمثبطات بل رفع شعار (لا إعاقة بل إرادة وانطلاقة) وهذا شعار جدير أن يعمم في كل المؤسسات المعنية بشئون المعاقين.

إن صالح بن سالم اليعربي يعتبر أحد الأدباء الذين يحتلون مساحة من الصحافة المحلية بدولة الإمارات العربية المتحدة كما أنه يشارك في العديد من الأنشطة الثقافية كما يشارك في الكتابة ذات المضامين الأدبية والثقافية والاجتماعية، وهو حاصل على عدة جوائز وشهادات تقدير من العديد من المؤسسات الثقافية.

في عام ١٩٩٩م صدر له كتاب يحتوي عدداً من المقالات التي نشرها في مجلة (المنال) التي تتولى إصدارها مدينة الشارقة للخدمات الإنسانية، وغيرها من الصحف المحلية وهو عاشق دنف للقراءة وقد عبر عن هذا العشق في مقدمة كتابه المشار إليه:

إن تحقيق الطموحات لا يأتي بالتمني والأحلام، ولكن يأتي بالعمل الجاد والمخلص في صور التفاعل التام مع مختلف مناشط الحياة، والقراءة هي أجمل وأرقى تلك المناشط فمن خلالها يشغل المرء فكره وعقله في أجواء البحث عن المعرفة، منذ وقوعه في المرض عايشة تجليات كثيرة في أزمنة وأماكن متعددة، بين الغربة عن الوطن والأهل، وبين آلام المرض، وفي أجواء إنسانية مؤثرة مع عالم الإعاقة والمعاقين وعالم المعاناة الإنسانية بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالات ومعان، وفي كل ذلك كان الصبر والتحمل على المتاعب، والكتاب بجانبني أينما توجهت أحمله في ججري وبين عضدي، والقراءة متعتي وعالمي الجميل، وهكذا كانت الرحلة ومازالت مستمرة بعون الله وفضله.



بقلم : عبدالله بن أحمد الشباط - الخبر

لا أطيق البعد عنها
فهي لي نسمة مساء
هي لحظة صفاء
هي لمسة وفاء
هي في عمري رجاء
هي في فكري نداء
لا أطيق البعد عنها
هي مني وأنا منها
لا تلمني يا نديمي
لا تلمني في هواها
هي حبيبي هي زادي
إنها ديرة أهلي
إنها مسقط رأسي
إنها أرضي الحبيبة
لا تلمني في هواها
لا تلمني إن قلت يوماً
لا أطيق البعد عنها
فهي مني وأنا منها
هي أرض عشت فيها
أجمل وأحلى الذكريات

والاديب صالح بن سالم اليعربي من مواليد مدينة نزل بعمان عام ١٩٥٧م وبها تلقى تعليمه الأولي أي أكمل المرحلة الابتدائية، إلا أنه وبسبب ظروفه الصحية لم يتمكن من اكمال دراسته النظامية ولكنه ركز جل اهتمامه في القراءة والمطالعة معتمداً على اسلوب التقفيف الذاتي حتى أصبح أحد الادياء الفاعلين بدولة الإمارات العربية المتحدة صدر له كتابان : لا إعاقة بل إرادة عام ١٩٩٩م - وخواطر وقراءات عام ٢٠٠٠م.

وفي عام ٢٠٠٠م صدر لأديبنا صالح كتاب عنوانه (خواطر وقراءات) وهو يختلف عن سابقه في المحتوى، لأن هذا الكتاب الأول تناول مواضيع عامة، أما هذا الكتاب فقد ركز على الدراسات الادبية والنقدية ومن ذلك ما عبر به عن عشقه للغة العربية في مقال بعنوان (موسيقى اللغة العربية):

نغمة الكلمة العربية هي نغمة قوية ومؤثرة لدى مستمعها، أيا كان ذلك المستمع، عربياً أو أعجمياً، دليل ذلك الإقبال المتزايد على تعلم ودراسة اللغة العربية من قبل غير الناطقين بها، وهذا الإهتمام المتزايد من قبل أولئك يأتي أو يدخل في أطر وأهداف متعددة، لا مجال لبسطها هنا، ولكن الشيء المهم الذي يجعلهم يهتمون بدراسة اللغة العربية هو محاولة اكتشاف جماليات وأسرار اللغة... وجماليات لغتنا العربية هي جماليات متجددة دائماً، وهنا تكمن أسرارها المتجددة. تتجلى موسيقى اللغة العربية بأبهى صورها فيما نقرؤه أو نحفظه من الشعر العربي فمن خلاله نجد عذوبة ونغمة الكلمة العربية، وتراثنا العربي زاخر بتلك الإبداعات الناصعة من الآثار الأدبية والفكرية التي لو استوعبناها جيداً في وقتنا الحالي لاستخرجنا منها دراسات عدة تختص بنواحي وجوانب اللغة العربية، كهذا الذي نتحدث عنه وهو (موسيقى اللغة العربية) ما من شك بأن هناك كتباً ودراسات تختص بهذا الجانب تركها لنا روادنا الأوائل من علماء اللغة، غير أن تلك الآثار القيمة تكاد تكون منسية، بل هي مجهولة وغائبة عنا كقراء عاديين.

ولأديبنا شطحات يرسلها في شكل ما يسمى بقصيدة النثر ومن ذلك غزله في وطنه:

المفاهيم تختلف من ثقافة إلى أخرى:

المفهوم هو التصور الحاصل في ذهن مجموعة من الأشياء تشترك في خصائص رئيسية ثابتة، وقد تفاوتت خصائصها الثانوية. فمفهوم الدار مثلا هو بناء مسقوف يستعمل للسكن. وهكذا نجد أن الخاصيتين الرئيسيتين لهذا المفهوم هما: المأوى والغاية، فالماوى هي البناء المسقوف والغاية من هذا البناء هي السكن. ولكن هناك خصائص ثانوية أخرى مستقلة، مثل توفره على ماء وكهرباء، أو متضمنة مثل استخدام الطين أو الحجر في البناء وتوفره على أبواب وشبابيك، وهكذا.

وتحصل المفاهيم في ذهن من تقطيع منطقي واضح لمكونات الوجود، بحيث تمثل كل قطعة مفهوما يعبر عنه الناس بمصطلح أو رمز، شفويا كان أم مكتوبا. ولكن تقطيع الوجود يختلف من ثقافة إلى أخرى، فكل ثقافة لها طريقة تفكير متميزة في تصور المفاهيم، حتى إذا كان المفهوم يمثل ذاتا محسوسة واحدة في الوجود. فمفهوم البقرة في الثقافة الهندوسية، مثلا، يختلف عما هو عليه في الثقافة العربية، لارتباطه بمعتقدات الناس وعاداتهم وطريقة معيشتهم، كما أنه يتباين داخل الثقافة الواحدة من شخص إلى آخر طبقا لتعليمه وخبراته وتجاربته ومهنته. فمفهوم البقرة بالنسبة للقروي العربي الذي يربي الأبقار أوسع من مفهومها لدى ابن المدينة العربي الذي قد لا يرى البقرة إلا في الصور والتلفاز.

ولكن تقطيع الوجود في ذهن لتكوين المفاهيم المنفصلة لا يعني أن مكونات الوجود في الواقع منفصلة بعضها عن بعض، فهي في حقيقة الأمر متصلة ومتراطة بعضها ببعض فالبقرة ذات علاقة وثيقة بالثور، وبالعجل، ولا يمكن تصور الحليب، مثلا، بدونها. ويؤدي هذا الترابط وذلك الاتصال إلى وجود منظومات مفهومية تشترك أفرادها في بعض الخصائص وتتباين في خصائص أخرى. كما يؤدي ذلك إلى ظهور مفاهيم مركزية تدور حولها مجموعة من المفاهيم، أشبه ما تكون بالمجموعات الفلكية.

مفهوم المال:

المال، لغة، كل ما يملكه الإنسان أو الجماعة من متاع وعقار وحيوان ونقود. وينقسم المال، في علم الاقتصاد، إلى أموال ثابتة وأموال منقولة. ولكن عندما نسمع كلمة مال يتبادر إلى ذهننا النقود لأنها الوسيلة التي نقيم بها بقية الأموال ونقنتها.

ومفهوم المال، في الثقافة العربية، مفهوم مركزي تتفرع منه وتتصل به مفاهيم متعددة أخرى بحيث يشكل مجموعها منظومة مفهومية كبيرة. فمن المفاهيم التي تتفرع من المال، مفاهيم الغنى والفقر، اليسر والعسر، الإنفاق والادخار، التبذير والتقتير، وغيرها. كما يتصل مفهوم المال بمفاهيم أخرى لأنه يؤثر في تكوينها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أو يشترك معها في



مفهوم المال في الثقافة الحربية



بقلم : د. علي القاسمي - الرباط

مداخيلهم، (وَفَضَّلْنَا بعضكم على بعض في الرزق)،
فالمساواة بين الناس مساواة في القيمة الإنسانية وفي
الحقوق والواجبات.

وعلى الرغم من أن للغني شروره والفقير شروره،
وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يدعو الله قائلًا:
«اللهم إني أعوذ بك من شر فتنة الغنى وشر فتنة
الفقر» (كما أخرجه البخاري في كتاب الدعوات)، فإن
الإسلام يحث الناس على الجد في العمل للكسب
والغنى لأن «اليد العليا خير من اليد السفلى» كما جاء
في الحديث الشريف المتفق عليه. وهذا ما أشار إليه
عدد من الشعراء من مثل محمود الوراق الذي قال:

فلم أر بعد الدين خيرا من الغنى
ولم أر بعد الكفر شرأ من الفقر

أنواع الغنى:

هناك في الثقافة العربية نوعان من الغنى: غنى
المال وغنى النفس. ويتحقق النوع الأول بامتلاك المال
أما غنى النفس فلا يتأتى بالمال. (وخير الغنى غنى
النفس)، كما ورد في الأقوال المأثورة. فالرجل الذي
استحوذ على نفسه الطمع والجشع والبخل وظل يلهث

بعض الخصائص الرئيسية أو الثانوية، فيكون علة أو
معلولا، وسببا أو نتيجة. ومن هذه المفاهيم البيع
والشراء والربا، والقوة والسلطة والحرب، والصداقة
والحب والأخلاق.

أهمية المال :

المال أحد عنصري الإنتاج: المال والعمل. وللمال
أهمية كبيرة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية التي
تعمل على ترقية حياة المجتمع وإشباع حاجاته
الأساسية من سكن وغذاء وملبس وصحة وتعليم. ولا
يكفي توفر المال في مجتمع من المجتمعات لبدء الإنتاج
وتحقيق التنمية المتوخاة، وإنما لابد أن تكون لذلك
المجتمع نظرة إيجابية تجاه المال واستثماره بطريقة
ناجعة. ولهذا يرى كثير من علماء الاقتصاد أن تقدم
أمة من الأمم يتوقف إلى حد كبير على مفهوم المال في
ثقافتها.

وقولي الثقافة العربية الإسلامية أهمية كبيرة
للمال. فقد ورد ذكر (المال) وجمعه (أموال) في نحو
٦٨ آية في القرآن الكريم إضافة إلى الآيات التي تعالج
موضوع المال ولم تنص عليه بلفظه وإنما بلفظ آخر دال
عليه مثل الذهب والفضة. وتشكل تلك الآيات سياسة
اقتصادية إسلامية تتوخى ترقية حياة الإنسان
والمجتمع، فهي تبين طرق كسب المال الحلال،
وتحرم احتكاره وكثره، وتحث على استثماره في
مشروعات نافعة وتوزيعه بصورة عادلة.

الغنى والفقر:

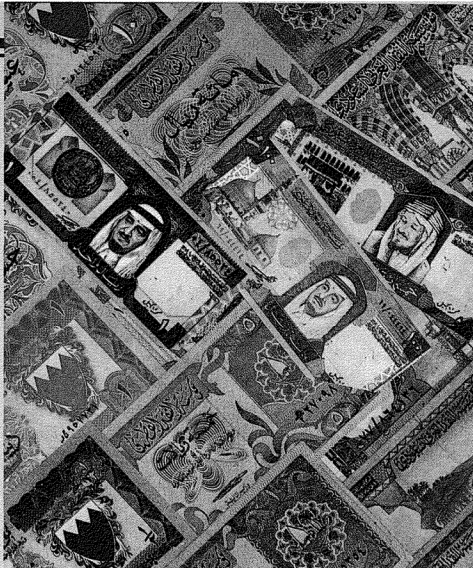
ويؤدي امتلاك المال أو قلته أو عدمه إلى
تقسيم المجتمع الواحد على طبقات أو شرائح
متعددة. وعلى الرغم من أن الإسلام لا يميز بين
الناس طبقا لغناهم أو فقرهم، لأن «الناس
سواسية كأسنان المشط»، كما قال الرسول (صلى
الله عليه وسلم)، فإن هناك اختلافاً واضحاً في

**** مكونات الوجود متحد**

بعضها مع بعض

**** مفهوم المال في الثقافة**

العربية مفهوم مركزي



**** تقدم الأمم
يتوقف على
مفهوم المال في
ثقافتها.**

**** المساواة بين
الناس مساواة في
القيمة
الإنسانية، وفي
الحقوق
والواجبات.**

**** الجشع فقير
مهما جمع من مال.**

المال والأخلاق:

إذا كان المفهوم الكندي يجد بعض التناقض بين الدين والمال طبقاً لما ورد في العهد الجديد: «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين... إنك لا تستطيع أن تخدم الله وتخدم المال». - إنجيل متى ٦: ٢٤ - ، فإن الإسلام يوفق بين الدين والدنيا وبين المال والمروعة ويحبذ امتلاك المال إن أحسن استعماله. فقد روي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) «لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه، ويؤدي به أمأنته، ويستغني به عن خلق ربه». - رواه مسلم والترمذي وابن حنبل - .

ونحن نعرف أن الفقر قد يضطر الإنسان إلى الخروج عن جادة الصواب، ولكن الغنى كذلك قد يقسد أخلاق المرء إن لم يكن قد تربى تربية قويمه، كما قال الشاعر:

**إن الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أي مفسدة**

وراء المال يبقى فقيراً محتاجاً طوال حياته مهما كس من أموال ومهما كثر من ذهب وفضة. ولهذا قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليس الغني عن كثرة العرض، ولكن الغني غني النفس - متفق عليه. وقال (صلى الله عليه وسلم) «أرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس». - ف (القناعة كنز لا يفنى)، كما يقول المثل العربي. ويقتبس الإمام الشافعي معنى الحديثين النبويين السالفين ويصوغه شعراً فيقول:

**غني - بلا مال - عن الناس كلهم
وليس الغنى إلا عن الشيء لا به**

ويكرر هذا المعنى عدد كبير من شعراء العربية كابن نباتة الذي يقول:

**وإن المرء ما استغنى غني
وحاجته إلى الشيء افتقار**

المنهمل

المال والعلم :

هناك إجماع في ثقافتنا العربية على أن العلم أفضل من المال، وأن على المرء أن يسعى لجمع المعارف لا لكثرة الأموال، وأن ينفق المال في سبيل تحصيل العلم. ومن أبلغ ما لخص موقف العرب من جدلية المال والعلم قول الإمام علي بن أبي طالب في وصيته لكميل: «العلم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، ومنفعة المال تزول بزواله».

ومن المنطقي أن الذي يتوفر على الذكاء ويزدان بالمعرفة ويتحلى بالعلم يكون أقدر من غيره على اكتساب المال. ولكن هناك استثناءات كثيرة لهذه القاعدة. فنحن غالباً ما نشهد اغتناء كثير من غير النابهين أو حتى الخاملين، في حين نجد أن الفقر يحيق بعدد من العلماء والأدباء ما يدعو إلى التساؤل، كما تسأل نسيب عريضة:

**لماذا يفتقر الأديب الغني
وتحظى به فئة جاهلة؟**

ويبدو أن هذا السؤال قد طرحه كثيرون في مختلف عصور الثقافة العربية، وكان الجواب أن ذلك لا يدعو إلى العجب فالحظ له مفعوله ويلعب دوره في معادلة العلم والمال، كما قال محمد بن حازم الباهلي:

**لا تـعـجـبـن لـا حـقـم
نال الغنى من غير كده
ولـعـا قـل مـا يـسـتـتـب
بـ، فـكـلـهـم يـسـعـى بـجـدـه**

وهذه الحقيقة تجعل بعض الأدباء الذين يعانون الفاقة والفقر يشعرون بمرارة تبلغ حد التهمك في تفضيل المال على العلم، كما هو واضح من كلام حامد النجاشي الزوزني:

**إنـي أقـول وخـير القـول أصـلـفـه
والصـق يـحـمـل أحيـاناً عـلى الكـذب
لا تـجـمـعـن أبداً علماً ولا أدباً
وجـد في طـلب الأمـوال واغـتـرب
في المـال زين وفـخر إن ظفـرت به
والنحس والبؤس والإبداء في الأدب**

ولهذا فإن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يدعو بقوله: «اللهم إني أعوذ بك من شر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر». رواه البخاري في كتاب الدعوات. وهذا يؤكد قوله تعالى: **[إنما أموالكم وأولادكم فتنة]** (سورة التغابن/١٥)، فالغنى - وخاصة محدث النعمة - قد يتكبر ويبطر كما ورد في القرآن **[كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى]** (سورة العلق/ ٧-٦). وقد يؤدي الجشع والتهافت على المال والاستئثار به إلى الفرقة والاختلاف والتنازع. وهذا ما لاحظته الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز عندما قال: «إن هذه الأمة لم تختلف في دينها ولا في كتابها، وإنما اختلفت في الدينار والدرهم».

ولكن المال قد يساعد الرجل العاقل على تحقيق أهدافه الخيرة فيحسن إلى الآخرين دون أن تفسد أخلاقه، كما قال الحكم بن عبد الأسد:

**إنـي لـاسـتـغـنـي مـمـا أبـطـر الغـنى
وأعـرض ميسـوري عـلي مـبتـغـي قـرضـي**

فالناس الأخيار يدخرون الأموال لقضاء الحاجات وفعل الخيرات، وهو أمر محمود كما قال أبو الحسن الموسوي النقيب:

**إنـمـا يُـدْخـرُ المـا
ل لـحـا جـا ت الـر جـال
والـفـتـى مـن جـعـل الأمـ
سـوال أثـمـان المعـالي**

وفي ثقافتنا العربية يجمع الناس على أن الأخلاق مقبمة على الأموال. والعربي يفاخر بأخلاقه لا بأمواله. فالأموال تزيد وتنقص مثل أوراق الشجر، أما الأخلاق الأصيلة فهي ثابتة منغرسه كما تنغرس الجذور في أعمال التربة، كما قال أبو محجن الثقفي:

**لا تسـألـي النـاس عـن مـالي وكـثـرتـه
وسـألـي القـوم عـن دـيني وعـن خـلـقي
قـد يـكـثـر المـال يـومـاً بـعـد قـلـتـه
ويـكـتـسـي العـود بـعـد العـري بـالـورق**

المال والقوة :

يهب المال الإنسان القوة، بنوعيهما المعنوية والمادية. فإذا كانت البلاغة في القول تعني - فيما تعني - بلوغ الغاية التي يتوخاها المتكلم في إقناع السامعين برأيه، فإن هناك من يرى أنك تستطيع إقناع الآخرين، لا بروعة فكرك وبيان لغتك، وإنما برنين دراهمك وبريق ذهبك. إن حيازتك على المال تجعل الآخرين يفهمون لغتك ويفهمون مقاصدك أفضل من فهمهم الفقراء الفصحاء. ومعروف أن ميسور الحال يستطيع أن يتعلم فنون القول. وهذا ما جعل أبا العيناء يقول ساخراً:

من كان يملك درهمين تعلمت
شفتاه أنواع الكلام فقالوا
وتقدم الفصحاء فاستمعوا له
ورأيتهم بين الوري مختالا
لولا دراهمه التي يزهبها
لرأيتهم شر البرية حالا

ويتابع أبو العيناء هذا المعنى ويعممه ليصبح قاعدة ذهنية عالمية مفادها أن المال قوة، فمن يملك المال يستطيع إقناع الآخرين بآرائه، كما يستطيع اقتناء السلاح لقتاله أعدائه، فيقول متهمكاً:

إن الدراهم في المواطن كلها
تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة
وهي السلاح لمن أراد قتالا

ويرد هذا المعنى كثيراً في الأدب العربي في مختلف عصوره، ما يدل على أنه متصل بمفهوم المال، متجذر في ثقافتنا. فالشريف الرضي، مثلاً، يقول:

قد يبلغ الرجل الجبان بماله
ما ليس يبلغه الشجاع المعدم

والمال يرفع قدر المرء ويعلي شأنه حتى إذا كان خاملاً. أما انعدام المال فإنه قد يؤدي إلى الإزراء بالرجل الكريم المحتد. وهذا ما عبر عنه شعراً عمارة بن عقيل فقال:

ويرفع المال أقواماً وإن خملوا ويزري الفقر أقواماً وإن كرموا

فإذا امتلك المرء المال الكافي وأحسن استعماله، فإنه يستطيع أن يبلغ أعلى المراتب الاجتماعية، أما إذا افتقر المرء فإن حالته تسوء، لا محالة، كما قال الشاعر:

الفقر يزري بأقوام ذوي حسب
وقد يسود غير السيد المال

ويدعم هذا المعنى المثل السائر (ربما سود المال غير السيد، وقوى غير الأيد). ومن المؤكد أن الذل والهوان يصيبان الإنسان إذا فقد أمواله، كما قال الهيثم بن الأسود النخعي:

وأعلم علماً ليس بالطن أنه
إذا زال مال المرء فهو ذليل

والمال خير وسيط لقضاء الحوائج. فالغني لا يحتاج إلى إرسال رجل حكيم يقضي له حوائجه بما تجمع لذلك الحكيم من فطنة ورجاحة عقل وبلاغة قول، بل يكفي بإرسال «هدية» غالية الثمن، تكون خير وسيط في فتح الأبواب الموصدة والقلوب الرافضة، وفي تيسير الأمور وإنجاز المهمات، وهذا ما دعا اللغوي الكبير أحمد بن فارس إلى تشطير البيت المشهور:

إذا كنت في حاجة مرسل
فأرسل حكيماً ولا توصه

فقال متهمكاً:

إذا كنت في حاجة مرسل
وأنت بها كلف مفرم
فأرسل حكيماً ولا توصه
وذاك الحكيم هو الدرهم

المال والصداقة :

هذه العلاقة الحميمة التي نسميها «صداقة» تبدأ عادة بتحية، بابتسامة، بحديث ثم يتحول الإعجاب المتبادل إلى مودة عميقة. ويملك الغني ذلك المعدن المغناطيسي الذي يجذب الناس إلى تحيته والتقرب إليه



وخطب مودته، أو كما يقول عمارة اليميني:
حيّاك من لم تكن ترجو تحيته
لولا الدراهم ما حيّاك إنسان

وقد تكون تلك التحية أولى خطوات
الصداقة. فالغني مؤهل لكسب الأصدقاء، أما
الفقير فقد يخسرهم، كما قال ابن محلم:
فإن الغني مُدني الفتى من صديق
وعدم الغني بالمقترين نزوح

واقبال الناس على الغني وإدبارهم عن
الفقير ظاهرة اجتماعية لاحظها شعراء آخرون
كثيرون وصاغوها شعرا، كالشريف الرضي
الذي أراد أن يضع قاعدة عامة فقال:
إذا قلّ مال المرء قلّ صديقه
وفارقه ذاك التحنّ والودّ

وقال شاعر آخر مكررا المعنى ذاته :
إذا قلّ مالي قلّ صحتي وإن نما
فلي من جميع الناس أهل ومرحب

- * الفتر كفر يفرج عن الجادة.
- * العلم يحرك وأنت تحرس المال.
- * البخل المقتر حارسُ نعمة لغيره.

الغني. وهذا هو الشعور السائد بين عامة العرب، وقد
لخصه منذ العصر الجاهلي الشاعر علقمة الفحل
بقوله:

فإن تسألوني بالنساء فإنني
بصيرُ بأنواء النساء طيبُ
إذا شاب رأسُ المرء أو قلّ ماله
فليس له من ودهن نصيبُ
يُردن ثراء المال حيث علمنه
وشرخُ الشباب عندهن عجيبُ

فالعلاقة بين امتلاك المال واكتساب الأصدقاء علاقة
طردية في ذهن الرجل العربي، ولعل هذه الظاهرة
ظاهرة إنسانية عالمية، فاكْتساب الأصدقاء لا يتم بحلو
الكلام فقط، فالكلام وحده لا يرضي الصديق كما لاحظ
أبو بشر الضرير الذي قال:

كفى حزناً أني أروحُ وأغتدي
وما لي من مال أصونُ به عرضي
وأكثر ما ألقى الصديق بمرحباً
وذلك لا يكفي الصديق ولا يرضي

فالهدايا المتبادلة بين الأصدقاء تمتن العلاقة وتزيد
المودة.

المال والحب :

قلنا إن صاحب المال يسهل عليه كسب مودة
الناس، والنساء كبقية الناس يفضلن حب الرجل

**** العلاقة بين امتلاك المال واكتساب الأصدقاء - علاقة طردية -** **** الإسلام يدعو للوسطية ما بين التقتير والبسط.**

ويؤكد هذا المعنى الشاعر الجاهلي امرؤ القيس :
أراهنّ لا يحبّين من قلّ مالٌ
ولا من رآين الشيب فيه وقوسا

إنفاق المال :

الثقافة العربية الإسلامية ثقافة وسطية تقرّ أنّ «خير الأمور أوسطها» والقاعدة التي تحكم إنفاق المال هي: «لا تبذير ولا تقتير» أو كما ورد في القرآن الكريم [ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا] (سورة الإسراء/ ٢٩).

وكأن المال محرم لأنه يضر بالحياة الاقتصادية يؤدي إلى ركودها ويحرم الناس من فرص العمل والرزق. والنص القرآني واضح في تحريمه هذا: [والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيبشروهم بعباب أليم] (سورة التوبة/ ٣٤).

ويذهب العقل العربي إلى أنّ إنفاق المال هو دليل الملكية الفعلية، ومن لا ينفق ماله فإنه مجرد حارس عليه بل يصبح عبداً للمال. وكان حاتم الطائي الذي يضرب بكرمه المثل يفخر بإنفاقه أمواله فكان يقول:

إذا كان بعض المال ربّاً لأمله
فإني، بحمد الله، مالي معبّد

وكرر هذا المعنى الشاعر أبو نواس، حين قال :
إذا المرء لم يُعْتَق من المال نفسه

تملكه المال الذي هو ماله

ألا إنما مالي الذي أنا منفق

وليس لي المال الذي أنا تاركه

وسئل أبو العتاهية عن هذين البيتين فقال إنه اقتبسهما من الحديث النبوي الشريف: «إنما لك من مالك ما أكلت فأفقت، أو لبست فألبيت أو تصدقت فأمضيت».

وقد أكثر أبو العتاهية من استثمار هذا الحديث الشريف في زهدياته فقال في إحداها:
كلُّ حي عند ميتته
حظه من ماله الكفن

فإذا لم يجد المرء بأمواله على المستحقين والمحتاجين فإن الدهر يوجد بها على ورثته أو غيره، فينتقل المرء إلى العالم الآخر عارياً كما ولدت أمه أول مرة، لا يحمل معه متاعاً ولا يصطحب مالا، أو كما قال عبد الله بن المعتز:

إذا لم أجِدْ بالمال جاد به الدهر
رُ على وارثي والكف في قبرها صفر

وردد هذا المعنى كثير من الشعراء كالعطوي الذي قال:

المالُ عندك مخزونٌ لوارثه
ما المالُ مالك إلا حين تنفقه

ونجد هذا المعنى كذلك عند الأصبط بن قريع السعدي، الذي أراد أن يصوغه على شكل قاعدة عامة:

قد يجمع المال غيرُ أكله
ويكُلُ المال غيرُ من جمعه

إذن عليك أن تنفق المال في وجوه الخير أثناء حياتك لتنال حمد الناس وثناهم، فالمال لا محالة ذاهب، كما قال إبراهيم الحضرمي:

أرى كل مال لا محالة ذاهباً
وأفضله ما ورث الحمد كاسبه

لن يبقى من المال سوى الثناء الطيب العطر على

ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف
ف، ولكن يلدُ طعم العطاء

وينصحن هذا الشاعر البصير بأن تترك المال
والسهر عليه نوع من الشقاء وخير لنا أن تسارع إلى
إنفاقه، فيقول:

أنفق المال ولا تشق به
خير دينارك دينار نفق

وكأنه في هذا البيت ينظم شعرا مقولة سبقه إليها
فقيه كبير من مدينة البصرة كذلك هو الحسن البصري
الذي نقل عنه قوله: «بش الرقيقان الدرهم والدينار، لا
ينفعاك حتى يفارقاك». وتكرر هذا المعنى في عدد
من الأقوال السائرة مثل: (من أهان ماله أكرم نفسه) و
(من بذل ماله أدرك أماله).

وعلى الرغم من أن الثقافة العربية تحث على
الإنفاق والعطاء والجود، فإنها توصي كذلك بحسن
استخدام المال واستعمال الذكاء في تدبيره وحفظه
وتنميته، كما قال المثلث:

قليل الماد يصلحه فيبقى
ولا يبقى الكثير مع الفساد
وحفظ المال خير من فناء
وعسف في البلاد بغير زاد

ولعل المثل السائر (الفلس الأبيض لليوم الأسود)
يقع في هذا المجال.

الخلاصة:

يتبين لنا من الشواهد التي سقناها من مختلف
عصور الثقافة العربية أن العقل العربي ينظر إلى المال
نظرة إيجابية، ويفضل أن يكون الإنسان غنيا على أن
يكون فقيرا، فبالمال تصل رحمك وتكسب الأصبياء
وتستعين على قضاء حوائجك، وتجد به على المحتاجين
فتكسب حمد الناس وثقتهم. ولكن ينبغي أن نحسن
استخدام المال وتنميته وإنفاقه.

الرجل الكريم الذي يتفق أمواله على الضيف والمحتاج
وابن السبيل. وكثيرا ما يلقي هذا الرجل الجواد
معارضة من أهله، ويدخل معهم في مناقشة يحاول
خلالها إقناعهم بوجهة نظره، فيؤكد لهم أن المال يأتي
ويذهب أما الثناء العطر فسيبقى على أسنة الناس.
فهذا حاتم الطائي يخاطب زوجته قائلا:
أماوي، إن المال غداد ورائع
ويبقى من المال الأحاديث والذكر

فيرد أهله قائلين إن معارضتهم نابعة من خوفهم
عليه وعلى مصيره بعد أن يتفق كل أمواله ولا ينخرها
الصعب من الأيام. فينكر الجواد أن يكون مصيره
سيئا بسبب سخائه، ويأتي بحجج إضافية لإقناعهم
بصواب تصرفه، كما خاطب حطائط بن يعفر اليربوعي
زوجته بقوله:

أريني جوادا مات هزلا لعلني
أرى ما تريني أو بخيلا مغلدا
تريني يكن مالي لعرضي جنة
يقي المال عرضي قبل أن يتبددا
تريني أكن للمال ربا ولا يكن
لي المال ربا تحمدي غبه غدا

فالثقافة العربية تشجع على الإنفاق والعطاء، مهما
كان هذا الإنفاق محدودا، ومهما كان هذا العطاء
يسيرا. فقد كان الإمام جعفر الصادق يقول: «لا تستح
من إعطاء القليل، فكل فوائد الدنيا قليل، والحرمان أقل
منه».

ويفضل أن يكون العطاء خالصا لوجه الله، وليس
من أجل مقابل يرتجى أو جزاء يؤمل. وقد ورد في
القرآن الكريم: [ويطعمون الطعام على حبه مسكينا
ويتيمما وأسيرا. إنما نطعمكم لوجه الله، لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا] (سورة الإنسان/ ٨ - ٩).

ومن أبيات الشاعر البصري الأعمي بشار بن برد
التي سارت مثلا:

حكى ابن خَلْكَان [١] قال: كان لرجل بغدادى اسمه عسكر غلام ابتاعه من بلاد الروم، فعلمه الاتجار بين الأمصار، ثم اعتقه، وقد أثرى ثراء عظيماً، فطاف في البلاد تاجراً ومتعلماً حتى أغرم بالعلماء والأدباء، وشُغِف بالأقاليم والبلدان، فعرف هذا العالم الجليل والرحالة الأمين بياقوت الحموي [٢]! وكانت له صحبة حميمة بالوزير أبي الحسن القفطي [٣]، وقد دخل عليه ذات يوم، فقال له ياقوت: يا أبا الحسن، لقد تبنّوت مكاناً علياً، وأوتيت علماً غزيراً، حتى أصبحت في الناس وزيراً، وغدوت قاضياً قديراً، وشيخاً مهيباً جليلاً! قال: ما هذا الإطراء وفيض الثناء يا أبا عبد الله!؟

قلت: إنما أَعِدُّ مِنْ محاسنك، وعظيم صنائعك أطول باعك في الكتابة والسياسة، ولكننا القائل يعنك بقوله:

الـيـمـنُ يـتـبـعُ ظـلُّهُ
والجـدُّ يـمـشـي فـي رـكـابـه!

قال: فما حملك على ما قُلْتَ آنفاً؟
قلت: طوفت في البلاد شرقاً وغرباً، وخالطت الناس عجماً وعرباً، فما رأيت مثلك يا أبا الحسن، وما أجدر أن تعلق في مديحك المعلقات، وأن يخصك طلبة الدراسات العليا بالمقالات المديجات، والتوقيعات الظريفات التي يعلقونها على استار «الكفتيريا»، وفي أروقة المعاهد والجامعات!

قال: إني سألتك عن «الكفتيريا» ما هي؟
قلت: مطعم يأكل فيه الدارسون المتوسطون وأرباب الدراسة الرفيعة.
قال: لِمَ نَعَت هؤلاء بالمتوسطين؟ أهم نسبة إلى البحر الأبيض المتوسط؟
قلت: لا. قال: أهم نسبة إلى المتوسطين في العيش؟ قلت: لا.
قال: أهم نسبة إلى الولاية الوسطى في السودان؟ قلت: لا.
قال: أهم نسبة إلى قول الشاعر:

ونحن أناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القبر [٤]

قلت: لا والله. قال: والله لقد قدحتُ زناد فكري فما وجدت جواباً، فهات أبا عبد الله، ولا تضنّ علينا بعلمك.
قلت: يرحمك الله يا أبا الحسن، نعتوا بالمتوسطين نسبة إلى «الدبلوم المتوسط»!

قال: سبحان الله، فما الدبلوم؟
قلت: أجازة تحصيل العلوم، ورفع للعتب واللوم، رغم ما فيها من فقر وصوم!

قواعد

الدكتور

في

فرائد

الدكتور



بقلم : د. أحمد عطية السعودي - الأردن

يسرع الناس إلى تلبية ندائه، والقيام بأعبائه،
والتطواف حول أنحائه!

قوامه رشيق، وكلامه رقيق، ولباسه أنيق!!
قال : زه، زه [٧]! لقد أوتي حامل هذه الشهادة
خيراً وقيماً، حدثنا عن لقيت في أسفارك من حملة
الدكتوراة يا أبا عبد الله، فقد شوقتنا، وشنت أذاننا .
قلت : أنعم الله عليّ بزيارة كثير من الأمصار
والأقطار ولقاء أفاض العلماء وفحول الأدباء، وبخاصة
من الدكاترة والدكتورات في دور العلم والجامعات:

ففي العراق عرفتُ عبد العزيز الدوري المؤرخ
المعروف، وعضو المجامع اللغوية في بغداد ودمشق
والقاهرة وعمان، وقد نال الدكتوراة من جامعة لندن!
كما عرفت صالح العلي، وعبد الكريم زيدان،
وإبراهيم السامرائي، وأحمد عبد الستار الجواري .

وفي الأردن وفلسطين عرفت إحسان عباس،
وناصر الدين الأسد صاحب «مصادر الشعر الجاهلي
وقيمتها التاريخية» ومحمد يوسف نجم، وعبد الكريم
خليفة .

وفي القطر السوري عرفت شاكراً الفحام، وحسني
سبح، ومازن المبارك .

وفي السعودية عبد الله بن عمر نصيف الذي كان
أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي، وغازي القصبي .
وفي السودان عرفت عبد الله الطيب، وعون
الشريف قاسم، ويوسف الخليفة أبو بكر .
ومن لبنان الشاعر المسلم المجيد عمر فروخ، ومن
المغرب عبد الهادي التازي .

أما في مصر التي يسميها أهلها «أم الدنيا»
فعرفت أكابر الأدباء والمبدعين من أمثال: طه حسين

وطيها «البكالوريوس»!
قال: أفزعت فؤادي بهذه الكلمة، فما البكالوريوس
يا صاح؟

قلت: هي الشهادة الجامعية تُعطي لكل ألمعي
والمعية وفق الأصول المرعية، ولم يعط مثلها ابن
بقية [هـ]! وتليها «الماجستير»!
قال: فما هذه الكلمة الغريبة المتنافرة الحروف،
المتناثرة الصفوف، المتكسرة الرفوف؟

قلت: هذه الماجستير، شهادة الفاضلية، عكاز
الغنى والثراء، والدعة والرخاء، والكرم والسخاء، من
نالها فلن يعود إلى الراء، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء
(لا إلى الدبلوم العالي ولا إلى الدبلوم المتوسط) وتليها
الدكتوراة!

قال: دكتوراة، دكتوراة!! ذكرتني بلغة الغريب لدى
الشعراء كقول أحدهم:

إنما الحـيـزونيـون والـدريـسُ
والطُّخا والتُّفَّاحُ والعـطـلـبـيـسُ
والسـبـنـتـي والحـقـصُ والـهـيـقُ
والهـجـرسُ والطـرقـسانُ والعـسـطـوسُ [٦]!

هل تفهم شيئاً مما عني الشاعر؟ قلت: لا . قال:
وأنا أيضاً لا أفهم ما الدكتوراة؟

قلت: هي درجة العالمية العليا، وإجازة العلم
الكبرى، لا تدانها إجازة، ولا تضاهيها في السعة
مفازة: من حازها فرح وطرب، وصار ذا لقب، وفاخر
العجم والعرب! يشار إليه بالبنان، ويلهج بذكره كل
لسان، ويؤخذ بالأحضان في كل وقت وأن!

إذا أقبل أحترم، وإذا زار أكرم، وإذا قال علم،
وإذا أخطأ سلم!

المرموقين والأدباء المفلّحين والخطباء المفوهين، وخلف خلف ظن الشهادة وجاهة، والمنصب وراثة، والتعالي على الطلبة فطنة وكياسة، فضعف الاجتهاد، وفترت العزيمة، وعمّ الجهل، ودبّ الفساد، وفتحت الأبواب «للواسطة»؛ فهزلت وسامها كلُّ مفلس!

قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، إذا الناس أخذوا «بالواسطة»، ولم يقدروا «الكفاءة» حق قدرها فاعلم أن ميزان العدل قد اختل، وأن رئيس القوم قد ضل، وأنهم جميعاً من دُلّ إلى دُلّ، لا يرفع عنهم حتى يؤدوا الأمانة، وينصفوا المظلوم، ويحكموا بالقسط.

قلت: صدقت يا أبا الحسن، لقد ذهب «أفراخ الواسطة» بالمال والجاه، وكظم الأكفياء غيظهم، ولسان حالهم يقول:

**نَعَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَفِهِمْ
وَبَقِيََتْ فِي خَلْفِ كَجَلْدِ الْأَجْرِبِ [٨]!**

حدّث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تنشّد بيت لبيد هذا وتقول: رحم الله لبيداً فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرائهم؟ فقال عروة: رحم الله عائشة فكيف لو أدركت من نحن بين ظهرائهم؟ وقال هشام: رحم الله أبي، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرائهم؟ وقال وكيع: رحم الله هشاماً فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرائهم؟ وقال أبو السائب: رحم الله وكيعاً فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرائهم؟ وقال أبو جعفر: رحم الله أبا السائب فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرائهم؟ قال أبو الفرج الأصفهاني: ونحن نقول: الله المستعان فالقصة أعظم من أن توصف [٩]!

قال الوزير القفطي: رحمهم الله جميعاً، فكيف لو أدركوا «أفراخ الواسطة» ذوي المعرفة الساقطة؟ إذن لعاشوا في حزن دائم، وهم متصل، وغيظ مستعر، وأكباد مقروحة!

صاحب الشعر الجاهلي وما ثار من خلاف حوله، وزكي مبارك الذي يسمّي نفسه «الدكاترة» لتيله أكثر من شهادة، ومحمد عبد الخالق عزيمة، وشوقي ضيف، وشكري عياد، وعبد القادر القط، وبنّت الشاطيء «عائشة عبد الرحمن» الحاصلة على الدكتوراة في الأدب والنقد من جامعة القاهرة، وإبراهيم مذكور، ورمضان عبد التواب، ويوسف القرضاوي وغيرهم كثير.

قال: أحسنت، ولكن قل لي هل أسهم غيرهم (من غير حملة الدكتوراة) في الحركة الأدبية والفكرية في البلاد التي ذكرتها؟ قلت: أجل، بل هم أساس النهضة الأدبية والصحة الفكرية، وتحضرني الآن بعض اسمائهم من أمثال:

الأستاذ محمد بهجة الأتربي، والشاعر معروف الرصافي، والشاعر محمد مهدي الجواهري، واللواء محمود شيت خطاب من العراق، عبد القدوس الانصاري مؤسس هذه المجلة (المنهل)، والفريق يحيى العلمي، والشاعر عبد الله بن خميس، والشاعر حسن قرشي، وطاهر زمششري، ومحمد الجاسر من السعودية، وكذا الأستاذ محمد كرد علي، والشيخ علي الطنطاوي والشاعر عمر أبو ريشة من سورية.

أما من مصر فيتعذر حصرهم ولكني أنكر منهم: الأديب الراجعي، والعقاد صاحب «العبقريات» وتوفيق الحكيم، والمنفلوطي، وأحمد حسن الزيات، ونجيب الكيلاني، ومحمود محمد شاكر، والمازني، وأحمد أمين، ومحمود تيمور، وعبد السلام محمد هارون شيخ المحققين وغيرهم كثير.

قال: أفدت يا أبا عبد الله وأجدت، إني أغبط هؤلاء الدكاترة على ألقابهم البديعة وعلي مناصبهم الرفيعة، فهل كل من نال «الدكتوراة» يحظى بشرف العلم وجلالة المنصب؟!

قلت: كلا والله لقد ذهب الرعيل الأول من الأساتذة

ممشق وتولى القضاء فيها، ومارس التدريس حتى توفي (٦٨١هـ).

(٢) ياقوت الحموي: أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله، مولى رومي الأصل، بغدادي المولد، استقر به المقام في حلب، عند الوزير القفطي، له «معجم الأدباء» و«معجم البلدان». ت (٦٦٦هـ).

(٣) القفطي: جمال الدين أبو الحسن، علي بن يوسف. ولد في بلدة قفط بصعيد مصر. ناصر صلاح الدين والقاضي الفاضل، استقر به المقام في حلب حيث ولي الوزارة مرات، وقد اتصل به ياقوت وأذاع فضله. توفي في حلب (٦٤٦هـ).

(٤) البيت لابي فراس الحمداني، من قصيدته المشهورة «أراك عصي الدمع».

(٥) ابن بنية: وزير مشهور قيل إنه مات تحت أقدام الفيلة ت (٩٧٨هـ).

(٦) البيتان لصفي الدين الحلبي، في ديوانه ص (٢٢٤)، وإليهما قوله:

لغة تنفرُ المسمعُ منها

حين تُروى وتشمزُ النفوسُ

(٧) زه زه: كلمة فارسية تقال عند الاستحسان. وقد تقال عند الاستهجان تهكماً وسخرية. (المعجم الوسيط مادة زه).

(٨) البيت للشاعر المخضرم لبيد بن ربيعة (ت ٤١هـ).

(٩) انظر: شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، اعتنى بتصحيحه أ. أحمد بن الأمين الشنقيطي، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، ص ٢٧.

(١٠) البُغاث: ضعاف الطير، وفي المثل: «إن البُغاث بأرضنا يستتسر». يضرب للضعيف يصير قوياً، وللذليل يعز بعد الذل. (انظر: مجمع الأمثال للميداني، ج ١، ص ١٠).

قلت: على رسلك يا أبا الحسن، إنه زمان الإمعة والروبيضة، فلا تعجب لانقلاب الحدثان، وتغير الأقران، وسيادة الجهال وأشباه الرجال! وحسبنا الله ونعم الوكيل!

قال: يا أبا عبد الله، استحلفك بالله ألا تكتم عني مظلمة إن علمت بها، ولا تن في إرشاد الحائر، فبابي مفتوح لكل سائل أو متظلم أو صاحب حاجة، وإذا سمعت عن أحد من هؤلاء الدكاترة الأكفيا ممن لا واسطة لهم ولا راحلة، ولا جمل ولا ناقة، فبلغني فوراً، فإنما تحيا الأمة بالخلصين وتقسد بالبغاث والمتسلقين [١٠].

قلت: أعز الله الوزير، وأدام عدله، وأفاض عليه نعمه، سافعل إن شاء الله.

وأما أنا فسوف أجمع أخبارهم، وأسطر أعمالهم، وأحتفي بمتأثرهم في كتابي «معجم الأدباء»، وسأجعل عنوانه الجديد: معجم الدكاترة الأدباء والبروفسورات الشعراء!

قال ابن خلكان راوية هذه الحكاية:

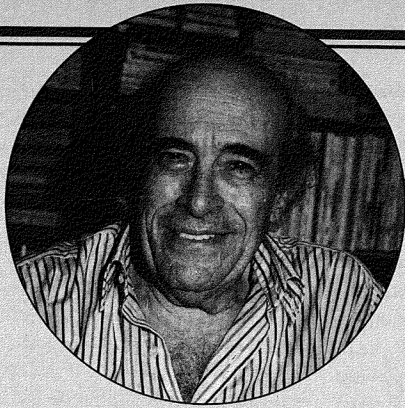
فلما غير ياقوت عنوان كتابه اقتديت به فجعلت عنوان كتابي: «وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان، على هذا النحو:

«وفيات الدكاترة الأعيان والدكتورات الحسان وأبناء التكنولوجيا في هذا الزمان»!

أما الوزير القفطي فقد أعاد طباعة كتابه: «إخبار الحكماء بأخبار العلماء» وصدره بمقدمة قيمة طارت شهرتها في الآفاق، سماها: «قواعد الدستور في فرائد الدكتور».

الهوامش:

(١) ابن خلكان: مؤرخ حجة، وأديب ماهر، ولد قرب الموصل، واسمه أبو العباس أحمد بن محمد، انتقل إلى



حوار مع الروائي الكبير

إدوار الخرائط

«إدوار الخراط» الذي أعرفه من أشهر الروائيين.. وأكثرهم التزاماً.. الكتابة عنده ضرب من سائر ضروب الفنون الجميلة مجتمعة.. ومن شتى ضروب المعارف مجتمعة أيضاً.. أعرف قيمته الأدبية من خلال قراتي الدؤوبة الصبورة لأعماله الإبداعية.. وإدوار الخراط إنسان عاشق لعروبه.. لذلك فلا غرو أن يمنح جائزة «سلطان العويس» التي تمنحها دولة الإمارات العربية..

ولد في ١٦ مارس عام ١٩٢٦ بالاسكندرية، وحصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٤٦، وعمل مستشاراً لرئيس منظمة تضامن الشعوب الأفروآسيوية.. له أكثر من عشرين مجموعة قصصية وروائية، وحوالي خمسة دواوين شعرية، وأكثر من خمس عشرة دراسة أدبية، بخلاف ترجماته ومقالاته ودراساته.. حصل على جائزة الدولة للقصّة القصيرة عام ١٩٧٣م، وجائزة الصداقة الفرنسية العربية من فرنسا عام ١٩٩١، وجائزة كافافيس للدراسات اليونانية عام ١٩٩٨م، وجائزة الدولة التقديرية عام ٢٠٠٠م.

** ربما هي القضية التي تشغل فكر كل

إنسان.. الموت من القضايا الأساسية أو الكبرى.. المصير.. من ضمن قضايا أخرى مثل: ما هي العدالة؟.. ما هي الحرية؟.. ما هو معنى الوجود؟.. إلخ.. من هذه القضايا التي -بطبيعة الحال- لها مذاق فلسفي.. وجوهر فلسفي.. ولكنها تعالج -فيما أرجو- في أعمال الروائية والشعرية معالجة فنية وليست معالجة عقلية نظرية.. ولهذا فلا ينبغي أن

مجلة المنهل كان لها هذا الحوار الهادف والجاد:

* «إدوار الخراط».. كاتب راصد للأجواء النفسية.. ولقضايا الخلق والعدم والحياة والموت.. تتوقف عند قضية الموت.. يقول «وليفيق» في رواية «أبنية متطايمة»: «هذا الموت الذي يلزمني الآن ملازمة مستمرة.. يجعلني لا أحس بأي شيء مما حولي».. الأمثلة عديدة.. وإنسال.. لماذا الموت هو القضية التي شغلت فكر «إدوار الخراط» في كتاباته؟

المنهل



حاوره : وفيق صفوت مختار - القاهرة

الحياة... واستمتاعاً بالحياة... وتاكيداً للأمل في الحياة في مقابل الفجعة والحزن والياس... إلى آخر ذلك... فهذه هي بالتأكيد عناصر الأدب الصحيح... والحياة الصحيحة.

*** ما رأيك بصدد الحيرة التي يقع فيها المبدع أحياناً بين ما يكتبه ليرضيه هو كمبدع أو كاتب، وبين ما يرضي جمهوره القراء أو المثقنين؟**

**** أبداً... أنا أعتقد أنها قضية مغلوطة... لأنه عندما يكتب الكاتب... أو يعمل الفنان بشكل عام وفي ذهنه اعتبارات أخرى غير متطلبات العمل الفني نفسه هو مُعرض للعطب... وأي نوع من أنواع التنازل في هذه الحالة... يؤدي إلى فقدان العمل الفني قيمة لعلها كانت تتوفر له... ليست المسألة مسألة لامبالاه بالقارئ... أو عدم اهتمامه بالقارئ... هذا غير صحيح لأن كل فنان يهمله أن يقرأه ويسمعه ويراه كل أحد... كل أحد في العالم، لكن طببيعة الحال إذا وضع الفنان نُصْبَ عينيه شيئاً آخر أو ما يريده الجمهور، ما أنراه بما يريده القارئ أو المستمع...**

يؤخذ كلام «وفيق» أو من شئت مأخذ أنه هذا ما يعتقد الكاتب... وإنما هذا ما يطرحه الكاتب من ضمن ما يطرح من أسئلة وقضايا.

*** بعض شخصيات «إنوار الخراط» تعاني من صراعات وأحباطات وحزن عميق... هل النفس البشرية مفطورة في الأغلب الأعم على الحزن؟ وأن الحزن الإنساني هو الجدير بالتسجيل والحكي والقص؟ وأن لحظات السعادة تعاش ولا تدون؟**

**** هذا صحيح... ولكنه غير كاف... بمعنى أن الشجن والحزن والالم وأيضاً المأساة موجودة في حياة كل إنسان... وفي صميم كل كتابة أدبية... ولكن إذا كانت المقوم الوحيد لهذه الكتابة فهو خلل... هناك إلى جانب الحزن النشوة والفرح والبهجة... ليس بمعنى السعادة... السعادة كلمة غامضة جداً... السعادة حالة لا أعتقد أنها متصلة أو مستمرة أو دائمة... وليست هي الخمول أو الركود أو الاستقامة إلى المتع والملاذات استقامة هادئة... ليست هذه سعادة... وإنما السعادة أن تحدث بهجة... تحدث إقبالا على**

**** العمل الفني الجاد رؤية مستقبلية.**

**** الأديب يستشرف الظواهر الاجتماعية**

والحياتية من خلال قراءة الواقع.

**** جائزة نوبل ليست المقياس للقيمة الأدبية.**

اجتماعية وحياتية مختلفة قبل أن تقع .. الفنان يدرك أو يتنبأ بما سوف يحدث، كما حدث في بدايات هذا القرن بالنسبة للحركة السريالية والحركات التشكيلية المختلفة التي أنذنت بهذا التفكك وانعدام المنطق العادي اليومي .. وحلول منطق آخر محله هو منطق الإنفعال .. منطق القوى اللاواعية .. إلا أنه في النهاية الإنسان ليس عقلاً فقط .. بل هو إلى جانب العقل .. والعقل هو كما قال شيخنا « المعري » الإمام في الكتيبة الخرساء أو الكتيبة الظلماء، ولكنه ليس هو العنصر الوحيد الذي يقوم الإنسان .. إلى جانب العقل هناك تلك القوى التي تحيish بها النفس والروح الإنسانية .. لعل الفن هو وحده القادر على رؤيتها وادراكها .

وأي قارىء؟ وعلى أي مستوى؟ .. ولأي درجة؟ .. هل هو الحد الأدنى؟ وعندئذ يصبح كلامه سطحياً جداً .. هذه مسألة أعتقد أنها خارجة عن سياق الخلق الفني .. وغريب عليه .. أنا أيضاً أعتقد أن القارىء حتى لو كان لديه أي مستوى من التعليم سيصل إليه شيء من العمل الفني الأصلي .. يصل بشكل أو بآخر .. قد لا يستطيع أن يعبر هذا القارىء عما وصل إليه من هذا العمل تعبيراً دقيقاً أكاديمياً مثقفاً إلخ .. لكن أنا مؤمن أن شيئاً فيه يهتز ويستجيب للعمل الفني الصادق .. وفي تصوري أن التنازل يؤدي إلى الخلل والعطب .

* يطلق البعض على هذا العصر عصر القلق

والتعقيد والتفتيت، وكان من الطبيعي أن تتأثر الرواية ومعها الشعر والقصة القصيرة بكل هذا القلق، فصارت الرواية لا تخضع لقواعد العقل والمنطق، بل أصبحت صورة الحياة المفككة .. وخرجت في شكل وعاء يضم كل المتناقضات التي تجعل من الحياة لوحة من الأخطال العجيبة .. ما صحة هذا الطرح؟

** هذا صحيح .. ولكن التوضيح أو استكمال هذا الموقف هو أن العمل الفني ليس مجرد انعكاس للواقع أو للمجتمع، ليس صورة في مرآة، وليس محاكاة، وإنما هناك تفاعل مستمر، وتبادل في التأثير، والدليل على ذلك أن العمل الفني أحياناً يستشرف ويرهص ويتنبأ بوقوع ظواهر

* هل أصبح من العسير أن يفوز بجائزة نوبل في الأدب مبدع مصري أو عربي، على غرار فوز «نجيب محفوظ» بها في الثمانينيات؟ ..

** يجب أن نتخلى عن الهوس بنوبل .. لأن نوبل ليست هي المعيار النهائي، أو الوحيد للقيمة الفنية، هناك فنانون كبار أو أدباء كبار لم يحصلوا على «نوبل» بل بالعكس هناك من حصل عليها ممن هم أوساط، أو على الأقل لا يتمتعون بموهبة كبيرة!! هناك اعتبارات أخرى دائماً تدخل في حسابات جائزة «نوبل» اعتبارات التركيز على الثقافة الأوروبية .. فليس من المعقول مثلاً أن الهند بكل ثرائها ولغات المتعددة لم يحصل منها كاتب أو أديب على

*** أعماله تثير في مواجهة السائد وتقتسم غير المألوف .**
*** الجائزة مرفأ أمان وموضع ترحيب وتقدير .**
*** النقد الجاد يعكف على الأعمال الجبادة .**
*** التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني خيانة .**

الجيدة، وهذه الأعمال ليست بالضرورة كثيرة، لأن الواضح جداً أن الأعمال الجيدة ليست هي التي تغرق الأسواق، ما يغرق الأسواق هو السهل المتداول الرائج، الأعمال الجيدة تحتاج إلى جهد في تلقيها .. وهو جهد متع دائماً، وجهد لكي يستطيع الناقد أن يلعب دوراً، أو يقوم بدور الجسر بين العمل وبين القارئ»

*** يدعو البعض لإقامة تطبيع ثقافي مع**

إسرائيل! .. ما تعليقكم؟

**** خونة !!**

*** وما هي مبرراتكم؟**

**** سهلة جداً، وواضحة جداً، ولا تحتاج إلى تبرير ..** بمعنى .. لا يمكن أن ادعو إلى تطبيع مع شيء غير طبيعي، وإسرائيل غير طبيعية، إنها حتى الآن ولأمد غير منظور مازالت تحتصّب أراضي غيرها .. مازالت تنتهك حقوقهم، مازالت تمارس نوعاً من الاستعلاء العنصري ومزاعم التفوق، ومازالت عملية لقوى استعمارية واضحة النوايا .. وواضحة المقاصد .. وواضحة المناهج، مازالت أيدي إسرائيل تقطر بدم الفلسطينيين كل يوم، كيف أمد يدي لهذه الأيادي الملوثة بالدماء؟!

*** بماذا يرى «دوار الخراط» الواقع الثقافي في**

مصر والعالم العربي؟

**** الواقع الثقافي كلمة عريضة جداً، دعني أركز على الرواية والقصة القصيرة والشعر ..** أنا أعتقد في كلمة موجزة، أننا لم نشهد فترة حدث فيها هذا الإزدهار، والمغامرات المتعددة، والاتجاهات الكثيرة، والمواهب الواضحة كما نشهد الآن في القصة القصيرة وفي الرواية وفي الشعر أيضاً.

«نويل» إلا «طاغور» في أوائل هذا القرن!! ممّا يدلك على أن «نويل» ليست هي المحك أو المعيار النهائي للقيمة الفنية .. وطبعاً العالم العربي أيضاً فيه - فيما أتصور - من هو أجدر «بنويل» ممن حصلوا عليها من بعض كُتّاب الغرب.

*** بعد فوزكم المستحق بجائزة «سلطان العويس»**

في الرواية .. ماذا تعنى الجوائز الأدبية لديكم؟

****** هو طبعاً بالنسبة للكتابة .. والعمل الفني وطوال سنوات عديدة جداً جداً .. لم يكن لعوامل خارجية مثل الشهرة والانتشار والرواج أو الجائزة أو الحصول على مركز إلى آخر كل ذلك .. أي قيمة، أو أي اعتبار، بالعكس تماماً، أظن أنه منذ بداية أعمالتي كنت أسير في مواجهة السائد، أو ضد التيار الغالب، وأحاول أن أقتحم غير المألوف، وأن أقوم بمغامرة في الفن .. أعتبر أنها هي أحد الشروط الأساسية للعمل الفني الجاد .. لكن طبعاً الجائزة عندما تصل تصبح مرفاً أمان للكاتب وموضع ترحيب وتقدير.

*** هناك من يرى بأن الحركة النقدية في مصر**

والعالم العربي قاصرة عن تتبع هذا الكم الهائل من

الإبداع الروائي والقصصي والشعري أيضاً!! ما

تعليقكم؟

****** طبعي جداً أن يكون هناك فجوة زمنية بين ظهور العمل الأدبي .. وظهور النقد، لأن النقد عملية ليست مثل الإلهام في كتابة قصيدة شعرية تأتي في ومضة خاطفة، بل تحتاج إلى دراسة وتأمل، فترة من الزمن يخلص فيها الناقد للعمل ولتأمله ولدراسته، وبالتالي لا يبدو أنه يواكب ظهور العمل مواكبة فورية، بل هناك دائماً هذا القدر من التمهّل، وخاصة أن النقد يعكف، النقد الجاد الحقيقي يعكف على الأعمال

الاستشراق

أهدافه وأثره في الدراسات العربية

أسئلة ونقاش، وما عقد من ندوات وملتقيات، وما صدر من كتب ومقالات - تميط اللثام عن أهدافه وأثره الايجابية والسلبية في الدراسات العربية الاسلامية. وتأتي هذه الدراسة، لاثارة موضوع الاستشراق باعتباره حركة علمية ومدرسة فكرية، تباينت الآراء ووجهات النظر في الحكم عليها بين الدارسين. ويتمحور حول مفهوم الاستشراق، وحصر أهدافه، وتشخيص آثاره الايجابية والسلبية في الدراسات العربية.

المفهوم:

الاستشراق لغة مأخوذ من جذر (شرق) بزيادة الهمزة والسين والتاء للدلالة على الطلب والسؤال غالباً [١] ومنه التعبير العربي القديم (هؤلاء قوم استعربوا)؛ أي طلبوا العربية في تعلمهم حتى لزمهم. واصطلاحاً تأتي وصفاً للشخص الذي اتخذ الشرق ميداناً له؛ فاطلع على حضارة الشرق ولغتها وعلومها عامة، وتضييق دائرة التخصص في كلمة (مستعرب) التي تعني الشخص الغربي الذي اطلع على لغة العرب وعلومها وحضارتها خاصة [٢].

وقد ظل تعريف مصطلح الاستشراق يتباين بين الدارسين باعتباره ظاهرة غير محددة الغاية، ولا

مرّ على العالم العربي حين من الدهر، بات الباحث فيه، لا يكاد يجهر بإبداعه الفكري في مجال الدراسات التراثية العربية، العلمية، واللغوية والأدبية والفنية، الا باستشارة مباشرة أو غير مباشرة للدراسات الغربية والاستشراقية بخاصة؛ إذ كان ظل خطاب المستشرقين، يرافق كل متلقٍ حاول ابتداء مشروع انمائي، أو اعلان نظرية، أو كتابة رسالة علمية، أو الادلاء بفكرة مبتدعة في مجالي البحث العلمي والأدبي.

ولم تكن تعود البتة تلك الظاهرة لضعف في التكوين العلمي لدى الباحث العربي آنذاك، أو لأن الدراسات الاستشراقية للتراث العربي الاسلامي جاءت بالقول الفصل والمنهج العلمي السديد، وإنما ترجع الى الركود الفكري والثقافي الذي شمل العالم العربي الاسلامي قرونًا، ليترك فراغًا تتولى الفصل فيه الأحكام الاستشراقية في أخطر القضايا الفكرية والعلمية المتصلة بالتراث الحضاري. وساعدها على ترسيخ خطابها الاستلابي، وسائل الاعلام، والامكانيات المادية، واستثمار المعارف الانسانية لصالحها.

وانطلاقاً من هذا المعطى يصبح (الاستشراق) موضوعاً خطيراً، يفرض نفسه بالحاج، ويحتاج الى دراسات جادة ومتجددة - على الرغم مما أثر حوله من

والهندية وغيرها، واطلعوا على حضارتها وعلومها وصناعاتها في مواطنها الأصلية من أجل غايات وأهداف متعددة، وإن غلب عليه في هذه الفترة من الزمن دراسة الاسلام وما يتبعه من لغات أهله وتاريخهم وعلومهم ومظاهر حضارتهم.

ولم يستقر المصطلح علميا، الا في حدود القرن الثامن عشر؛ ليدرج في معجم الاكاديمية الفرنسية سنة ١٨٢٨م، كما عقد أول مؤتمر للمستشرقين سنة ١٨٧٥م، وأسس المعهد الكاثوليكي في باريس (institut cath de paris) سنة ١٩٧٥م للغات العربية والسريانية والقبطية[٦].

أسباب نشأته :

اختلفت آراء الدارسين حول تاريخ نشأة الاستشراق وأسبابه والاهداف التي ظل يسعى لتحقيقها، الا أن المعطيات التاريخية تجعلنا نقف على الكثير من الاحداث ذات الصلة الوثيقة بما أصبح يدعى فيما بعد (بالاستشراق)، ومن أهم الآراء في هذا الصدد نذكر:

١ - يرجع تاريخ نشأة الاستشراق الى سنة ٦٢٩م في معركة (مؤتة) بين المسلمين والبنزنيين؛ حيث احتل المسلمون بالرومان، فشاهد الرومان أول مرة حضارة راقية، ونظاما عجيبا يحرك الناس، ويدعوهم الى منهاج يمكنهم من السيطرة على كل ما يقف أمامهم؛ (فوقف المسلمون والنصارى موقف خصومة سياسية)[٧]، بدعوى أن الاسلام قادر على احتواء العالم في أي وقت من الأوقات، فهل حركة الاستشراق تبدأ بهذا التاريخ؟ وهل يرجع فعلا قيامها الى هذه الخصومة التاريخية؟

مقصودة الهدف؛ فالاستشراق لم يكن للعلم الصرف أو السياسة الصرفة أو الدين أو للفن أو غير ذلك. كما أنه يختلف باختلاف الايديولوجية التي ينتمي اليها الدارس، وبحسب المعتقد، من مسلم الى مسيحي الى يهودي الى ملحد؛ ولذلك لم يتضح هذا المصطلح الا في حدود القرن الثالث عشر الميلادي، مع كل من/ فديرك الثاني المتوفى سنة ١٢٥٠م، وألفونسو صاحب قشتالة، المتوفى سنة ١٢٨٤م الذي (جمع المترجمين وأمر بترجمة كتب العرب، فقصوا معظم القرون الوسطى في النقل ليخرجوا بحوالي تسعين كتابا في الطب و٤٠٩ كتابا في الكيمياء والنجامة و٩٠ كتابا في الفلسفة والعلوم الطبيعية و٧٠ كتابا في الرياضيات والفلك)[٣].

على أننا نجد قبل هذا التاريخ، ظاهرة الاستشراق تتبلور في شكل ارساليات تنصيرية، مثلما فعل المستشرق جريبر دي اورلياك (٩٣٨ - ١٠٠٣م)؛ حيث (أصبح أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، ولما ارتحل الى روما سما على أقرانه، وانتخب حبرا أعظم، باسم سلفستر الثاني (٩٩٩ - ١٠٠٣م)، فكان أول بابا فرنسي يأمر بإنشاء مدرستين عربييتين/ الأولى في روما مقر خلافته، والثانية في رايمس وطنه)[٤]. ومثله المستشرق قسطنطين الافريقي الذي انتحل لنفسه كتاب المقالات العشر لحنين بن اسحاق المتوفى سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)، فجعل عنوانه (كتاب قسطنطين الافريقي في طب العيون)[٥].

ولعله، ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادي، أخذ يتضح مصطلح الاستشراق، والمستشرقون هم علماء غربيون درسوا اللغات الشرقية كالعربية والفارسية

يحسن الا اللغة العربية كتابة وقراءة، من مثل: (الفونسو)، و(بيدرو الطليطي المتوفي سنة ١١٤٠م) الذي يقول (وقد أصلح راهب لغتي اللاتينية؛ لأنني لا أجيدها مثل اجادتي اللغة العربية)[١٠].

ان تتبع الآراء السالفة الذكر حول تاريخ نشأة الاستشراق وأسبابها، تجعلنا لا نكاد نستقر على رأي، وبخاصة أن هذه الحركة لما تبلورت، اعتنت بكثير من القضايا المتشابكة، ولا سيما مع بداية ظهور الاستعمار الاستيطاني، الساعي الى البحث عن المصادر الاقتصادية، الا أن جل الآراء السابقة تتكامل في بعض التواريخ والأسباب، فالسبب المشترك بين الآراء السابقة، ينحصر في البحث عن أسباب القوة عند المسلمين، وقد تمثلت في المنهج الاسلامي الشامل الذي فتح آفاقا عظيمة، في العلم والتطور الفكري الحضاري. وينطلق تاريخ هذا المنهج عبر مرحلتين:

١ - مرحلة اللقاء المبدئي سنة ٦٢٩م في معركة مؤتة، وهي مرحلة تطلع وأنهار.

٢ - مرحلة الأخذ ابتداء من سنة ٧١١م في الأندلس أثناء الفتح وبعده.

ومع ذلك، فإن أغلب الآراء السابقة جديرة بالدراسة؛ لأن كل فريق عالج جانباً من جوانب الاستشراق المتداخلة، وليس أدل على ذلك من العداء المصطنع بين (الاسلامية)، كمشروع حضاري، والادبيولوجيات الأخرى القديمة والحديثة وحتى المعاصرة منها مثل ظاهرة العولمة، أو النظام العالمي الجديد الذي يود الاستمرار في الهيمنة، ورفض وجود

٢ - يعود الاستشراق الى مجالس العلم في الأندلس، والى الاتصال المباشر للغربيين بالمسلمين؛ لأخذ العلم والمعرفة، فقصودوا مدارس اشبيلية وقرطبة، مثلما فعل المستشرق جريبر دي أوراليك ابتداء من القرن العاشر؛ حين قصد الأندلس وأخذ من أساتذتها، في مدارس رييول، وأشبيلية، وقرطبة حتى أصبح أوسع علماء عصره علماً وثقافة كما سبقت الإشارة[٨].

٣ - يتتبع الاستشراق بأيام صلاح الدين الأيوبي (١١٣٨ - ١١٩٣م)، ومع الحملات الصليبية المتتالية، لسبب عقائدي سلطوي، كما يذهب الى ذلك المؤرخ ابن الأثير في كتابه الكامل؛ فيذكر أن الغرب وصل به الأمر الى أن يرسم صورة المسيح وقد كتب تحتها/ هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين[٩].

٤ - وفريق آخر يرى أن نشأة الاستشراق، ترجع الى تاريخ فتح الأندلس على يد طارق بن زياد سنة ٧١١م، وانتصاره على رודريك ملك القوط. وتمتد هذه الفترة الى حدود فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م.

وكان ذلك بهدف البحث عن أسباب القوة عند المسلمين؛ فوجدوا أنها تكمن في القرآن الكريم، وضمنه اللسان العربي الذي يفتح لهم آفاق العلم، ويعرفهم على كنوز الحضارة العربية الاسلامية. فعمدوا الى اتخاذ كل وسيلة في سبيل تعلم اللغة العربية، وترجمة كل ما كتب بهذه اللغة، حتي وجد من ضمن علماء أوروبا من لا

*** علماء المسلمين وفروا للعقل مساحة واسعة في حرية البحث.**
*** المستشرقون أفادوا كثيراً من منهجية البحث عند المسلمين.**

وصناعات وفنون ومناهج، (فكانت أوروبا في القرن الحادي عشر، تتجه الى العرب باحثه عما تجده عندهم من صناعات وعلوم وفنون وخاصة الملاحه) [١٣]. وبرزت ملامح هذا الهدف في مجالات عديدة؛ حيث تأسست حركة الترجمة للوصول الى خلاصة فكر المعارف العربية.

٢ - هدف تبشيري عقائدي:

بدأ مع الحملات الأوربية نحو افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، لنشر المسيحية، في محاولة لصد انتشار الاسلام، مع العمل على التشكيك في صحة الرسالة الاسلامية تحت ستار طلب العلم والمساعدة، فظهر قادة سياسيون دعموا هذه الحركة، أمثال، نابليون بونابارت ١٨٩٢م وغيره. ومن ثمة بدأت نهضة أوروبا لتطبيق الاسلام (فحوضر، وقطع عن مصادره الصافية، فبدأ المجتمع العربي يميل نحو، الضعف ليعود بعد ذلك الى أنظمتها التقليدية القديمة) [١٤].

وقد ارتبط هذا السعي بالحركات المتطرفة المعادية للاسلام، كالناسوتية والصليبية والصهيونية، من منطلق تعصبي يعمل على نكران فضل المشروع الاسلامي على البشرية، وبالتالي العمل على تشويه القيم الاسلامية. يقول كارل بروكلمان (وفي المدينة أدخل محمد (صلى الله عليه وسلم) على غرار اليهودية صلاة ثالثة عند الظهر) [١٥]. ومن ذلك أيضا، مسألة الترويج لحركة القرامطة في العالم العربي، وزرع المصطلحات المنافية للدراسات الاسلامية (رجل الدين - الاشتراكية الاسلامية - السامية)، ودفع الطلبة العرب والمسلمين في الجامعات الغربية، الى اختيار موضوعات أطروحاتهم في القضايا الهامشية التي ليست من العلم أو الاسلام في شيء.

ومن أمثلة هذه المواقف، أن المستشرق (اندرسون) رئيس قسم الاحوال الشخصية في جامعة لندن، عمل على اسقاط طالب في شهادة الدكتوراه،

أي مشروع حضاري آخر ينافسه، كما عبر عن ذلك الروائي فوكو ياما في (نهاية التاريخ)، حيث حاول مروجها، أن يخرج كل الأمم من التاريخ القادم، باستثناء الغرب وأمريكا بالذات [١٦].

أهداف الاستشراق:

ظلت ظاهرة الاستشراق تتطور منذ نشأتها، تبعاً للأهداف المتجددة؛ فلئن ابتدأت بنظرة انبهار وتطلع الى المجتمع العربي الاسلامي، ونظامه المثالي المتكامل، فانها سرعان ما حاولت الأخذ بأسباب هذه القوة وعناصرها المتمثلة في المشروع الاسلامي.

وهو مشروع، يكمن جوهره في المنهج العلمي المعتمد على اليقين الكامل في المنقولات والثوابت، والقياس والاستقراء في القضايا الفكرية والعلمية، على خلاف المنهج الأسطوي الذي ظلت أوروبا متمسكة به دون تعديل قبل اطلاقها على الدراسات الاسلامية في المجالات العلمية المختلفة.

ولما كانت أهداف هذا التوجه متعددة - بحيث لا يمكن أن يكون الدافع واحدا للمستشرقين كافة، وفي جميع البلدان العربية والاسلامية، خلال أكثر من ألف عام، إذ كانت هناك دوافع وأهداف متنوعة ومتداخلة ومتطورة - نفضل أن نتتبعها من منظور ثلاث أطروحات:

١ - هدف علمي تعصبي:

بدأ بنظرة انبهار واعجاب، فسعى الغرب في اطاره الى محاولة الوقوف على سر قوة العرب المسلمين؛ حيث ان أوروبا (نظرت الى الحضارة الاسلامية نظرة اكبار وتهافت، ولكن الرهبان أخذوا بدافع تعصبي يحاربونها... ويدرسون الثقافة الاسلامية، رائداهم في ذلك تتبع العورات، وتلمس السيئات... وتعاونت الكنيسة مع ملوك أوروبا في شد أزر المستشرقين والتمكين لهم في مهمتهم) [١٦]. ومن هنا عمل على أخذ كل المآثر الحضارية، من معارف

مستوى مناهج البحث أم على مستوى الرؤية الفكرية لبعض الدارسين العرب والمسلمين.

فمن الثابت أن الخطاب الاستشراقي وفد الى العالم العربي الاسلامي، بعد تفكك الخلافة الاسلامية، وبرز ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية متدهورة، مما سهل على الغرب مسألة الاحتواء، وجعل تلقي الخطاب أمراً ميسوراً، يتقبله الباحث العربي بشغف واهتمام زائدين، وتأثر بالغ، على ما يحمله من أهداف مشبوهة.

الآثار الايجابية والسلبية:

١ - استثمار المنهج العلمي والافادة منه، واشهراره في البحوث والدراسات المختلفة، وهو منهج لم يبتدعه المستشرقون، بل استنبطه علماء العرب مما شاع في الدراسات الاسلامية عند ابن رشد وابن الهيثم والغزالي وغيرهم، كما شاع في الدراسات الغربية بعد ذلك عند مونتسكيو وديكارت وبرونيتير وغيرهم، وهو منهج استثمره المستشرقون في تحقيق جانب كبير من التراث العربي الاسلامي، كما ظهرت آثار هذا المنهج في أساليب التعليم العربي، وتحقيق التراث الفكري والأدبي والعلمي والترجمة.

وقد تلقف الغرب أول مرة هذا المنهج، من منطلق أن العقل فوق الحكم، والتجربة مناط النتيجة، كما جاء في التراث العلمي الاسلامي، يقول المستشرق ادلرد أوف (١٠٧٠ - ١١٣٥م) ADELARD OF، (انني وقائدي العقل قد تعلمت شيئاً واحداً من اساتذتي المسلمين)[١٧]، ويعني بذلك أن المنهج الاسلامي في البحث العلمي أطلق الفكر الأوربي من قيده، وحرره من عقالة، ليناقدش مواضع، وينقد مواضع كانت ممنوعة عليه، ودفعه الى تطوير النظريات واستثمار نتائج التجارب العلمية.

بسبب اختيار موضوع (التشريع الاسلامي)، ولما سئل في ذلك قال (هل هو ناطق رسمي باسم الاسلام؟ هل هو أبو حنيفة أو الشافعي؟)[١٦].

٣ - هدف اقتصادي استعماري:

برز هذا الهدف مع بداية مرحلة النهضة الاوربية من أجل تحقيق المصالح الاستراتيجية سياسياً واقتصادياً، فأصبح المستشرقون آلة طيعه في يد الدول الاستعمارية التي تسعى الى توفير المواد الخام لمصانعها، واستغلال الأراضي الشاسعة، واليد العاملة الرخيصة.

وبعد استقلال الدول العربية، اتجه الى سياسة ابقاء العالم العربي الاسلامي على تخلفه، ليظل محتاجاً الى الغرب، الى أن تمكن من السيطرة الاعلامية والاقتصادية تحت ستار تصدير التكنولوجيا والمعلوماتية.

٤ - هدف سياسي حضاري:

وقد تجسد هذا الهدف مع بداية القرن العشرين؛ حيث ظهرت نخبة من المستشرقين المستخبرين، تعمل لحساب الدول الصناعية والشركات العالمية المتعددة الجنسيات، وكذا استغلال ظاهرة الحرب الباردة التي تحولت اليوم الى ما يعرف بالنظام الجديد الأحادي القطب في ظل العولمة.

آثار الاستشراق في الدراسات العربية:

ان الدراسة الموضوعية لحركة الاستشراق، في ظل أهدافها المتعددة والمتباينة التي جئنا على ذكر بعضها آنفاً، ومحاولة قراءة خطابها، والوقوف على آثارها في الدراسات العربية، تجعلنا نترصد كثيراً من الايجابيات، كما لا نعدم جملة من السلبيات.

فلا جرم، أن الخطاب الاستشراقي، أثر تأثيراً مباشراً في الدراسات العربية المختلفة، سواء على

المستشرق الانجليزي د. مرجليوث (١٨٥٨ - ١٩٤٠م) في كتابه (أصول الشعر العربي الجاهلي) [٢١]، وإذا كان من حق مرجليوث أن يطلق منهج الشك على علته، فإن الباحث العربي المسلم يميز بين عنصرى هذا المنهج، أي بين الموجودات والمعلولات اليقينية، التي يعود فيها الباحث الى النقل، مثل وجود ابراهيم واسماعيل عليهما السلام، بنص القرآن والحديث،

والسيرة النبوية وتواتر الروايات، وبين الموجودات والمعلولات غير اليقينية التي يعود فيها الباحث الى العقل من منطلق الشك فيها أو في وجودها مبدئياً، كمعلقة عنتره كاملة مثلاً.

وقد أدى هذا المنهج بطه حسين الى اهمال المقدمات والثوابت من الشواهد، وإلى خلط الحقيقة بالخيال، والتجربة بالتخمين، الشيء الذي أفرغ البحث العلمي من محقواه، واستحال الى تساؤل احتمالي، مندس في ثوب الحقيقة وما هو بالحقيقة.

ومهما يكن من أمر؛ فإن استثمار منهج الشك في المنقولات والمعلولات دون التمييز

بينهما، كان له فضل اثارة العقل العربي في تلك الفترة التي عرفت بعصر الانبعاث.

٢ - تحقيق نسبة كبيرة من التراث العربي الاسلامي، في مختلف فنون المعرفة وفي جميع المجالات الفكرية والعلمية والأدبية واللغوية، دراسة أو تحقيقاً أو ترجمة، وإخراجها في طباعة عصرية مرتبة ومبوبة، وهو عمل أفادت منه الدراسات العربية، غير أن

غير أن هذا المنهج العلمي لم يقدمه المستشرقون كما استقوه من مصادره الأصلية، بل أدخلوا عليه تحويرات فانتقل من (منهج اليقين والشك) الى (منهج الشك) فقط، في الصورة التي تبناه فيها العالم الفرنسي ديكرت. وهو ما جعل بعض الدارسين العرب يتأثرون به، ويأخذونه على علته، كما هو الشأن مع سلامة موسى وطه حسين وسعيد عقل وغيرهم.

*** * الركود الفكري والثقفاني عند المسلمين أدى الى تتبع بعض دارسيهم خطى المستشرقين .**

*** * في بعض المراحل التاريخية تبلورت الحركة الاستشراقية في شكل ارساليات تنصيرية .**

وفي ظل هذا المنهج ذهب طه حسين الى تقديم اطروحاته (في الأدب الجاهلي)، ليخرج بنتيجة مفادها أن (الشعر الجاهلي في أغلبه ليس من الجاهلية في شيء، وإنما هو منحل من مؤلف بعد ظهور الاسلام... وأن أكثر ما نقرأه من شعر امرئ القيس أو طرفة، أو ابن كثوم، أو عنتره، ليس من هؤلاء في شيء، وإنما هو من انتحال أو اختلاق الرواة) [١٨].

ويتدرج طه حسين في إطار منهج الشك: ليقول: (التوراة تحدثت عن ابراهيم واسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا

يكفي لاثبات وجودهما التاريخي... ونحن مضطرون الى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة) [١٩].

لقد أوضح طه حسين، تأثره بالمنهج الديكرتي الذي يطالب الباحث بأن يتجرد من كل شيء كان يعلمه من قبل، وأن ينسئ عواطفه القومية والدينية [٢٠]، إلا أن طه حسين في هذا الصدد، لم يشير الى أن هذه الفكرة طرحها قبله بسنة واحدة، أي ١٩٢٥م

**** المنهج**

العلمي

الاسلامي

يقوم على

اليقين

الكامل في

المنقولات

الثوابت.

**** المنهج**

الاستشراقي

يعتمد منهج

الشك الكلي

في كل

شيء.

**** بعض**

الدارسين من

المسلمين

اعتمدوا

مناهج

المستشرقين

فحادوا عن

الحادة.

كثيرا من هذه

الدراسات، سعت الى

محاولة قطع صلة

الدارس العربي

بأصوله التراثية، وبث

الشك في بعض

الحقائق العلمية

والتاريخية والاسلامية،

بسبب الترجمات غير

الامنية والدراسات

المشوهة، التي حرفت،

وحذفت، وأضافت،

ونسبت الحقائق العلمية

الى غير أصحابها.

ومن أمثلة هذه

المغالطات التي أثرت

في الدراسات العربية،

ما قدمه المستشرق

الفرنسي رينان أرنست

(١٨٢٣ - ١٨٩٢م)

صاحب كتاب تاريخ

اللغات السامية الذي

ظهر سنة ١٨٦٢م،

ومعاصره المستشرق

الألماني شلوتسبير

(١٨٢٢ - ١٨٩٣)،

الذان اطلقا مصطلح

(اللغات السامية) بدل

(اللغات العروبية

البابلية أو

الأكادية) [٢٢]، اذ

اقتبس شلوتسبير هذا

الاسم من سفر التكوين حسب أولاد نوح الثلاثة (سام

وحام ويافث)، وأن أولاد سام هم/ عيلام وأشور وأرام

وأرفكشاد الذي أنجب شيلاش، ولهذا الأخير عابر أبو

العبريين [٢٣]، محاولا بذلك ربط صلة القرابة بين

العرب واليهود من جهة، وسحب أمومة اللغة العربية

لباقي لغات الشرق الأوسط قديما، على الرغم من

اشارات النقوش القديمة الى أصالة العربية، مثل نقش

زيد ٥١٢م ونقش حران ٦٨م وغيرهما [٢٤] من

النقوش التي تثبت أن العربية القديمة، كانت موجودة

وهي أصل لكل الفصائل العروبية الأخرى الموصوفة

بالسامية.

٣ - محاولة دراسة اللسان العربي من أجل انجاز

مهمتهم في الاطلاع على ذخائر العرب والمسلمين في

مختلف المعارف، ابتداء من الصناعات ووسائل الحرب

الى الطب والصيدلة والرياضيات وحتى أنواع اللباس

والطعام.

ومن المستشرقين الذين أولوا أهمية للسان

العربي، العالم الألماني فيشر أوغيس (١٨٦٥ -

١٩٤٩م) الذي أثنى المكتبة الغربية والعربية بعشرات

الكتب، ومن أعماله معجم اللغة العربية القديمة الذي

قضى في تأليفه أربعين سنة من العمل المتواصل، وقدم

جذائحه الى المجمع اللغوي بمصر، وكان هو أحد

اعضائه [٢٥] ومثله المستشرق الهولندي دوزي (١٨٢٠ -

١٨٨٣م)، ومن بين أعماله (تكملة المعاجم العربية)،

أنجزه في جزأين سنة ١٨٨١م، وطبع بباريس سنة

١٩٢٧م، وكان لهذا المعجم آثار بالغة الأهمية في

المعجميين العرب.

ويعتبر دوزي أول باحث وسّع من مصادر اللغة،

فجمع الرصيد المفرداتي للمعجم وفق المنهج الوصفي،

فاتحا باب الاجتهاد في رواية اللغة، مستعينا بكل

المراجع التي أهلها المعاجميون القدماء والمحدثون،

- (٩) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، مطبعة مصر، ١٣٠٢هـ القاهرة ج ٩/١٠٢.
- (١٠) السمرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ص ٢٢.
- (١١) جميل مطر/ المسألة العربية بين قرنين - مجلة الثقافة العربية/ حوار الانداد، المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٩٩ تونس، ص ٣٦.
- (١٢) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين ١٩٧٣م، بيروت ص ٩٩.
- (١٣) محمد أبو الفيض النوفلي، الاسلام والحضارة العالمية ص ٢٢.
- (١٤) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، المكتبة الاسلامية، بيروت ١٩٨٥، ص ٣٣.
- (١٥) صبحي الصالح، م. س. ص ٢٩.
- (١٦) مصطفى السباعي، م. س. ص ٤٥.
- (١٧) م. س. ص ٧٣.
- (١٨) طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار المعارف ١٩٧٩، القاهرة ص ٢٣.
- (١٩) م. س. ص ٢٦.
- (٢٠) م. س. ص ٧.
- (٢١) نجيب العقيقي، م. س. ص ٧٧ ج ٢.
- (٢٢) م. س. ص ١٩١/ج ١.
- (٢٣) علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة/ دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٤٥ ص ٦.
- (٢٤) محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها، المكتب الاسلامي، بيروت/ ١٩٦٠ ص ١٢.
- (٢٥) محمد رشاد الحمزاوي، تاريخ المعجم التاريخي، مجلة المعجمية العربية، ع ٦.٥ / تونس ١٩٩٠ ص ١٩.

مثل المصادر الاندلسية والمغربية والأعجمية والمزدوجة زمانيا ومكانيا، كما اقترح في هذا السبيل المعجم العربي التاريخي؛ وهو صنيع كانت له آثار ايجابية في مناهج البحث المعجمي، وأدى الى دخول مرحلة متطورة في صناعة المعجم مع نهاية القرن العشرين.

ويتضح لنا من المعطيات السالفة، والنتائج المعلنة، أن الاستشراق حركة علمية سياسية متجددة، وفق الظروف والتحولت العالمية، وفي متعددة الأهداف والغايات، أفادت من التراث العربي الاسلامي في جميع مجالاته، وكان لها أثر بالغ في الدراسات العربية تحقيقا أو ترجمة، وفي مناهج البحث المستثمرة.

وبقدر ما كان لهذه الحركة من الايجابيات في خدمة هذا التراث، كان لها من السلبيات في نظرتها الى بعض القضايا العربية الاسلامية، والحقائق العلمية والتاريخية التي لا يمكن لغير المسلم أن يتبناها أو يبيد فيها رأيه.

المراجع والهوامش:

- (١) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، دمشق ١٩٨٠ ط ١٤ ص ٢٢٢.
- (٢) فؤاد افرايم البستاني، دائرة المعارف البستانية، بيروت ١٨٧٦م، ١٢م، ص ١١.
- (٣) نجيب العقيقي، المستشرقون/ دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩، ص ١١٠.
- (٤) نجيب العقيقي، م. س. ص ١١٠.
- (٥) م. س. ص ١١٠.
- (٦) نجيب العقيقي، م. س. ص ١٤٠/١.
- (٧) حسين هيكل، حياة محمد، دار المعارف، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م القاهرة، ص ٩.
- (٨) جرجي زيدان/ تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٨م، ج ١/ ص ٥٠٨.



د. نور الدين صمود - تونس

الذ...ور والديج...ور

وأنطق البُلْبُلُ عطرُ الأفق
والوردُ فاح
والزُّفُرُ والنَّسْرِينُ عمُ البطاح

وطارد النورُ سواد الظلام
بعد المنام

ورفُ في الأفق كسرب الحمام
قد لبستُ هذي الرياضُ الفساح
أحلى وشاح

فانهض فلنُ العيش فيها مُتاح

والنور مثل السيف فيه مَخْصَاءُ
عذبُ الضياءُ

يُنشدُ فجراً في رحاب الفُضَاءُ
«قد حركَ الجَلْجَلُ بازي الصباح

والفجرُ لاح
فيا غُراب الليل حثَّ الجَنَاحُ (*)

الليل أرخى فوق هذي البطاح
ألفي جناح
ونامت الأعينُ بعبد الرُواح

واستيقظت في الأفق عينُ النجوم
فهي الرُّجُومُ

تصد من باغتها بالهجوم
تلوح في الأجواء مثل الرماح
يوم الكفاح

تهتز كالأغصان وسط الرِّياح

النور أغفى والظلامُ انتشر
أين المفر؟!

إن غاب عنا في الليالي القمر؟!

الليل في الأفق مدُّ الجناح
ظُلماً صراح

فهل على من هابه من جُناح

يانشراً في الكون هذا السُّتار
لأ بالفرار
فقد بدت في الأفق شمسُ النهار

المنهل

(*) خرجة هذا الموشع ملتخوذة من طالع موشع مفقود

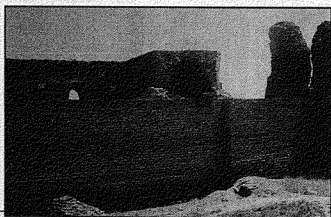
لسان الدين بن الخطيب .

في البلدان والعمارة في التقاليد
والأعراف في ثقافة وجوه
الناس، السحابة يسر تفكير
الامانة ويرسم اللوحة



بونه
الجزائرية

مدينة «الرقعة»
عاصمة هارون الرشيد



السائح
محطة

العدد (١٢٦)



ذاكرة المكان:

بونه .. الجزائرية

المطر. وفي الجانب الشرقي من المدينة توجد قلعة كبيرة حصينة محاطة بأسوار سمكية من بناء ملوك تونس، وفيها يقيم الحاكم. وفي خارج المدينة تحرث البادية على مسافة أربعين ميلا طولا وخمسة وعشرين ميلا عرضا وكلها صالحة لزراعة القمح وتسكنها قبيلة عربية تدعى مرداس، تزرع الأرض وتملك عددا كبيرا من البقر والثيران والغنم. وتعطي هذه الماشية الزبد الكثير يكادون لا يحصلون على مقابله من المال، عندما يحملونه للبيع في عنابة، وكذلك القمح. وتأتي كل سنة سفن عديدة من تونس وجربة ومن سائر السواحل، وكذلك من جنوة لشراء القمح والزبد، تستقبل بحفاوة كبيرة ويعقد السوق كل يوم جمعة خارج المدينة قرب الأسوار، ويستمر إلى المساء...

يوجد غير بعيد عن عنابة شاطئ يكثر فيه المرجان، إلا أنه ليس لأحد الحق في صيده من البحر أو التقاطه من الشاطئ، لأن الملك أكرى هذا الشاطئ للجنوبيين الذين استأنوه في بناء قلعة هناك بعد أن ألقاهم القراصنة، لكن السكان رفضوا ذلك بدعوى أن الجنوبيين استعملوا مرة هذه الحيلة واستولوا على المدينة ونهبوها ثم استرجعها منهم أحد ملوك تونس».

من كتاب: وصف افرقيا للحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الافريقي).

المدينة: مولد الكلمات:

الورود، المبانى، الأشجار، الجدران، الشوارع،

النساء، الأمواج، الأطفال، الأسواق،

ليون الافريقي يعالج المعالم الأثرية «لبونة» بالألوان والزهور والأضواء فتشع:

«بونة أو عنابة» مدينة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط على بعد نحو مائة وعشرين ميلا غربا، وكانت تسمى قديما أربونة، وفيها كان سان أوكيستان حين كانت خاضعة للقوط (الوندال)، ثم فتحها الخليفة الراشد عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم أجمعين -

قد بنيت بعدها مدينة أخرى تبعد عن الأولى بنحو ميلين، استعملت في بنائها أحجار المدينة القديمة، وهي مشهورة عند الكثير من الناس باسم بلد العناب لكثرة في ذلك المكان يجفف هذا العناب ويؤكل في فصل الشتاء، وتضم المدينة حوالي ثلاثمائة كانون، وهي كثيفة السكان لكن الدور الجميلة بها قليلة، وفيها جامع في غاية الحسن مشيد على شاطئ البحر.

والرجال فيها ظرفاء، بعضهم تجار وبعضهم صناع وحاككة يبيعون كمية وافرة من القماش الكتان في مدينة نوميديا، إلا أن أهل عنابة متكبرون شرسون إلى حد أنهم لا يرضون فحسب بقتل حكامهم بل يتجراؤن على التهديد بتسليم المدينة إلى النصارى إن لم يرسل إليهم الملك حكاما مستقيمين منصفين ويضيفون إلى هذه العجرفة سذاجة كبيرة، لأنهم يعظمون أقواما يسировن في المدينة كالمجانين، ويعتقد أنهم من الأولياء الصالحين، ويحيطنونهم بكل اعتبار وتقدير.

ليس في عنابة عيون إنما فيها صهاريج لخزن ماء



بونه ليلاً

المجانين، السكارى، اللصوص،
العشاق، الحجارة،
الانسان.

كلها سرٌّ من أسرار المكان،
وأسرار حياته تبدأ من هنا ..

هنا اللعنة الأبدية، السلوى،
الخطيئة، البكاء المرّ، أول حب، الذكرى،
حدود الفهم،

حدود النسيان.

أحبها !!

لم يختلف رواة الملاحم والسير الذاتية في هذا
الحب.

شرب من مائها،

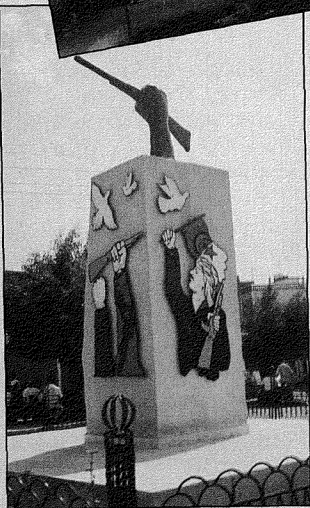
ثمل، لكنه لم يرتو ..

منح للبحر حياته

لم يكن غائباً

كانت أرواح الأسبياد حاضرة معه في تحولاته

الأرضية.



مجسم تاريخي للفنان ناجم شراد

هل ينسى اللغاة،
الأحداث؟

هل ينسى سقوطه وزوايا
انكساراته؟

هل ينسى مجده هنا؟
بالتأكيد لن ينسى «الهنا»
«الهنا» شيء مختلف

لذا سيبقي ..
إذا رآه أحدكم يوماً
ماراً ..

فالعلامة: خطى ثابتة
نظارات شمسية
وردة في اليد اليمنى
ربطة عنق في اليد



بونه منظر عام

اليسرى

وجه مشع، لا تعكس ملامحه مرايا وأجهات ساحة
الثورة.

(ديانا) المنجوعة:

كانت عائدة.

من رحلة صيد طويلة جداً وشاقة
أُتعبتها الغابات، الوحوش، السهول
الوديان، الصحاري، البحار، الجبال
عذبتها شهوة الصيد
وحين مرت «ببونه» كانت جبال إيدوغ حاقلة

بالأسود والأزهار

أدهشها المكان،

عطشت،

شربت من ماء وادي «بقرات»

وقعت الكارثة،

أصابها لعنة المسخ

تحولت إلى تمثال برونزي ..

يا للأيدي الظلمة!! يا للأيدي الرشيق!!

حركت يدها ظلت على وشك الإمساك بهم، ربما

لتدافع به عن جسدها

تحرسه من العيون الحاسدة. العيون الحارقة.
العيون القاتلة.

بدءاً من «سيدي عمار» إلى «سيدي إبراهيم» إلى
«غربي عيسى» تحرسه ..

ومفتاح المدينة تيمية معلقة على صدره

هذا نشيد الإنشاد

والعاشق الكبير، عراب المحافل والولائم والأعراس

راع الجنائز.

صانع المسارات ..

صار مرشداً سياحياً للهاثمين والقادمين من

هناك ..

يشعل الشموع، الجامر، البخور.

يغسل الوجوه، الأشجار، الطرقات.

تضاء المدينة الجديدة، يوجه «ليون الأفريقي» دعوة

شرقية

لكل المعالم الأثرية والثقافية لبونة

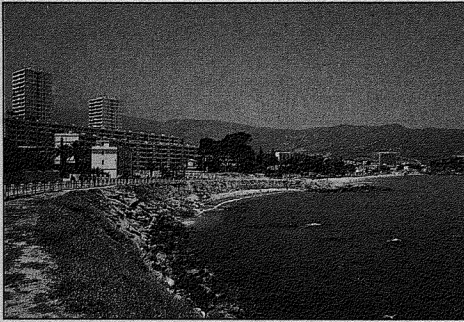
هل سيسافر أبعد من هذا المكان؟

مثلاً إلى مدينة أخرى، تخالف تلك التي تنام في

عينه وقلبه؟

تنام في عينه كائنات جميلة، جميلة وينسى لحظات

المرور



بونه شاطيء القطارة

المقدس في بلاد
السحرة.

أين القوس؟!
وغزاتها التي تستعطف
الجموع المارة، عذبا الثبات
إلى جانبها، عند
القاعدة الإسمنتية..

تحقق مفاجئة في تقاطع
شارع «لاكولن»

المليء بالحكايا والضجيج
في القلب اتسع جرحها
وعلى الصخرة الصماء

سال الدم والصيد حين امتدت
يد أئمة ونزعت قرننها ورجلها
اليسرى..

التفكير

يصمت ..

يا للمجنون!!

معرفته باليابسة جد سطحية، والمحيطات عميقة..
والعارفون به يقولون عنه دائما: مكانه ليس هنا،
مكانه فوق الصخرة السوداء، ما بين الماء

المالح والرمال الصفراء..

هنا وهنا جنون الأمكنة..

الغبار أمان الإسمنت، لوث دمة محتبسة في عين
مشاهد لا يستطيع أبدا أن يتحاشى

أشعة الشمس

هل يذهب «صائد المرجان» إلى شاطيء «القطارة»
ليحدث الأمواج بما رأى، فتحضن، شكواه النوارس
ويجالس الصيادين ليعرف منهم ما تحمله

السفن القادمة..

السفن الراحلة..

إن الضوء المنعكس منه إشارة قديمة جدا غير
قابلة للترجمة..

وحين تقرب منه نسمع نواحا قادما من بعيد، من
أعماق البحر.

«من يهلك غزالة» أخرى يا ديانا..؟
صدقيني أيتها المفجوعة غير إنسان..
أين الإنسان؟

حقيقة صائد المرجان:

يسكنه الطواف

يقسو عليه الموج ولا يقسو على أحد

تعذبه الأشياء، الأضواء، الدوائر، الفصول،

الفنادق، السيارات.

تعذبه المدن.

في البدء،

لم يكن بحاجة الى الواحد منا ليقول له: أنقذني من

العصرة!!

بل اثنتين - ثلاثة - أربعة - عشرة - مائة - مليون -

مليار.

وأحيانا لا أحد !! لا أحد!!

عندما يقف في الشارع المكتظ، منحني الظهر

ويود استعمال طريقة سهلة للصيد تهرب منه

الأسماك المرجانية

ينساب الماء، تضيقه الإشارات الضوئية، يغرق في



هذا مقامي ..
ولعنتي باطلة .. باطلة ..

المرساة :

البحر: هوة سحيقة،
مقبرة زرقاء
الموج: ارتباك
السفينة: وردة تأخذ شكل
السهم المسموم المتغرس في
قلب الطفل الضاحك
المرساة: شاهدة عدل على
الرحلة البحرية
الجرار: فارغة
والحكاية تبدأ هكذا:



بونه مهرجان اللباس والفنون التقليدية

كان يا مكان ..
من البر إلى البحر من البر إلى البحر من البر إلى
البحر .. الي «بونة»
في البداية كانت أسئلة المارة صعبة:
- أية سفينة تخر عباب البحر بدون مرساة؟
- ما الذي جاء بها الى هنا؟
- هل هي صالحة للملاحة؟
- هل يمكن استعمالها كديكور في إحدى
المسرحيات
- لماذا لونها أسود؟
؟؟.....؟؟

سوداء، نعم سوداء: إنها حزينة يا سادة.
والآن في مواجهة الجرار الفارغة مجرد لعبة
أطفال،

وكرسي فلاذلي للعشاق
من ينقذها من وحش الخيبة يا ترى؟

هرمونيا :

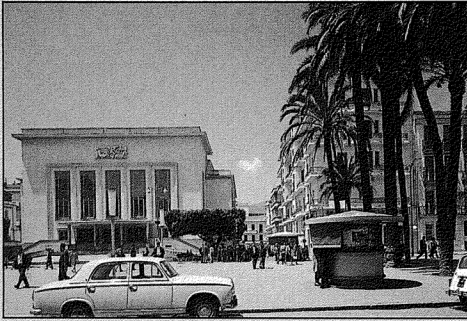
المرساة حديقة الطيور، الورود المضيئة
النخلة الشامخة، الساعة القديمة، الجرار الفارغة
اللوحات الخالدة، المدينة القديمة، قصر الثقافة،

«من لم يصدقني فليجرب هذا بنفسه»
يقول السندباد،
ثم يختفي ..

سيدى ابراهيم يبيع بأسراره:

أنا : مندفع، متريث، خائف
مطمئن، سعيد، حزين
محب للخير
مغض للبصر
أتجاهل في صمتي البذاءة
أبتسم للأطفال وأباركهم
لعبتي المفضلة: تسجيل الحوادث والأنباء
لا تكفيني لمسة دافئة من يد مريد مجهول، يزين
مقامي بالصلوات،
الشموع، البخور، الدعاء
لا أستسلم أبدا للمرأة الموشحة بالسواد
سري لا يدركه المارة
الخاصة الخاصة أريهم جوهر الأشياء
في الزمن الصعب، في زمن الردة، في زمن الحرب
تتوجني «بونة» منقذا وفارسا

الفهل



بونه المسرح الجهوي

ومساحيق النساء
وانكسار...

ما تبقي :

ما الذي رسمه الرجل الأول لهذه الدار الكبيرة،
صاحب النظارات الشفافة من داخل موقعه؟
إنه يرسم تجارب المرور، عبر الخطوط الدائرية
والمنحنية

تجربة واحدة لا تكفي
الإخلاص للمكان مستحيل
الخيانة أسوأ
الخيانة تجليات
الخيانة حضور المكان في قلب العاشق بصورة
مختلفة، قد تكون مشوهة
الخيانة قناع

وبالتأكيد «بونة» لن تخونك يا محمد الوازن
الفاسي حتى وإن انتحلت اسم: «ليون الإفريقي»
إخلص لها فقط
أما أنا لو تدرى لقد خانتني كثيرا، كثيرا...
هل تعرف هذا؟

المسرح الجهوي، عبد الله
شاكري، سيدي سالم، عين
أعشير، مقبرة زغوان، فن
المالوف، العيساوة إبراهيم
مراد، غلال بوشامي...
من يرى كل هذا لن
ينسى، بالتأكيد لن ينسى
من يرى يقول، وأحيانا
يعجز على البوح، ويكتب على
كل رصيف يصادفه:
كل من خائنه قدماه في
سباق العمر، عليه أن يمتطي
صهوة الحلم
وبونة هي الحلم...

سيبحث عن امرأة في هذه المدينة يمنحها عشقه
ويتوجه سيدة المكان الأولى، بطقوس بدائية، ويحتفظ
بذكرى عزيزة يختصرها أحيانا ببطاقة بريدية كتب
عليها بخط كوفي:

«من شوارع بونة الجميلة،
إلي الشمس الأخرى...
لن أنساك...
العاشق»

ما قاله ليون الإفريقي في مقام ناجم شراد:

قالوا: أتحبها؟
قال: مجنون من يعشق غيرها
هتفوا: سنعلق صورتك وصورتها في ساحة
الثورة!!

قال: مهلا...
عن أية عاشقة تتكلمون؟
قالوا: عن بونة...
وانصرفوا
قال: لبونة،
زيف الاسم



مدينة «الرقعة» السورية:

عاصمة هارون الرشيد وقلب الجزيرة الفراتية

ومواقعها الأثرية والسياحية والتمتع بشاطئها
الفراتي الجميل.

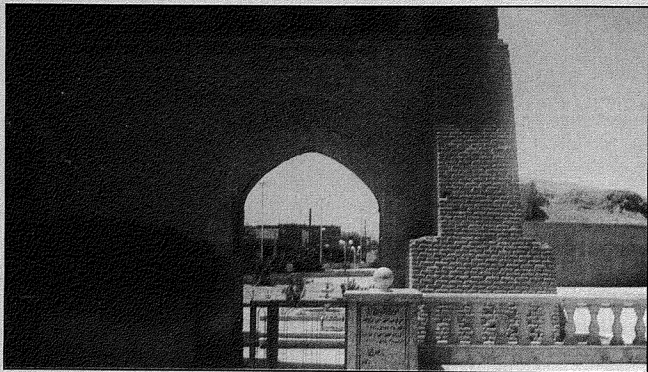
تاريخ الرقعة وتسمياتها:

عُرِفَت مدينة الرقعة باسم «الرشيد» كونها كانت تشكل العاصمة الثانية للدولة العباسية في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي جعلها مقراً لإقامته وعمله في كثير من الأحيان حيث أحبها حباً كبيراً وترك فيها أثراً هامة من قصور ومبان ومساجد، وعاشت المدينة في عهد هارون الرشيد فترة ازدهار ونشاط كبيرين في كافة المجالات.

ولموقع الرقعة الهام على ضفاف نهر الفرات ووجود السهول الزراعية الخصبة فيها، فقد كانت مركزاً لتجمع البشر منذ العصور الحجرية القديمة، وموطناً لتقدم الحضارة، ومركزاً لتبادل السلع وتجميع الحاصلات والمؤن وتصديرها إلى بلاد كثيرة عن الطريق المائي (الفرات) والذي كان صالحاً للملاحة حيث استخدمه الحثيون ونقلوا فيه سلعهم

على ضفة نهر الفرات الشرقية، وفي قلب الجزيرة الفراتية، وبادية الشام، تقع مدينة «الرقعة» السورية التي تتميز بأنها مدينة قديمة وهامة وذات موقع سياحي جذاب، حيث نهر الفرات وسدّه الكبير بجانبها وحيث بحيرته الضخمة وقلعة جعبر في وسطها تعطي جميعها منظراً بديعاً ولوحة أخذة لمدينة عريقة.

و«الرقعة» التي تقع شمال شرق مدينة دمشق العاصمة، وتبعد عنها مئات الكيلومترات، تمكنت الجهات المعنية في السنوات الثلاث الاخيرة من تقليص المسافة بين دمشق والرقعة، فبعد أن كان الزائر للرقعة يضطر لقطع مسافة تزيد عن ٥٥٠ كم ماراً بمدينة حلب، أصبح بإمكان الزائر حالياً قطع المسافة بوقت أقل حيث أقيم طريق مباشر يربط دمشق بالرقعة عبر مدينتي حمص والسلمية، ويبلغ طوله حوالي ٣٥٠ كيلومتر وبذلك تم اختصار المسافة حوالي ٢٠٠ كيلومتر مما شجع السياح والزوار على التوجه بشكل كبير الى الرقعة لمشاهدة أوابدها



جانب من سور الرقة

الفرات قبل اربيل. وسميت (قالينيقوس) باسم سلوقس الثاني قالينيقوس الذي أسس مدينة جديدة أو جدد المدينة القديمة في سنة ٢٤٤ - ٢٤٢ ق.م. وفي العهد الروماني سميت الرقة (كالينيكوم) نسبة الى الامبراطور غلينوس المتوفي سنة ٢٦٦ بعد الميلاد. وتقع المدينة الرومانية شرقي باب بغداد القائم حالياً في الرقة. ولم يبق لها أثر. وفي عهد الامبراطور جوليان كانت الرقة (قالينيقوس) حصناً منيعاً في وجه الفرس ومركزاً تجارياً هاماً.

خربتها هذه أرضية فجدها الامبراطور ليون الثاني الذي حكم الشرق في سنة ٤٧٤م وسماها باسمه (ليونتبوليس) وجعل منها مدينة متروبوليتية

الى بابل والخليج العربي والى الهند، واستخدمه من جاء بعدهم من الشعوب.

ويؤكد المؤرخون أن تاريخ الرقة في العصور القديمة مازال مجهولاً، وأهم ما يتميز به تاريخها أنها كانت مركزاً عسكرياً ممتازاً غنياً بخيراته، وبعدد سكانه ويطرقه البرية والمائية، وتوسطه من أصقاع عدة، وقربه من البحر الابيض المتوسط.

في العصر الآرامي كانت الرقة عبارة عن إمارة آرامية تدعى (بيت أدين) وكانت عاصمتها تل برسيب وذلك في القرن الحادي عشر والعاشر والتاسع قبل الميلاد.

أما في العهد الاغريقي فقد عرفت الرقة باسم (نيكفوريوم) حيث بناها الاسكندر الكبير حين اجتاز



ظهور الاسلام . وأخذت الرقة التي كان يغلب عليها الاسم القديم (قالينيقوس) دوراً هاماً في هذه الحروب .

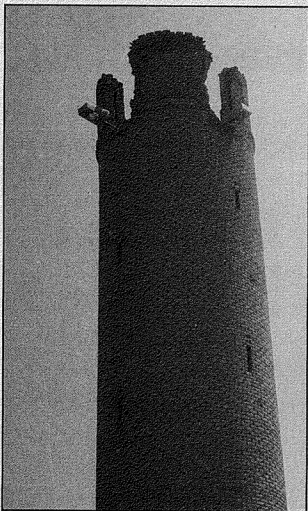
الفتح الاسلامي لمدينة الرقة:

يذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان أن الفتح الاسلامي للرقة تم سنة ١٧هـ . حيث قام القائد الاسلامي عياض بن غنم في جيش أبي عبيدة عامر بن الجراح - رضي الله عنه - وكذلك القائد سهيل بن عدي في فتح الرقة صلحاً . ولقد اتخذ عياض من الرقة قاعدة لفتوحاته في الجزيرة الفراتية حيث أتم عياض فتوحات الجزيرة سنة ١٩هـ ورجع الى الرقة ومنها سار الى حمص وكان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ولاه إياها فمات سنة ٢٠هـ .

كانت الرقة عند فتح العرب المسلمين لها ذات سور وأبواب وغلات متنوعة وسوق عامة . ولم يؤذيها العرب وأبقوا لها الحرية بالاعتقاد وأبقوا الاراضي بيد أهلها ورتبوا عليها تكاليف الامن فقط (الخراج والجزية) واستمرت الرقة في حياتها الاعتيادية تفيد من خصوبة أرضها ووفرة مياهها وموقعها الجغرافي بين الجزيرة والشام مما أعطاهَا أهميتها التجارية بعد وفاة عياض بن غنم فاتح الرقة وولي الجزيرة، ولى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سعيد بن عامر بن خديم سنة ٢٠هـ فبنى بها جامعاً من الآجر .

وقد سميت الرقة بعد الفتح الاسلامي لها بـ (الرقة البيضاء) كما جاء في أبيات سهيل بن عدي الذي سجل بها فتح الرقة ومزكروها . وسبب التسمية كما يذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان

ونصب فيها أسقافاً . وفي سنة ٥٢٩م منحها الامبراطور جوستنيان منحة تجارية تريح منها عندما قرر حصر التجارة في مدن الحدود مع الفرس بمدينة نصيبين وقالينيقوس (الرقة) وارثكساتا . وقد استولى كسرى الاول عاهل الفرس على المدينة بسهولة، لأن أسوارها كانت في حالة التصلب وخرب أسوارها ودمرها . ولكن جوستنيان أنهضها من خرابها بعد ذهاب الفرس وشيد فيها أسواراً منيعة قوية بسبب توالي الحروب بين الروم والفرس . وكانت تؤول تارة إلى هؤلاء وأخرى الى أولئك . واستقرت بيد الروم بعد انتصارهم الاخير على الفرس قبل



منذنة أثرية في الرقة



حديقة الرشيد في الرقة، وبها مجسم للخليفة هارون الرشيد .

في العهد العباسي، حصلت الرقة على اهتمام كبير، حيث كانت أهم مدينة عباسية في بلاد الشام. ويذكر المؤرخون أن المنصور هو الذي أمر ببناء الرقة العربية على طراز خطة بغداد، بعد أن ولي عليها لفترة حيث أعجبه موقعها وطيب هوائها وعذوبة مائها. وبعد استلامه الخلافة أرسل ابنه المهدي ولي عهده إلى الرقة سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م وأمره بأن يبني الرافقة على طراز بناء بغداد إلى جانب الرقة البيزنطية كما أضاف الخليفة هارون الرشيد الذي سكن الرقة طويلا، العديد من القصور والمواقع الهامة.

بناء الرقة وأسوارها وقصورها:

ما تبقى من أوابد الرقة والتي أصبحت علامات بارزة في حياة الرقة، ومحطات هامة في تاريخها العريق، هي تلك الأبنية الضخمة من أسوار وقصور

من أنها (كل أرض إلى جانب واد ينبسط عليها الماء وجمعها رقاق. وان الرقاق: الأرض اللينة) لذلك كان هناك عدة رقات متقاربة في منطقة الرقة ومنها الرقة البيضاء والسوداء ورقة واسط وغيرها .

في العهد الأموي، اهتم الأمويون بالرقة واتصل تاريخهم بها كل مدة عهدهم فقد كانت محطتهم إلى أرمينية، وكانت الرقة محطتهم إلى غزو حدود الروم فكانت الرقة تمون جيوش الأمويين إلى أرمينية وحدود الروم وكانت تشرف على القبائل العربية في الجزيرة الفراتية. واهتم الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بالرقة فوصلها بمجموعة من الحصون والقصور لتأمين الأمن ولتكون محطات لراحته وراحة حاشيته بين الشام والجزيرة والحدود البيزنطية التي كان يغزوها بنفسه، وعني بزراعة الرقة وبيري أراضيها، بما فجر من الترعرع من نهر الفرات لسقي الأراضي.



قصر البنات

في الجهة الشمالية يسمى باب أورفة.
في عهد الرشيد بنيت العديد من الابنية الضخمة، فقام هارون الرشيد ببناء قصر عظيم سماه (قصر السلام) وأسموه القصر الأبيض بناه خارج سور الرقة. وأوعز لبعض رجال دولته أن يبنوا قصورهم بجانب قصره فبنوا وأمر بإنشاء كل ما يلزم فيها من وسائل الراحة والترف: كميايين سباق الخيل وملاعب الصولجان وحقول الصيد ومواني السفن والحراقات، والحدائق المزدهرة على ضفتي الفرات، فاصبحت الرقة من المدن الجميلة.

الرقة مدينة الخزف :

لقد داعت شهرة مدينة الرقة بصناعة الخزف وكانت الرقة تقف بهذه الشهرة الى جانب شهرة مدينة الموصل التي كانت أعظم مركز لصناعة التحف المعدنية المزينة بالفضة والذهب في القرنين السادس

التي بنيت في العصر العباسي، حيث قام المنصور وابنه المهدي ببناء أسوار الرقة على هيئة أسوار بغداد، سور داخلي وسور خارجي بينهما فصيل، وحفر حول السور الخارجي خندقاً سمك السور الرئيسي ٥/٨م وعرض الفصيل ٢٠/٨٠م وسمك السور الخارجي ٤/٥٠م وعرض أعلى الخندق ١٥/٩٠م. وأساس السور من الحجر الكلسي. وشابهت بغداد في بيوتها وأبوابها وجعل للمدينة بابين الأول في الزاوية الجنوبية الشرقية، لا يزال قائماً ويسمى (باب بغداد)، فغطته مديرية الآثار بمساتيد حجرية. والثاني في الزاوية الجنوبية الغربية يسمى (باب الجنان). وكان البابان من الآجر وكان بجانب كل منهما برج مستدير نصف قطره (٧/٨٠م) لا يزال برج الباب الاول موجوداً، وقد زال برج الباب الثاني وكان قد رآه الرحالة الغربي هرزك فلد سنة ١٩٠٨م. وكان لها باب ثالث

والسابع الهجريين.

أوابد مدينة الرقة الاثرية، وخاصة في سورها الضخم حيث تم ترميم حوالي ٢٤٠ متراً منه بارتفاع ٢٠٥ مترأً على شكل جملون وبدأ الترميم والاصلاح من باب بغداد جنوباً وتتابع ورش الترميم في السور عملها حتى الآن.

كما تستعد مدينة الرقة لاحتضان متحف ضخم، سيكون - حسب مصادر مديرية الآثار العامة السورية - أكبر متحف في سورية، حيث سيضم الكثير من اللقى الاثرية في منطقة الجزيرة الفراتية. وتذكر هذه المصادر أن دراسة مخطط مبنى المتحف الجديد قد أصبحت جاهزة حيث نفذت الدراسة وحدة الدراسات الهندسية بجامعة حلب بالمشاركة مع مديرية الهندسة لدى المديرية العامة للآثار والمتاحف. كما شاركت عناصر وخبرات فنية فرنسية في وضع اللمسات الأخيرة لمخطط المتحف وتصميمه، وطريقة العرض فيه. وتؤكد هذه المصادر أن متحف الرقة سيكون المتحف الأكبر في سورية إذ تبلغ مساحة أرضه ١٣ ألف متر مربع، وهذا يتناسب مع أهمية الرقة التاريخية، ويلاحظ ضرورة إنشاء معهد للآثار فيه مستقبلاً، كذلك سيكون متحفاً للمنطقة الشرقية من سورية كلها.

مصدر ومراجع:

- (١) جولة قام بها كاتب الاستطلاع في مدينة الرقة.
- (٢) كتاب «حضارة وادي الفرات» عبد القادر عياشي - دار الاهالي ، دمشق، الطبعة الاولى ومن فرائط، ١٩٨٩م.
- (٣) كتاب «الفنون الاسلامية» تأليف م.س.ديماند ، ترجمة أحمد محمد عيسى - دار المعارف مصر ١٩٥٤م.

ويذكر المؤرخون أن من أنواع الخزف الاسلامي المعروف نوع ينسب الي مدينة الرقة على نهر الفرات وقد تداولت أيدي التجار السوريين كميات كبيرة منه امتلأت بها الاسواق. وكانت صناعة الخزف والزجاج منتشرة ورائجة مما جعل صناعتها في الرقة يتزاحمون باتقانها والتفنن برسومها وكتاباتاتها وألوانها وأشكالها.

وهناك أنواع عديدة مختلفة من خزف الرقة ذي البريق المعدني ونذي الزخارف وتشتمل الاواني ذات البريق المعدني على زهريات وأباريق وسلالين وكاسات مختلفة الاحجام. أما ألوان البريق المعدني السائدة فهي: البني الداكن وهو من الالوان النادر استعمالها في مراكز صناعة الخزف الاخرى. وتزين أواني الرقة زخارف نباتية وكتابات نسخية أو كوفية، ومن الانواع الاخرى المعروفة من خزف الرقة نوع رسمت زخارفه باللون الاسود تحت طلاء أزرق فيروزي.

ترميم ومتحف ضخم في الرقة:

تنتشر بعض آثار الرقة في كثير من متاحف العالم كمتحف المتروبوليتان في أمريكا وفيه جناح خاص عن زجاج الرقة وخزفها وكذلك في متحف فريغرغاليري بواشنطن كما تضم بعض أقسام متاحف باريس وألمانيا شواهد عديدة من آثار الرقة القديمة والاسلامية. وكانت مدينة الرقة قد حصلت منذ سنوات على جائزة منظمة المدن العربية التابعة لجامعة الدول العربية وذلك تقديراً لدور الرقة الكبير في الحضارة العربية والاسلامية، كما تقوم مديرية الآثار والمتاحف السورية بإجراء ترميمات واسعة في



الملك عبدالعزيز آل سعود



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد

العلاقة الدولية مع دول الجوار وأثرها على الأمن الوطني في المملكة العربية السعودية



الملك خالد



الملك فيصل



الملك سعود



بقلم : **د. أمين ساعتي** - السعودية

تعتبر قضية الأمن في المملكة العربية السعودية من القضايا الاستراتيجية التي تضعها الحكومة السعودية في مقدمة أولوياتها، وذلك انطلاقاً من أن الأمن يؤدي إلى الاستقرار، والاستقرار يوفر المناخ المناسب للتنمية الشاملة.
وبنتيجة لهذا الاهتمام الواسع بقضية الأمن، فلقد حققت حكومة المملكة العربية السعودية أعلى درجات الأمن والاستقرار بين كافة دول العالم، وإزاء ذلك تهتم مراكز البحوث والدراسات الاستراتيجية العالمية بدراسة ظاهرة الأمن السعودي كظاهرة فريدة يضرب بها المثل عند الحديث عن الأمن والاستقرار.

ويمكن تعريف الأمن في المملكة العربية السعودية بأنه قدرة الأمة شعبياً وحكومات على حماية وتنمية الموارد والإمكانات على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية من أجل تطويق نواحي الضعف وتطوير نواحي القوة التي تأخذ في اعتبارها المتغيرات الداخلية والإقليمية والدولية [٢].
وقبل أن نتحدث عن العلاقات الدولية مع دول الجوار وأثرها على الأمن الوطني، فإنه يجدر بنا أن نشير بإيجاز شديد إلى الأمن قبل وبعد عهد الملك عبد العزيز.

الأمن الداخلي قبل عهد الملك عبد العزيز:

لقد كانت طرق الحجيج قبل عهد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه في حالة انعدام الأمن، وقد جرت العادة على أن يسير حجاج كل بلد معاً في قافلة وأن يتجمعوا عند توقفها في محطة واحدة وذلك لانتظام سير القافلة من جهة، والمحافظة على الحجاج من الضياع أو إغارة قطاع الطرق عليهم من جهة أخرى، ومع ذلك كله لم تكن القوافل لتسلم من اعتداء السراق وقطاع الطرق والسلب [٣].

لقد كان الحاج فريسة للمطوفين وسماسرة

في عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م نشر المعهد العالمي للدراسات الاستراتيجية بلندن كتاباً عن الأمن في المملكة العربية السعودية Saudi Arabia, Search For Security.

ولقد أشارت الدراسة إلى أن مفهوم الأمن في السعودية يرتبط بمجموعة محددات تختلف نسبياً عن مفهوم الأمن في الدول الأخرى، فالأمن في المملكة العربية السعودية كل لا يتجزأ، بمعنى أن الأمن الداخلي يرتبط ارتباطاً عضوياً مع الأمن الجماعي.
ويمثل الدين الإسلامي الحنيف نقطة الارتكاز في بلورة مفهوم الأمن الداخلي أو الخارجي ونقطة الالتقاء بين الأمن المحلي والأمن الجماعي، وهدف الأمن بمجمله - كما أوضحنا - تحقيق الاستقرار السياسي والمضي قدماً في تصميم وتنفيذ برامج التنمية والتطوير في جميع المجالات.

وفي ضوء هذا المفهوم للأمن، فإن الأمن هو حماية المجتمع ومؤسسات الدولة من الانحرافات التي تهدد النظام العام وتؤثر على استقرار الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فيها [١].

أي أن الأمن الوطني هو أمن المؤسسات الدستورية في البلاد وأمن الحدود الجغرافية المعترف بها دولياً وأمن الشعوب علي عرضها وأملاكها وموروثاتها.

الأمن الداخلي .. في عهد الملك عبد العزيز :

قبل أن يدخل الملك عبد العزيز مكة المكرمة معتمراً في ٧ جمادى الأولى ١٢٤٣هـ / ١٩٢٤م قال قبل سفره: «إني مسافر الى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم والمغارم التي اهرقت كاهل عباد الله.. إني مسافر الى حرم الله ليسط احكام الشريعة وتأييدها فلن يكون هناك بعد اليوم سلطان الا للشرع» ثم استطرد قائلاً: «إن الذي ابغيه من هذه البلاد أن تعمل بما في كتاب الله وسنة نبيه في الأمور الأصلية أما في الأمور الفرعية فاختلاف الأئمة فيها رحمة»[٥].

وهكذا اتخذت المملكة العربية السعودية كتاب الله وسنة نبيه دستوراً تعمل بموجبه وتطبق احكام شريعته السمحاء في جميع انحاء المملكة، باعتبار ان الشريعة في جانبها الجنائي جزء من الدين، أي انها شريعة دينية أساسها الاسلام، وديننا الإسلامي الحنيف يامر بمكارم الأخلاق ويحث علي الفضائل ويهدف الى تكوين الجماعة الخيرة الصالحة ويدعو إلى التعايش الاجتماعي في أمن وسلام ويوجب على المسلمين أن يتعاونوا على البر والتقوى ويحرم عليهم الأثم والعُدوان ويوجب اليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٦].

ولقد أدرك الملك عبد العزيز طيب الله ثراه هذه المعاني بشاغب فكره وحرصه على تطبيق احكام الشريعة على كل الأشخاص، فلم يعف عن أي شخص ارتكب جرمًا، مهما كان مركزه أو ماله أو جاهه أو صفاته أو منزلته ولم يسمع بتميز شخص على شخص أمام حدود الله.

وإلى جانب اهتمام الملك عبد العزيز بتطبيق الشريعة الإسلامية الغراء في جميع ربوع المملكة، فلقد عمل الملك عبد العزيز على تكريس الاستقرار السياسي ووضع أسس ثابتة لبناء العلاقات الخارجية على أساس مباديء حسن الجوار والتعاون والتنسيق الثنائي وتحقيق السلم والأمن الدوليين[٧].

والمتابع لتاريخ المملكة العربية السعودية المعاصر يجد أن مفهوم الأمن بهذه الأبعاد ظل مفهوماً ثابتاً في

الجمال «الشقاق» وكان عرضة لكل الوان التعدي والنهب، أما في غير مواسم الحج فقد كانت جرائم القتل بصفة خاصة منتشرة في الحجاز بسبب عادة الأخذ بالثأر، ولم يتورع الإنسان عن الأخذ بثأره والانتقام من غريمه في وضح النهار وعلى مسمع ومشهد من الناس، وهو لا يكتفي بذلك بل يتفاخر ويتباهى بالانتقام من خصمه، ومن الملح التي يذكرها الناس عن حالة تردي الأمن أن شخصاً كان يتناول الشاي في أحد المقاهي في وسط المدينة وإذا بشخص آخر يطلق عياراً نارياً من بندقيته ففضى عليه، وعندما حاول الناس القبض عليه صاح فيهم قائلاً «سداد .. سداد» يعني أخذ بثأره فتركوه مراعاة للعرف والتقاليد السائدة، ولم تمض سوى أيام قلائل حتى أخذ بثأر المجني عليه من القاتل نفسه[٤].

هذا عن الحالة الأمنية في الحجاز، أما عن حالة الأمن في نجد والمنطقة الشرقية قبل الملك عبد العزيز آل سعود، فلم تكن لتقل سوءاً عن الحالة في الحجاز، فالقبائل في غارات مستمرة يقاتل بعضها بعضاً لا يستقر لها حال ولا يهدأ لها بال والدماء تسفك وتراق لثقت الأسباب والانتقام والأخذ بالثأر هو شغلها الشاغل.

وإذا بحثنا عن أسباب تردي الأمن في الحجاز ومنطقة نجد قبل الملك عبد العزيز، فإنها كانت ترجع الى عدم توفير أسباب الطمأنينة للمواطنين والوافدين لأداء مناسك الحج والعمرة والزيارات الدينية، فضلاً عن عدم اقامة وتنفيذ الحدود الشرعية في قطاع الطرق والسراق والسيلاب، كما أن السلطة لم يكن لديها وسائل حفظ الأمن، في الوقت الذي كانت فيه أغلب افراد القبائل والعشائر في البادية تمتلك السلاح.

يضاف الى ذلك أن الحالة الاجتماعية والاقتصادية لم تكن مستقرة فكان الجهل المطبق مخيماً على الناس والفقر المدقع يضرب الأغلبية الساحقة وكانت الحالة الاقتصادية من السوء بحيث دفعت الكثير إلى امتحان النصب والسرقة والسلب.

٩ - جعل القبيلة كلها مسؤولة بالتضامن عن أي جريمة تقع فيها أو في المنطقة المجاورة لها، فإما اظهر المجرم أو معاينة القبيلة كلها[٨].

ويقول ابن بليهد: جاء ذات يوم الى القصر في الرياض بضعة رجال من بني مرة أشد القبائل بداوة يطلبون عيشاً وكسوة، فكان لهم ما ابتغوه ثم ارتحلوا فمروا في طريقهم ببعض الأباغر ترعى فساقوها أمامهم فشكاهم أصحابها الى الأمير السلطان عبد العزيز بن سعود فبعث السلطان بتجانب يحمل الخبر الى أمير الأسماء فما وصل اليه الخبر حتى تحركت أسباب العدل تبحث عن اللصوص. وما هي إلا أربع وعشرون ساعة حتى جيء بهم وبالأباغر المسروقة ومثلوا أمام عبد الله بن جلوي

وكان السؤال وكان الجواب، ثم أمر بهم الى الساحة وساحة الاعدام شيء هائل فظيع، يركعون فيه المذنب على ركبتيه، ويكزه السيف وكزة سريعة يتحرك معها رأسه الى الامام فيقتلص عصب الرقبة فيضربها بالسيف إذ ذاك ضربة واحدة يطيح معها الرأس على الأرض. ثم قال:

وفي ذلك اليوم لمع سيف السيف ثمانى لمعات في ساحة «الهفوف» فوقعت على الأرض ثمانية رؤوس من بني مرة. وانتشر الحديث عن هذا العدل السريع، فأصبحت القوافل تسير ثمانمائة ميل شرقاً وثمانمائة ميل جنوباً وشمالاً في ملك عبد العزيز ولا يتعرض لها أحد بشر»[٩].

ولقد كان الملك عبد العزيز يفهم نفسية البدوي فهما عميقا وكان يهدف إلى صرف العرب الرحل عن حياة التنقل وبدفعهم الى حياة الاستقرار، فقد اخترقت نظرتة الحادة البذرة التي كونتها العصور في داخل النفس البدوية، ونفذت منها إلى ما هو أعمق أي الى غرائزها البشرية فخرج من ذلك وهو قانع بأن

نظام الحكم الذي أسسه جلالة المغفور له بإذن الله الملك عبد العزيز، وظل ركناً من أركان السياسة السعودية في عهود أبناء الملك عبد العزيز الذين ورثوا عن والدهم حتمية المحافظة على استتباب الأمن، لأن استتباب الأمن استتباب للنظام السياسي بكامله.

استراتيجية الملك عبد العزيز في ترسيخ الأمن الداخلي:

اتبع الملك عبد العزيز في توطين الأمن الداخلي مجموعة قواعد أمنية منها:

١ - «تخصير» أكبر عدد ممكن من البدو عن طريق الهجرة الى المدن المتحضرة.

٢ - توفير آلات الفلاحة والزراعة لسكان الهجر وتسهيل اقتنائهم لها.

٣ - أمر بحفر الآبار الارتوازية في الهجر لاستيعاب البدو المجاورين وإغرائهم بالعمل في الزراعة.

٤ - أمر بإسعافهم بالقوت عند إصابة الغلة في أراضيهم ببعض الآفات.

٥ - جعل لقبائل البادية «سجلا» في ديوانه وسهل لكل

منها سبل الاتصال به وبأمراء المقاطعات.

٦ - بث المرشدين والوعاظ في أفراد القبائل يعلمونهم «الطاعة» لله في اتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

٧ - احكم رابطة القبيلة بشيوخها واعتبر أفرادها جميعاً جندا له وزعماءها مسئولين عن رعاية الأفراد. وخص الشيوخ بمنح موسمية أو شهرية ثابتة من نقود وأرز أو دقيق، وسكر وبن وغير ذلك مما يكفي لسد حاجة القبيلة وزعيمها في حال القحط والجذب.

٨ - علمهم بأن الإسلام يحرم ما كانوا يسمونه «الغزو» فلا غزو ضد الأمنين.

**** الأمن حماية للمجتمع ومؤسساته.**
**** الثار والغارات من معالم الحياة اليومية قبل تأسيس المملكة.**

العربية، وتحليل سليم للقوى الوطنية والاقليمية والدولية وإدراك لطبيعة الصراعات المحلية والدولية. فالمملكة العربية السعودية قبله العالم الإسلامي تطل بسواحلها على ثلاثة من البحار الخمسة في منطقة الشرق الأوسط، ولها دورها الهام في أمن حوض البحر الأحمر والخليج العربي، وقد فهمت المملكة جيداً أن الجغرافيا هي أحد أهم مصادر القوة في العلاقات الدولية، وهي في الوقت نفسه جزء من وحدة متكاملة هي القوة الوطنية التي تشمل خمس قوى أساسية هي القوة الجغرافية والقوة الاقتصادية والقوة السياسية والقوة العسكرية ويمكننا أن نستخلص من هذه القوى أن للقوى الجغرافية عنصرين أساسيين هما الكتلة الحيوية (أرض الدولة) والسكان وتتصف أراضي المملكة بالتماسك والتناسق الجغرافي والامتداد المساحي في منطقة تعتبر بحق قلب العالم في كل نظريات الجيوبوليتيكا المعاصرة مما يعطي المملكة تلك العبقرية المميزة لمكانها في العالم، ذلك المكان الذي يهيمن على أهم خطوط التجارة الخارجية

الدولية، وعلى خطوط نقل النفط إلى آسيا وأوروبا والغرب الأمريكي[١١]. ويرتكز الأمن الخارجي في المملكة العربية السعودية على المحاور التالية:

- ١ - تحديد الحدود الدولية وترسيمها وبناء علاقات حسن الجوار مع الدول الشقيقة والصديقة.
- ٢ - عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول.
- ٣ - اتفاقيات التعاون والتنسيق المشترك مع الدول الشقيقة والصديقة.

الإعرابي إذا ما أصبح صاحب مسكن مرتبط بالأرض نبت تلك البذرة المكتسبة وأطاع غريزته الدافعة إلى الاستقرار والتوطين.

وكان الملك عبد العزيز يستخدم مهارة قصاصي الأثر في القاء القبض على اللصوص وقطاع الطرق، ولا تكاد تظا أرض الجزيرة حتى تسمع الأحاديث والأعاجيب والمبالغات عن قدرة بدو بني مرة في اقتفاء آثار المجرمين بحيث لا يفلت منهم مجرم رآوا آثاره يوماً ما منقوشة على الرمال ولو صادفوه بعد عامين أو ثلاثة أمسكوا بتلابيبه وصاحوا قائلين:

هذا هو صاحب الأثر الذي ارتكب كذا وكذا من الحوادث في عام كذا وكذا . ولقد أصبح من الأقوال الدارجة بين الأعراب أن الإفلات من يد ابن سعود هو ضرب من ضروب المستحيلات بعد أن أصبح له:

«في السماء (برقية) وفي الأرض (مرية) إشارة إلى التلغراف اللاسلكي الذي ينقل الأخبار وإلى مرة الذين يتتبعون الآثار .

وواضح مما سبق أن الملك عبد العزيز طيب الله ثراه اعتمد اعتماداً كاملاً على الشريعة الإسلامية في بناء نموذج الأمن الداخلي وتمكن بفضل من الله وتوفيقه أن ييسبب سلطانه في كل أنحاء المملكة وأن ينشر العدل والأمن والأمان بنجاح غير مسبوق[١٠].

الأمن الخارجي (الأمن الجماعي)

انطلقت السياسة الخارجية للمملكة من فهم صحيح للقوة الجيوبوليتيكية للمملكة، وانبثقت كذلك عن الوعي بخبرات التاريخ الحديث والمعاصر لشبه الجزيرة

*** الشريعة الإسلامية
وتطبيقها الجاد
أمن البلاد وحقق
الدماء وأشاع
الاستقرار بين الناس .
* الملك عبد العزيز
أعلن ألا سلطان لأحد
على أحد إلا بالشرع .**

في شكلها الحديث، وارتباط مدلولها ارتباطاً حتمياً
بمعنصر الإقليم.

ولا شك أن الإحساس بفكرة الحدود مرتبط
ارتباطاً ضرورياً بفكرة «الملكية» ولذلك فإن الجماعات
الإنسانية التي تشكلت قديماً - كالأقبائل وما في حكمها -
كانت تشعر بأن حقوقها أو سلطانها له دائرة إقليمية
يجب ألا تتعدى نطاقها.

وقديماً كان الرعاة كما كان غيرهم يشعرون
بصورة أكيدة إن كانوا يمارسون أعمالهم في منطقة
لقبيلتهم أو لقممهم فيها حقوق. وكانت القبائل
المتجاورة تعرف حدوداً ثابتة للمناطق الخاصة بكل
منها، وذلك للمرعى والصيد والقتص، وكان التعدى من
إحداها على المنطقة الخاصة بالأخرى يثير الخصام
والقتال. وقد تبلورت فكرة الحدود الثابتة تبلوراً سريعاً
عند الجماعات الحضرية التي استقرت حياتها على
قطاع معين من الأرض، وأريد للحدود عندهم أن تكون
علامات ثابتة تقوم الطبيعة برسمها أو بتعيينها على
نحو لا يثير الشك في معناها أو القصور في مدلولها.
ولذلك وصفت الحدود عندهم بأوصاف الدوام والخلود
والأبدية. وكان القصد من تعيينها حماية الأملاك،
والوقاية من العدوان الخارجي. وكثيراً ما كانت تلجأ
الجماعات القديمة - تأكيداً لحقها في الملكية وتأميناً
لنفسها - إلى إقامة الأسوار وحفر الخنادق حول
إقليمها. ومن أمثلة ذلك سور الصين العظيم، والخنادق
التي كانت تحفر في عهود اليونان والرومان.

وقد تكونت الحدود الحالية للدول نتيجة عوامل
متداخلة أهمها الأسباب التاريخية والسياسية والحربية
والجغرافية. ولا شك أن تعيين الحدود في أرجاء
المعمورة تختلف طبائعها باختلاف القارات واختلاف
الدول. فتقسيم الدول وتعيين حدودها في أوروبا قام
على أساس الجغرافيا، ثم تداخلت فيها العوامل
التاريخية والعوامل السياسية^[١٢]، بينما ثابتت عمليات
تحديد الحدود في شبه الجزيرة العربية على عناصر
الجغرافيا والتاريخ والسياسة والتقاليد والأخلاق.

٤ - المساهمة في إنشاء المنظمات الدولية المعنية
بتحقيق الأمن والسلم الدوليين.

٥ - تقديم المعونات للدول المحتاجة ولا سيما في
الملمات والكوارث الطبيعية.

٦ - بناء جيش سعودي قوي.

تحدد وترسيم الحدود وبناء علاقات حسن الجوار:

الأمن الدولي هو مجموعة القواعد والإجراءات
التي تتخذها الدولة لتأمين أمن حدودها الدولية وقيام
علاقات طبيعية وتعاون مشترك مع دول الجوار والدول
الأخرى على أساس تحقيق المنافع والمصالح المشتركة
وتعزيز الأمن الداخلي وتحقيق الاستقرار السياسي
وحماية الأمن والسلم الدوليين.

وتلعب اتفاقيات الحدود دوراً كبيراً في تعزيز
الأمن الداخلي وتحقيق الأمن الدولي.

ولقد اهتم الملك عبد العزيز طيب الله ثراه اهتماماً
كبيراً بترسيم الحدود مع دول الجوار.

إن حدود الدولة هي ذلك الجزء من الكرة الأرضية
الذي تمارس الدولة عليه سيادتها ويسوده سلطانها،
وهو يتكون أصلاً من قطاع يابس فوق الأرض، وما
يلوه من الفضاء وما يحيط به من الماء. ولكن العنصر
الأصلي فيه هو القطاع اليابس، إذ لا يوجد، ولم يوجد
من قبل إقليم بالمعنى المفهوم في القانون الدولي -
يتكون من عنصر الفضاء وحده أو عنصر البحر وحده
ولا توجد دولة يتكون إقليمها من قطاع بحري أو من
قطاع هوائي أو منهما معا دون القطاع اليابس من
الأرض. وعنصر القطاع اليابس من الإقليم ليس
مرتبطاً ارتباطاً ضرورياً بعنصر القطاع البحري، إذ
أن إقليم الدولة قد لا يحيط به الماء، وعند ذاك يتكون
الإقليم من القطاع اليابس وما يعلوه من هواء
وفضاء^[١٣].

والواقع أن فكرة تعيين إقليم الدولة بوضع الحدود
عليه لم تتبلور في صورتها الحاضرة إلا في نهاية
العصور الوسطى وبداية ظهور الإدراك القانوني للدولة

وحسن الجوار يؤكد أن السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية كانت وما زالت تركز على أهمية بناء العلاقات الطيبة مع دول الجوار، والتي كانت تنطلق من تثبيت حدود المملكة، ثم تضع أسس بناء علاقات تعاون وتنسيق.

ومن خلال هذه الثوابت تمكنت المملكة منذ فجر تأسيسها من تثبيت الاستقرار ونشر الأمن والسلام على حدودها [١٤].

ويتشكل الأساس القانوني لحدود المملكة العربية السعودية منذ أن استكمل الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله تأسيس المملكة في عام ١٢٤٣هـ / ١٩٢٤م وقام بتثبيت سلطته على جميع أراضيها، ثم استكمل شرعية حكمته في ٢٥ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ / ٨ يناير ١٩٢٦م حيث قام ممثلو الأمة في بطاح مكة المكرمة بمبايعته ملكاً شرعياً على كتاب الله وسنة رسوله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) [١٥]. وبعد المبايعات الشرعية للملك عبد العزيز من قبل ممثلي الأمة، فإن اعترافات الدول الكبرى والدول الصغرى بحكومة الملك عبد العزيز على حدودها السياسية والدولية أخذت تتوالى وتعتبر هذه الاعترافات أساساً قانونياً لحدود المملكة الدولية.

ولقد وفرت المبايعات الشرعية للملك عبد العزيز مبدأ «حق الشعوب في تقرير المصير»، كما عززت الاعترافات الدولية بالمملكة مبدأ «الشرعية الدولية». ثم أمنت الاتفاقات الحدودية الثنائية الموقعة بين الملك عبد العزيز ودول الجوار مبدأ الجغرافيا والتاريخ والسياسة والدين والأعراف والتقاليد.

كانت كل هذه العناصر .. هي الأساس القانوني الذي قامت عليه عمليات تحديد حدود المملكة العربية السعودية مع كافة دول الجوار.

ولا شك أن هذه الأسس القانونية .. هي الأسس التي تقوم عليها قواعد القانون الدولي في اعتماد تحديد حدود أي بلد في العالم.

ولقد أصدر الملك عبد العزيز يرحمه الله مرسوماً

وعموماً حينما نبحث في مشاكل الحدود، فإننا نجد أنها تمثل اختلافاً في «التاريخ» هذا الاختلاف يفضي بالضرورة إلى الرغبة في توسيع «الجغرافيا» لأنها هي عمق المكان وإن «التاريخ» هو عمق الزمان، فبينما نستطيع تحديد عمق المكان، فإن عمق الزمان يأخذنا إلى آماذ وآماذ لا نهائية.

وأمام هذه الخلافات اللانهائية قامت المنظمات الدولية المسئولة عن حماية وتثبيت السلم ووضعت قواعد وأسس حل نزاعات الحدود بين الدول عبر مجموعة من قواعد القانون الدولي التي نصت عليها اتفاقات جنيف ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م والتي طالبت جميع الدول بتسجيل الاتفاقيات الثنائية وإيداعها لدى المنظمات الدولية سواء كانت هيئة الأمم المتحدة أو جامعة الدول العربية أو مجلس التعاون الخليجي.

بمعنى أن الاتفاقيات الثنائية على الحدود بين دولتين أو أكثر مستقلتين وذات سيادة .. تعد المصدر المباشر الأول لإنشاء قواعد قانونية دولية، ذلك لأن الاتفاق هو أساس الإلزام في القانون الدولي وفقاً للمادة (٢) من اتفاقية فينا لقانون المعاهدات الصادر في ٢٣ مايو ١٩٦٩م.

وتعتبر هذه القواعد دليلاً قانونياً للفصل في كثير من مشاكل الحدود الدولية.

والمملكة العربية السعودية إحدى الدول الموقعة على اتفاقات جنيف الخاصة بترسيم الحدود، بل تعتبر المملكة العربية السعودية إحدى الدول الحريصة على تطبيق هذه الاتفاقيات الدولية.

إن المملكة العربية السعودية تقع في جنوب غربي آسيا، ويحدها من الشمال الأردن والعراق والكويت، ومن الشرق الخليج العربي وإيران، وقطر والإمارات العربية المتحدة وعمان، ومن الجنوب سلطنة عُمان وجمهورية اليمن ومن الغرب البحر الأحمر وخليج العقبة. ولقد وقعت المملكة العربية السعودية أكثر من خمسين اتفاقاً للحدود وعلاقات حسن الجوار مع هذه الدول وغيرها.

ولا شك أن هذا الحشد الهائل من اتفاقيات الحدود

٢ - مبدأ خط الوسط وقد طبقته جميع دول الخليج، وسبقت بذلك اتفاقيات جنيف ١٩٥٨م.

٣ - مبدأ توزيع الجزر الواقعة بين الدول المتنازعة حسب قربها أو بعدها عن هذه الدولة أو تلك، بالتساوي في معظم الأحوال، وتقادي تقسيم الجزيرة الواحدة، وقد طبق هذا المبدأ بشكل واضح بين أبو ظبي وقطر وبين المملكة العربية السعودية وإيران.

٤ - المحافظة على وحدة البئر وعدم تقسيمه، مع تطبيق مبدأ الاستغلال المشترك والتفاوضي عن مبدأ السيادة أو تبعية البئر، مقابل جزء من عائده المادي، وقد طبق ذلك بين المملكة العربية السعودية والبحرين في عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م أما بين السعودية وإيران فقد تم في ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م توحيد البئرين على الجانبين الإيراني والسعودي وإنشاء منطقة حاذجة بمسافة كيلو متر، وتعهده الطرفان بعدم إجراء الحفر في منطقة تبلغ ٥٠٠ متر [١٧].

كما تتضمن الاتفاقات الحدودية التي وقعتها المملكة العديد من المسائل الأخرى المشتركة بين الأطراف الموقعة على الاتفاقات، ومن ذلك مثلاً نوع وحجم المنشآت المستخدمة لكل طرف من الأطراف، الأشخاص المرخص لهم بالدخول أو الخروج في حدود الدولة الأخرى، نقاط الإشراف والتفتيش من قبل كل طرف من الأطراف، أجهزة الجمارك والجوازات والشرطة، تسليم المجرمين... وحتى تشكيل هيئة مشتركة للإشراف على تنفيذ الاتفاقات الحدودية وحسم الخلافات العارضة.

مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية:

واضح مما سبق أن السياسة الخارجية التي صممها الملك عبد العزيز يرحمه الله كانت تركز على

ملكياً برقم ٦-٤-٥ - ٣٧١١ في ٢٨ مايو ١٩٤٩م باعتماد امتداد المياه الإقليمية للمملكة العربية السعودية بأثني عشر ميلاً بحرياً وامتداد المنطقة الملاصقة أو المتاخمة بستة أميال بحرية. ولكن في ٢٧ رجب ١٣٧٧هـ/ ١٦ فبراير ١٩٥٨م صدر مرسوم ملكي آخر يلغي المرسوم السابق ويحدد بشكل كامل ومفصل المياه الإقليمية للمملكة العربية السعودية من كافة الاتجاهات والمواقع بأثني عشر ميلاً بحرياً [١٦]. ورغم أن الأسلوب المألوف في حل مشاكل الحدود بين الدول، يمر في العادة عبر ثلاث قنوات هي: القضاء أو المحاكم أو الوساطة... إلا أن المنازعات بين المملكة العربية السعودية ودول الجوار لم تحسمها الوسائل القانونية الثلاث المذكورة، وإنما

العلاقات المملكة مع جيرانها تقوم على حسن الجوار والتعاون والتنسيق.

حسمتها المفاوضات الثنائية التي قامت على وشائج الدين والقربى والعروبة والتفاهم والإحساس المشترك بأهمية التوصل إلى حل ودي وسلمي من أجل تعزيز الأمن الداخلي وأمن المنطقة وأمن العالم. ونظراً لأهمية المبادئ القانونية التي قامت عليها

اتفاقيات الحدود بين المملكة ودول الخليج العربية، فإنه يجدر بنا أن نستعرض أهم هذه المبادئ التي استعيرت فيما بعد لتكون أسلوباً متبعاً لفض منازعات الحدود في مناطق أخرى من العالم ومن هذه المبادئ ما يلي:

١ - نظام المناطق المحايدة الذي طبق لأول مرة بين المملكة العربية السعودية والكويت، وبين السعودية والعراق بموجب اتفاقية العقي في ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٢م. ولقى قبولا حسناً بعد ذلك لدى إبرام التسوية في حدود دبي وأبو ظبي. وهذا النظام تبلور بدقة في التعديل الذي أدخل عليه عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م والذي تقادي مشاكل التطبيق التي صادفت أطرافه منذ عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

على كلمة سواء في كتلة تحفظ التوازن تحت شعار الدعوة إلى التضامن الاسلامي، ودعت إلى عقد مؤتمرات للقيمة الإسلامية واجتماعات للدول الإسلامية على كل الأصعدة من أجل تكريس الأمن والتعاون.

٤ - انتهجت سياسة الحياد وعدم الانحياز وأسهمت في تأسيس مجموعة عدم الانحياز وشاركت مشاركة فعالة في مؤتمرات عدم الانحياز والتي عقد أولها في باندونج عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م إيماناً منها بمبادئ السياسة الإسلامية في حق كل دولة في اختيار نظمها السياسية والاجتماعية الداخلية، وفي التعاون مع المجتمع الدولي لحل المشاكل العالمية بالطرق السلمية وفق مبادئ السلم والأمن الدوليين.

٥ - تبنت منهاجاً معتدلاً في الاقتصاد العالمي باعتبارها من الدول الكبرى المصدرة للنفط، ولم تتورط في مجابهة ساخنة بين الدول المنتجة والمستهلكة، وتعاملت بمهارة مع هذه الدول بما يحقق المصلحة العليا للقضايا العربية والإسلامية.

٦ - اعتبرت الأمن الخارجي امتداداً للأمن الداخلي فاقترت تنفيذ خطط تنمية خمسية وبدأت الخطة الأولى في عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م وحقق نهضة كبيرة في التعليم، والصحة، والمواصلات، والصناعة، والتجارة، والخدمات العامة، وسائر ما يتصل بتحقيق الرفاهية للمواطن السعودي [١٨].

٧ - التزمت الدبلوماسية السعودية الحديثة بالاخلاق الإسلامية الرصينة إزاء ما يحدث من خصومات وزعاعات عربية، وترفعت عن المهادنة الاعلامية، والاسفاف في الاتهامات.

٨ - دعت الى تأسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربية للتعاون في جميع المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية والرياضية من أجل بناء منظومة قوية للأمن الخليجي [١٩].

المساهمة في إنشاء

المنظمات الإقليمية والدولية:

انطلاقاً من هذه الإمكانات الهائلة التي تتمتع بها

أهمية تكريس الاستقرار على الحدود وصولاً إلى تثبيت الأمن والأمان في كافة أرجاء المملكة.

واستطاع الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله - قبل صدور ميثاق عصبة الأمم وميثاق هيئة الأمم المتحدة وميثاق جامعة الدول العربية - أن يصمم سياسته الخارجية على مبدأ الحياد الإيجابي وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى والتأكيد على بناء علاقات حسن الجوار مع الدول المتاخمة لحدوده.

إن المملكة العربية السعودية تطبق سياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية - في علاقتها المتبادلة مع الدول الأخرى، فهي لا تسمح لكائن من كان أن يتدخل في شئونها، كما لا تسمح لنفسها بالتدخل في شئون الدول الأخرى.

ولهذا فإن مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية وفر للمملكة غطاءً جيداً للأمن الخارجي.

اتفاقيات التعاون والتنسيق:

هناك سمات بارزة للدبلوماسية السعودية الحديثة - كما بينا - ترتكز على الثوابت الإسلامية التي قامت عليها المملكة، ومن أهمها ما يلي:

١ - اعتمدت الدبلوماسية السعودية على القيم الأخلاقية المستمدة من التشريع الاسلامي في ارتباطها بالأنظمة والقوانين الدولية، فهي تقيسها بمقياس الاسلام، وتحدد موقفها منها وفق هذا الأساس.

٢ - أسهمت في تأسيس العديد من المنظمات الإقليمية والدولية بهدف توطيد علاقتها مع الدول، وكانت إحدى الدول المؤسسة لهيئة الأمم المتحدة، كما كانت إحدى الدول السبع المؤسسة لجامعة الدول العربية في عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م، ثم دعت إلى تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي ومجلس التعاون الخليجي.

٣ - اتخذت من العقيدة الإسلامية منطلقاً لبناء كيان اسلامي مستقل يجمع شتات العالم الاسلامي

الأشقاء من الدول العربية والإسلامية فقط بل امتدت لتشمل العشرات من الدول الفقيرة في العالم لتصل إلى أكثر من ١٠٠ دولة على امتداد العالم.

ولقد صنفت هيئة الأمم المتحدة المملكة العربية السعودية على أنها الدولة الأولى التي قدمت المساعدات الإنسانية كما وكيفا لشعوب العالم الثالث ووضعت حكومة المملكة العربية السعودية مظلة من الخير تسعى إلى مساعدة المحتاجين في أي مكان من العالم. وهي استراتيجية لم تنتظر وصول النداءات من أجل المساعدة بل تهرع في حس إسلامي عظيم للوصول إلى المحتاجين وتغدق عليهم في طوعية ورضا كاملين ويدون أي توجه عقائدي أو سياسي أو مطامع دنيوية مكرسة بذلك المعنى الأرقى للتكافل والتضامن ووحدة المجتمع البشري. وأصبحت الإغاثة السعودية رمزا إنسانياً نبيلاً يتردد في أنحاء العالم وتشيد به كافة الدوائر الرسمية من منظمات وهيئات دولية وحكومات. وعودة إلى تقارير الأمم المتحدة نجدها تشير إلى

أنه في حين تبلغ النسبة التي حددتها الدول المانحة للمساعدات بأن لا تقل عن سبعة من العشرة من المائة (٧٠٪) من إجمالي دخلها الوطني، فإن المساعدات التي تقدمها المملكة العربية السعودية للدول النامية من خلال القنوات الثنائية والإقليمية والدولية بلغت ٢٤٥ مليار ريال في الفترة من ١٩٧٣م إلى ١٩٩٣م، أي ما نسبته ٥٥٪ من المتوسط السنوي لإجمالي الناتج القومي في هذه الفترة. ولقد استفادت من مساعدات المملكة أكثر من ١٠٠ دولة من مختلف القارات منها ٣٨ دولة

المملكة العربية السعودية، وإحساساً منها بأهمية ترسيخ الأمن والسلم الدوليين، فإن المملكة العربية السعودية تعتبر من الدول المؤسسة لمنظمات هيئة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ومجلس التعاون الخليجي التي تعتبر مواثيقها بمثابة اتفاق عالمي على وجوب ترسيخ ودعم الأمن والسلم الدوليين.

المعونات الخارجية:

وضعت المملكة العربية السعودية برنامجاً للمعونات الخارجية بغية تعزيز المساعدات الإنسانية من أجل مجتمع عالمي مسالم، ويعتبر هذا البرنامج في صلب استراتيجية تحقيق الأمن والأمان التي تنتهجها حكومة المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها على يد المغفور له بإذن الله الملك عبد العزيز، وتدفع المملكة معونات خاصة أضعاف ما يعلن وما تحدث عنه الأنباء.

وفي إحدى جلسات مؤتمر القمة العربية الذي عقد في ١٣٩٧هـ / ١٩٦٧م وقف الملك فيصل بن عبد العزيز يقول: «ونحن نصر على أن تكون الكلمة المسجلة على جدول أعمال ومحاضر هذه الجلسة التاريخية (التزامات) لا (معونات)، لأننا لا ندفع هبة، بل نؤدي واجباً».

وكثيراً ما سارع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز إلى إغاثة المتكويين في العالم الإسلامي من جراء تعرض المسلمين للأعاصير أو السيول أو المجاعات أو الحرائق. ولم تقتصر المساعدات السعودية على

*** في ترسيم حدود المملكة مع جيرانها اتبعت المملكة أسلوباً فريداً متميزاً يستند على مبادئ التفاهم والتسامح.**

*** أسهمت المملكة في تأسيس العديد من المنظمات الإقليمية والدولية.**

التي تعاني من شح الموارد وقلتتها وتحسين وتنمية أمنها الغذائي.

وتقوم المملكة العربية السعودية بدعم ومساندة الأمم المتحدة وبرامجها وهيئاتها الدولية لحفظ الأمن والسلم الدوليين وتحقيق تقدم شعوب العالم في مختلف المجالات. كما تقوم المملكة العربية السعودية بدعم ومساندة الهيئات التابعة للمنظمة وتساعد في تمويل العديد من الصناديق المنبثقة عن الأمم المتحدة [٢١].

وواضح مما سبق أن حكومة المملكة العربية السعودية قد سعت إلى بناء علاقات وطيدة مع دول الجوار في مختلف مراحل تاريخها المعاصر، سواء كان ذلك من خلال توقيع اتفاقيات ترسيم الحدود أو عن طريق تنظيم اتفاقيات حسن الجوار أو اتفاقيات بناء علاقات ثنائية أو عن طريق المساهمة في قيام المنظمات الإقليمية والدينية والدولية الهادفة إلى دعم وتعزيز الأمن والسلم الدوليين.

ولقد أوضحنا بأن مفهوم الأمن في المملكة العربية السعودية يقترن بالأمان للأفراد

والمؤسسات والمجتمعات الأخرى، كما أن مفهوم الأمن الخارجي ليس منفصلاً عن الأمن الداخلي، بل هو امتداد للأمن الداخلي، إذ لا يمكن تحقيق الأمن الخارجي دون الانطلاق من ثوابت الأمن الداخلي، بمعنى أن الأمن - في المفهوم السعودي - كل لا يتجزأ. ولقد أوضحنا بأن حكومة المملكة العربية السعودية نجحت نجاحاً منقطع النظير في تعزيز ودعم منظومة الأمن الداخلي والخارجي لأنه قام على مبادئ الدين الإسلامي الأقوم الذي وفر الآليات المناسبة لتحقيق أعلى درجات الأمن والأمان حتى أصبح الأمن

افريقية و٢٢ دولة أسبوعية وعشر دول نامية. وقدم الصندوق السعودي للتنمية (الجهاز الرئيسي للمساعدات السعودية الإنمائية للدول النامية) قروضاً إنمائية منذ عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م وحتى عام ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م لتتوّل ٢٧٣ مشروعاً في ٦٠ دولة. وقد أدت المملكة دوراً رئيسياً في إنشاء عدد من المؤسسات الإنمائية التي تهدف إلى التعاون والتضامن بين الدول العربية والإسلامية فساهمت بما لا يقل عن ٢٠٪ من رؤوس أموال ١٢ مؤسسة إنمائية من أهمها البنك الإسلامي للتنمية وصندوق النقد العربي والصندوق العربي للإئتماء الإقتصادي والاجتماعي

والمصرف العربي للتنمية في أفريقيا وصندوق التنمية الافريقي والصندوق الدولي للتنمية الزراعية [٢٠].

وتعمل المملكة على تعزيز التبادل التجاري ومعالجة موازين المدفوعات وتساهم أيضاً في النواحي الاجتماعية في الدول العربية والإسلامية من تعليم وصحة ورعاية الطفولة والأمومة. وساهمت المملكة أيضاً في دعم

المؤسسات المالية التي تقدم المساعدات للدول النامية ومنها الدول العربية والإسلامية، كما ساهمت في دعم مؤسسات وبرامج الأمم المتحدة المتخصصة لتمكينها من تنفيذ برامجها الإنمائية والاجتماعية والانسانية إضافة إلى مساهمتها في برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائي بمبلغ ١٥٠ مليون ريال تمثل نسبة ٧٨٪ من موارد هذا البرنامج، وتبلغ مساهمة المملكة في الصندوق الدولي للتنمية الزراعية ٣٨٠ مليون دولار ولا زالت المملكة مستمرة في دعم هذا الصندوق من أجل تسهيل الدعم والإقراض للدول

**** تبنت المملكة
منهجاً مستديلاً في
الاقتصاد العالمي.
** الأمن الخارجي
امتداد للأمن
الداخلي.**

di Arabia, Iondon: Frank Cass,
1987.pp. 230-231

(١١) د. جمال حمدان، عبقرية العالم الاسلامي،
القاهرة: دار الهلال ١٩٩٣م، ص ١٠ - ١٥.

(١٢) د. صالح محمد محمود بدر الدين، التحكيم في
منازعات الحدود الدولية، القاهرة: دار الفكر الدولي
١٩٩١م، ص ٢٠ - ٢٥.

(١٣) د. حامد سلطان، المرجع السابق، ص ٤٥٤ -
٤٥٨.

(١٤) د. أمين ساعاتي، الحدود الدولية للمملكة العربية
السعودية (التسويات العادلة)، القاهرة: المركز
السعودي للدراسات ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ص ١٨.

(١٥) د. أمين ساعاتي، المرجع نفسه، ص ١٨.

(١٦) عبد الله الأشعل، المرجع السابق، ص ١٠٥.

(١٧) عبد الله الأهدل، المرجع السابق، ص ١٠٥.

(١٨) Rebert stookey, the arabian pe-
ninsula, zone of ferment, stanford,
california: Hoover institution 1988,
pp. 39-45.

K.S. Gwitchell, Saudi Arabia (١٩)
with an account of the development
of its natural resources, N.Y.:

Greenwood press, 1958, pp. 193-196

Peter Hobday, Saudi Arabia (٢٠)
today, an Introduction to the Richest
Oil Power, N.Y.:st. Martin's Press,
1978, PP.1-10.

(٢١) د. ممنوح محمد موصلي، العلاقات الخارجية
للمملكة العربية السعودية وتأثيرها على أمنها الداخلي
في الفترة من ١٩٨٠م حتى ١٩٩١م رسالة دكتوراه،
قناة السويس: جامعة قناة السويس، ١٩٩٦م، ص ٩١ -
١٠٠.

في المملكة العربية السعودية مضرب المثل على المستوى
الإقليمي والعالمي.

ونستطيع أن نقول بعد قراءة هذه الدراسة أن
المملكة العربية السعودية نجحت في توظيف كل
إمكاناتها من أجل بناء علاقات خارجية رفيعة المستوى
مع دول الجوار بهدف ترسيخ الأمن الوطني وتعزيز
دوره في التنمية والبناء.

الهوامش :

(١) أحمد عطية، القاموس السياسي، الطبعة الثالثة،
القاهرة: دار النهضة العربية ١٩٦٨، ص ١٢١.

(٢) د. أمين ساعاتي، الأمن القومي العربي، القاهرة:
المركز السعودي للدراسات، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص
٢٢.

(٣) العقيد جميل محمد الميمان، القصاص في الإسلام
دائرة في استتباب الأمن واستقراره في المملكة العربية
السعودية، القاهرة: معهد الدراسات العليا لضباط
الشرطة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ص ٢٦.

(٤) رابع لطفي جمعة، حالة الأمن في عهد الملك عبد
العزیز، الرياض: دار الملك عبد العزيز (٢٣)،
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٤٨ - ٤٩.

(٥) رابع لطفي جمعة، حالة الأمن في عهد الملك عبد
العزیز، مرجع سابق، ص ٨٣.

(٦) عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري، لسراة
الليل هتف الصباح، الملك عبد العزيز دراسة وثائقية،
بيروت: رياض الريس للكتب والنشر ١٤١٩هـ /
١٩٩٨م، ص ٦٣٠ - ٦٤١.

(٧) رابع لطفي جمعة، مرجع سابق، ص ١٨ - ٢٠.

(٨) عبد الرحمن سلطان، أضواء على الاستراتيجية
السعودية، القاهرة: المؤسسة العربية للشئون
الاستراتيجية، ١٩٨٧م، ص ٣٢ - ٣٣.

(٩) صحیح الأخبار ٥ : ٤٤.

(١٠) Gary Troeller, the birth of Sau-

في السنة السادسة والأربعين - ويقال في السنة التي قبلها - من مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، أسلم حمزة، وكان أعز فتى في قريش، وأشدّه شكيمة، فعزّ به الرسول، وكفّت عنه قريش من أذاها[١]، أما سبب إسلامه فيقال إن أبا جهل مر واعترض الرسول وهو جالس عند الصفا فآذاه وسبه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، فلم يكلمه الرسول - وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك - ثم انصرف حمزة، فعمد إلى نادى قريش عند الكعبة فجلس معهم، ولم يلبث حمزة أن أقبل متوشحاً قوسه، راجعاً من قنص له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، فلما مر بالمولاة قالت: يا أبا عمار، لو رأيت ما لقي ابن أخيك أنفأ من أبي الحكم بن هشام! وجده ها هنا جالساً فسبه وآذاه، وبلغ منه، فلم يكلمه محمد، فاحتمل حمزة الغضب، وخرج سريعاً ودخل المجلس، وحين رأى أبا جهل جالساً في القوم، أقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجه بها شجة منكّرة وقال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟، فردّ ذلك عليّ إن استطعت[٢]، وكان أن قام رجال من بنى مخزوم ينصرون أبا جهل، فقال حمزة: أنا أشهد أنه رسول الله، وأن الذي يقول حق، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين، وبات ليلة لم يبت بمتلها من وسوسة الشيطان، فلما كان الصباح أقبل على الرسول وقال: يا بن أخي: إنني قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه، فحدثني حديثاً فقد اشتبهت يابن أخى أن تحدثني، فأقبل عليه الرسول فذكره ووعظه، وخوفه وبيّره، وقال له: أشهد إنك لصديق شهادة الصدق، فقال حمزة: أظهر يا بن أخي دينك، فوالله ما أحب أن لى ما أظلت السماء وأنى على ديني الأول[٣]، وقال حمزة في ذلك شعراً، ومعنى هذا أنه أسلم قبل عمر بن الخطاب بثلاثة أيام، وكان أن خرج الرسول في صفين فى أحدهما حمزة وفي الثاني عمر وكان لنا «كديد ككديد الطحين»، حتى وصلنا إلى المسجد، فنظرت إلينا قريش، وأصابتهن كابة لم تصبهن مثلها[٤].

ثم كانت الهجرة، وكان الاستعداد لغزوة بدر، فخرج عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، ودعوا إلى المبارزة، فخرج إليهم من الشبان معاذ ومعوذ

من

شعراء

الذين

حمزة

به

عبد المطلب



بقلم: أ.د. عبده بدوي - مصر

«الله عليه وسلم»، بسبب مقتل حمزة، كما كان شديداً على أخته «صفية بنت عبد المطلب» فحين قتل وجدت عليه وجداً شديداً، وأقبلت لتراه بأحد، فقال الرسول [صلى الله عليه وسلم]، لابنها الزبير: ألقها فأرجعها لا ترى ما بأخيها، فلقبها الزبير وقال إن الرسول يأمر أن ترجعي، فقالت: ولم وقد بلغني أنه مُثِّلَ بأخي، وذاك في ذات الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأصبرن ولأحتسبن إن شاء الله [٧].

وأخيراً فقد كان حصانه يسمى «الورد»، وهو من بنات ذي العقال من ولد أعوج، وقال فيه شعرا:

ليس عندي إلا سلاح وورد
قارح من بنات ذي العُقَال
أُتقي بونه المنايا بنفسي
وهو دوني يغشني صدور العوالي [٨]

الهوامش:

- (١) إتحاف الوري بأخبار أم القرى، النجم عمر بن فهد، تحقيق فهد محمد شلتوت ٢٦٩/١.
- (٢) سيرة النبي لابن هشام ١٨٨، ١٨٩.
- (٣) إتحاف الوري ٢٧١/١.
- (٤) نفسه ٢٧٦/١.
- (٥) عن باب موازات من كتاب/ من بلاغة القرآن د. أحمد أحمد بدوي ٣٩٦، ٣٩٧.
- (٦) إتحاف الوري ٤٣٥/١.
- (٧) ديوان الحماسة لأبي تمام ٣٤٨/٢ ط ١.
- (٨) نسب الخيل في الجاهلية والإسلام لابن الكلبي، تحقيق د. نوري حمودي القيسي، د. حاتم صالح الضامن، ٣٠ ط المجمع العلمي العراقي.

وعوف، فتصايحوا: يا محمد أخرج لنا الأكفاء من قومنا، فقام حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان لهم النصر.

وقد انتشى حمزة بهذا النصر، وجرى لسانه بالشعر فقال في غزوة بدر:

أولئك قوم قُتِلوا في ضلالهم
وخلوا لواء غير محتضر النصر
لواء ضلال قاد إبليس أهله
فخاس بهم، إن الخبيث إلى غدر
فقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً
برئت إليكم ما بى اليوم من صبر
فإنى أرى ما لا ترون، وإننى
أخاف عقاب الله، والله ذو قُسر
فقدمهم للحين، حتى تورطوا
وكان بما لم يُخبر القوم ذا خبر [٥]

فلما كانت غزوة أحد، قتل «وحشي» حمزة، بتدبير من «هند» وكان أن سار أربعاً على راحلته، ووقف على الثنية التي تطلع على الحجون ونادى: يا معشر قريش، أيسروا، فقد قتلنا أصحاب محمد قتلة لم يقتل مثلهما في زحف قط، وجرحنا محمداً، وقتل حمزة، فسروا بذلك [٦]، ومع أن أبا سفيان لم يصل إلى بيته حتى أتى «هبل» وقال: قد أنعمت ونصرتنا، وشفيت نفسي من محمد وأصحابه، وحلق رأسه، ولكن كل هذا كان شديداً على الرسول [صلى

الفرق بين الإسقاط والإبراء والعفو والتملك

إبراء إسقاط: كما في التنازل عن الدين، وليس كل إسقاط إبراء، كما في التنازل عن الشفعة، فهو إسقاط ولا يقال له إبراء.

٢ - الفرق بين الإسقاط والعفو، عرفنا معنى الإسقاط، وأما العفو فهو في اللغة: من عفا يعفو عفواً: زال وانمحى، يقال عفا أثر فلان: انمحى، والعفو: التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه [١٠] قال الله تعالى: {وأن تعفوا أقرب للتقوى} [١١] وقد يأتي العفو بمعنى الزيادة [١٢] قال الله جل جلاله {ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفواً} [١٣] أي كثروا، وأما العفو اصطلاحاً: فقد عرفه الإمام الغزالي فقال (العفو هو أن يستحق الشخص حقاً فيسقطه، ويبرئ عنه من قصاص أو عقوبة) [١٤] واختصر بعضهم تعريفه فقال: العفو (إسقاط الحق) فالعفو إذن: تنازل صاحب الحق أو من يقوم مقامه عن حقه: وهو المطالبة باستحقاق القصاص، سواء كان العفو بعوض أم بغير عوض، فعفو المجني عليه أو وليه، يسقط عقوبة القصاص عن الجاني، وإذا نظرنا إلى تعريف كل من الإسقاط والعفو، نجد أن العفو نوع من أنواع الإسقاط، فالإسقاط كما يتم بإسقاط الحق الثابت لصاحب الحق أو من يقوم مقامه - كما في القصاص، وهذا هو العفو - يتم أيضاً بتنازل صاحب الحق عن حقه الذي في ذمة غيره، كتنازل صاحب الدين عن الدين الثابت في ذمة الدين، وبإسقاط حق ثابت بالشرع، ولم تشغل به ذمة أحد، كحق الشفعة، وعلى هذا يمكننا القول: بأن كل عفو إسقاط، وليس كل إسقاط عفو، فبين العفو والإسقاط عموم وخصوص من وجه.

٣ - الفرق بين الإسقاط والتمليك: سبق أن عرفنا الإسقاط، أما التملك: فهو في اللغة: مصدر ملكه الشيء: إذا جعله مالاً له، يقال: أملك فلاناً أمره: أي

لابد لكي نبين الفرق بين كل من هذه الكلمات: الإسقاط والإبراء والعفو والتمليك، أن نبين الفرق بين كل واحدة منها على حدة، وسنجعل الفرق بين الإسقاط وما بعده، أي نجعل الإسقاط هو محور الكلام، فنبين الفرق بينه وبين غيره من الكلمات الأخرى؛ لأنه ببيان الفرق بين معاني هذه الكلمات، يتبين الفرق بين كل واحدة على حدة [١] فنقول:

١ - الفرق بين الإسقاط والإبراء: الإسقاط لغة: يأتي لمعان عدة، أهمها أن سقط: بمعنى وقع، تقول: سقط الشيء من يدي: إذا وقع، قال الله جل جلاله {إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء} [٢] وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «سقط رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن فرسه فحش [٣] شقه الأيمن» [٤] بمعنى وقع، ويأتي بمعنى الإزالة، تقول: سقط اسمه من القبولين: أي زال [٥] وأما تعريف الإسقاط في الاصطلاح: (فهو إزالة الملك أو الحق لا إلى مالك أو مستحق) [٦] أو هو (إزالة الحق الثابت نهائياً مع عدم نقله لغير المختص به، سواء كانت الإزالة بعوض أم بغير عوض) [٧] أما الإبراء: فهو لغة: من قولك أبرأت الشيء من الشيء، إذا خلصته ونقيته منه يقال: برئ من المرض: شفي وتخلص منه، وبرئ من الدين: سقط عنه طلبه، ومنه قوله تعالى {فبرأه الله مما قالوا} [٨] والإبراء اصطلاحاً (إسقاط شخص ماله من حق قبل شخص آخر) [٩] وذلك كتنازل المقرض عن قرضه الذي في ذمة المقرض، والفرق بينهما إذن: هو أن الإسقاط أعم من الإبراء، لأن الإسقاط يكون عن حق ثابت كما في إسقاط الدين، ويكون بإسقاط ما ليس بحق ثابت على الغير، كما في إسقاط حق الشفعين من الشفعة، فالشفعة حق عيني وليس حقاً شخصياً، وعلى هذا فكل

أن يملكه الجاني الدية، ويختلف الإسقاط عن التملك: أن الإسقاط إزالة الملك عن المالك لكن لا إلى مالك، أما التملك فهو: إزالة الملك ونقله إلى مالك جديد.

الهوامش:

(١) أحكام الإسقاط في الفقه الإسلامي، د/ أحمد الصويدي شليبيك، دار النقاش ص ٢١ وما بعدها بتصرف.

(٢) سبأ/ ٩

(٣) جَحْش بالضم: الجَحْش أكبر من الخَش، تفسير غريب الحديث، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ص ٥٣.

(٤) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٥٨٤/٢.

(٥) لسان العرب لابن منظور (سقط).

(٦) حاشية البيجوري، إبراهيم محمد البيجوري، دار الفكر ١٥/٢.

(٧) انقضاء الحق بالوفاء في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه، علي محمد الشريف، ص ٩٨.

(٨) الأحزاب/ ٦٩

(٩) الإبراء من الالتزام، د/ عبد الرزاق حسن فرج ط ١٤ دار الاتحاد العربي ١٩٧٦م ص ١٤.

(١٠) مختار الصحاح للرازي (عفو).

(١١) البقرة/ ٢٣٧.

(١٢) أحكام القرآن لابن العربي دار الفكر ٦٦/١.

(١٣) الأعراف/ ٩٥.

(١٤) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي دار الكتب العلمية ١٨٢/٣.

(١٥) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وغيره (ملك).

(١٦) الأعراف/ ٥١.

(١٧) نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار، لأحمد قوبر قاضي زاده، دار الفكر ٢٠/٩.

خلاه وشأنه، وأملك فلانة أمرها: طلقها، أو جعلت أمر طلاقها بيدها، و«الملك - الملك» بكسر الميم وفتحها - ما يملك ويتصرف فيه يقال: ملك الشيء: أي احتواه قادراً على التصرف فيه والاستبداد به [١٥] ويقال: هذا ملك فلان وملك فلان: بمعنى، والملك بالضم: السلطان، قال الله جل وعلا: [ونادى فرعون في قومه: قال يا قومي أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي] [١٦] فهو يملك السلطان عليهم، لكن لا يملك بيوتهم ولا مزارعهم ٠٠ الخ، والأصح أن الملك مثلث الميم، ويأتي بنفس المعنى في التثنية، هذا هو تعريف الملك لغة، وأما تعريف التملك اصطلاحاً: (فهو نقل الملك ورفعته من شخص إلى آخر) [١٧] فالتملك هو: إزالة ملك المتصرف عما له التصرف فيه، ونقله إلى ملك غيره، سواء كان المنقول عيناً أم منفعة، وسواء كان بعوض أم بغير عوض، كالبيع والهبة والإجارة والوصية وما شاكل ذلك من العقود الناقلة للملكية، وقد يجتمع الإسقاط والتمليك: كما في الإبراء من الدين، لأن التملك فيه معنى الإسقاط من جهة الدائن، إذ يسقط حقه في المطالبة بدينه، وفيه معنى التملك من جهة الدين، إذ يدخل الدين في ملكه بإسقاط الدائن حقه في المطالبة به، فهو تملك من وجه، وإسقاط من وجه، ولذلك أعطى الفقهاء لكل من الوجهين حكمه: فمن جهة أنه إسقاط، لا يحتاج إلى قبول، فلو قال الدائن للمدين: أبرأك من الدين، أو ملكك الدين، وسكت المدين: سقط الدين عنه، ولا يحق للدائن المطالبة بعد ذلك، ومن جهة أنه تملك، فإنه يرتد بالرد: فلو قال الدائن للمدين: أبرأك من الدين، أو ملكك الدين، وقال المدين: لا أريد، أو لا أقبل إبراءك: ثبت الدين في ذمته: لأن الشرع لا يرغم أحداً على دخول مال في ملكه بدون إذنه، قال العلماء: إلا الإبراء، وقد يصاحب التملك الإسقاط، كما في الخلع والطلاق على مال والعفو على مال، فالزوج يسقط حقه في ملك النكاح في مقابل أن تملكه الزوجة المال، وكذا الولي يسقط حقه في القصاص في مقابل

الدكتور محمد السعدي فرهود

زاملتُ الدكتور محمد السعدي فرهود في مراحل الدراسة التعليمية بالابتدائي والثانوي وكلية اللغة العربية ومعهد التربية العالي ثم زاملته في مرحلة التدريس الجامعي مدرسا وأستاذا، فلم أرَ تغيراً في أخلاقه منذ عرفته، مما أكد لي أن الطبع الإنساني المقطور على جبلته لا يتغير بتغير الأحوال والملابس، وما يُظنُّ أنه تطوير وانتقال هو شيء ظاهري مفتعل، إذ أن الجوهر الأصيل يظل محتفظاً بمعدنه، فكل ما يراه خلطاؤه اليوم من هدونه وورائته وسعيه في الخير كان واضحاً عند الطالب الصغير في العهد الابتدائي بالأزهر، هكذا - رأيت ولمست!

ولقد كان مع هذه السجاياء الخلقية غبورا على سمعته العلمية إذ كان حريصاً كل الحرص على أن يكون الأول بين زملائه، وقد تحقق له ذلك في أكثر السنوات، وفي السنوات التي جاء فيها الثاني كان يأخذ نفسه بأسباب اللوم إذ يكون أمامها مقصراً، وأنا أعلم أن درجات الشفوى بالأزهر قد تُعطي لمن لا يستحق فيسبق الكادح الجاد، ولكن الله يعوض كثيراً فيما بعد.

أول ما عرفت الطالب محمد السعدي فرهود كان في حفل عام أقامه معهد دمياط الديني في مناسبة المولد النبوي الشريف، وقد حضره محافظ الإقليم وفريق من عليّة القوم، وقام كبار الأساتذة يلقون كلماتهم الرسمية، فيمتعون، ثم قام الطالب محمد السعدي ممثلاً لزملائه فألقى كلمة ضافية، جذبت إليها الأنظار، إذ ترك المعاني التقليدية التي تكرر في هذه المناسبة، والتي توسع فيها بعض من سبقه من الأساتذة المتكلمين إلى عناصر جديدة تتصل بأخلاق صاحب السيرة المطهرة، وكان إلقاؤه يزّين بيانه، فخرج السامعون يثنون عليه تفكيراً وإلقاءً وهدوءاً، ومن يومها طاب لي أن أعرف الكثير عنه.

ذهبنا إلى معهد الزقازيق الثانوي، فحافظ محمد السعدي على أوليته المعهودة، وأعد نفسه ليكون أول الشهادة الثانوية على القطر جميعه، ولكن ظروفه سياسية عاقته عن الالتحاق بالدور الأول، ظروفاً لا شأن له بها، إذ أن غيرته الإقليمية دفعته إلى مناصرة زعيم سياسي من أبناء بلدته (الزرقا) وأتت الرياح بما لا يشتهي، فذهب عهدٌ وجاد عهد بناويء الزعيم، وتأخر السعدي عن الالتحاق بدور العلوم التي كان مصمماً على دخولها، فانتسب لكلية اللغة العربية غاضباً، ولم يدرك أن إرادة الله فوق كل إرادة، إذ كان في طي الغيب أن يصبح محمد السعدي عميداً لكلية اللغة العربية قمديراً



بقلم : أ.د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

ثم تفرقنا بعد التعلّم، ومضت عدة سنوات حتى جاعني خطاب رقيق من الأستاذ محمد السعدى فرهود يعلق أنه يكتب رسالة الدكتوراه عن شعر الأستاذ عبد الرحمن شكرى، وقد علم أن لدي بعض رسائله الخاصة ويريد الاطلاع عليها، فربما يكون بها ما يضىء جانباً من نواحي الشاعر المتعددة، وقد سارعت بتلبية طلبه فصور ما أُرَاد من الرسائل وبعثها إليّ ثانية، والغريب أنني بعد عشرين عاماً من هذا الموقف، احتجت إلى بعض الرسائل وبحثت عنها دون جدوى، ثم حدثت الدكتور السعدى بذلك، فقال إن الصور محفوظة لديه، وتكرم بإرسال نسخة منها، ولولا ذلك لفقدت إلى الأبد، ومنها تفويض من الشاعر لى طببع مؤلفاته نثراً وشعراً.

لم يقتصر السعدى على مراسلتى بشأن رسائل شكرى، فقد راسل كثيراً من الأدباء في العالم العربي حتى جمع من الرسائل ما يصلح أن يكون كتاباً، وأذكر أنه راسل الأستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير مجلة المقتطف، وكان حينئذ قد ترك القاهرة إلى لبنان فأمده بعدة رسائل تضم أنباء أدبية، ونظرات علمية، وهى لا تزال لدى الصديق، كما أنه حين كتب رسالة الماجستير عن (عبد الله النديم) لم يدع أحداً يعرف اتصاله بأسرته إلا سافر إليه، وأخذ من أخباره ما كان مجهولاً إذ زار الاسكندرية لذلك عدة مرات، وقد كتب الكثيرون عن النديم كتابةً من رجع إلى آثاره وحدها، ولكن رسالة السعدى تضمنت أشياء جديدة عمل على جمعها ثم تحرى مدى صوابها وحازت تقدير لجنة المناقشة بمعهد الدراسات العربية.

لجامعة الأزهر، فهل أقول له اليوم، وما تشاؤون إلا أن يشاء الله.

برز السعدى في كليته الأزهرية، وكان رئيساً لجماعة «الضاد» التي أسسها الأستاذ الدكتور أحمد الشرباصى - رحمه الله - أخذ الرئاسة بعد تخرج الدكتور الشرباصى، فزاول النشاط الأدبي، وسار له بالكلية ذكر حميد، وأشير إلى أن أحد أساتذته كان يعهد إليه بتحضير الدرس الأدبي ليلقيه على الطلاب تمريناً للناهين، وهو سلوك تربوي ناجح، لأن الطالب حين يقف أمام زملائه موقف الأستاذ يشمر عن ساعد الجد، ويحاول أن يملأ الموقف قدر ما يستطيع، وقد ألقى الطالب محمد السعدى عدة محاضرات عن الشاعر العباسى بشار بن برد، حازت إعجاب أستاذنا الكبير أحمد شفيق السيد - رحمه الله - فأنثى عليه في الملأ المشهود، وتنبا له بمستقبل زاهر ثم مضت الأيام فأبرزت تحقيق نبوءته!

وانتقلنا بعد الكلية إلى معهد التربية العالى بالاسكندرية، فدرسنا الجديد من علوم النفس والتربية والاجتماع مما لم تكن نألفه في الدراسة الأزهرية، وأذكر أن الدكتور رياض عسكر أشار في بعض محاضراته إلى «مجلس الآباء» وضرورة إنشائه بالمدارس المصرية تقليداً للمدارس الانجليزية، فاعجبت الفكرة الطالب محمد السعدى فرهود، وكتب مقالا تربوياً نشرته جريدة الأهرام في مكان بارز، وتوالى الرد عليه، لدرجة أدهشت الدكتور عسكر، وتمنى أن يرزق من الطلاب من يذيعون الرأي التربوي على نطاق جهير.

هذه العصور، مثلاً قالوا: إن النقد في العصر الجاهلي نقد فطري، وفي عصر صدر الإسلام نقدٌ ذوقي، وفي الدولة الأموية نقدٌ جزئي، واختلف في الشام عنه في العراق، وهذه في تقديرنا تفرقة جبرية لا مسوغ لها، فقد تداخلت النقود، وتداخلت العصور الأدبية، ولم تتمايز هذه أو تلك تمايزاً يحتم الفصل بينها، وهذا تفسير الاتجاه إلى تناولنا الموضوعي لهذه الأمور غير مغفلين ما يفرضه الترتيب الزمني على حركة التاريخ النقدي».

ووفقاً لهذه الخطة الجديدة كتب الباحث فصولاً متتابعة عن اتجاهات النقد العربي، فتحدث عن النقد الاستحساناني، والنقد الانتخابي، والنقد الاجتماعي، والنقد الوصفي، والنقد على سبيل الموازنة، ثم جاء الفصل الأخير ليلم بأهم النظرات النقدية التي تفرقت فيما سبق من الأبواب، والكتاب بهذا المنحى الجديد طريف كل الطرافة في بابه.

أما أهم كتاب أصدره الدكتور السعدي في حقل النقد فهو كتاب (قضايا النقد الأدبي الحديث) وقد أفردت له مقالا خاصاً بتحليله في مجلة الأديب اللبنانية (أكتوبر ١٩٧٠) وجاء فيه ملخصاً:

«ألم الكاتب إلماً موجزاً في مطلع بحثه بما سبق أن أرّخ به الدارسون حركة النقد العربي، ثم اتجه إلى أبواب معاصرة، بدأها بالحديث عن تأثير النقد الأدبي بعلم النفس والاجتماع والجمال، وختم كل فصل بتعقيب يرجح فيه ما يرتضيه من الآراء المتضاربة في حيدة تامة لا تعرف الانحياز لمذهب معين، ولكي يصل إلى ما يريده من حديث النقد المعاصر عبر ما قبله من الاتجاهات التراثية عبوراً موجزاً، ولكنه مستوعب، ثم تفرغ للبحث في قضايا التجربة الشعرية، والوحدة العضوية متتبعا بذورها في كتب النقد القديم، حتى

وقد زاملت السعدي إذ كنا مدرسين بكلية اللغة العربية بالقاهرة حيناً من الدهر، فانتضح لي من نشاطه جانب إداري كنت أجهله، لأنه مع إكبابه على التأليف الأدبي كان له يد في الإدارة في شئون الامتحانات، وموضع استشارتها في أحوال الطلاب، ولجان الشباب، وسفر الرحلات، وما زال يجمع بين الإدارة والتدريس والتأليف العلمي جمعاً متوازناً دقيقاً، وذلك يتطلب منه مزيداً من الجهد الجاهد، وثقة المحيطين به في مواهبه تدفعه إلى مواصلة هذا الجهد في احتفاء».

وقد تنوعت مؤلفات الدكتور السعدي بالكلية لأن المواد التي قام بتدريسها كانت تقتضي هذا التنوع، ولكن إبداعه الأول كان في حقل النقد الأدبي حيث أصدر عدة كتب مهمة تشمل خطوات النقد في جميع عصوره، وقد فاجأ طلابه بنظام من التأليف في تاريخ النقد الأدبي القديم لم يألوه من قبل، حيث درجوا على أن يكون تاريخ النقد وفق توالى العصور، اقتداء بما صنعه رائد التاريخ النقدي في مصر المرحوم الأستاذ طه أحمد إبراهيم، حيث بدأ بحديث النقد في العصر الجاهلي وتابع العصور حتى انتهى إلى العصر العباسي، والحق أن هذا الكتاب التليد لا يزال يحمل بريقه اللامع منهجاً وأسلوباً واستنتاجاً، وقد حاكاه أناس - أو قل إنهم سرقوه - ثم أخذوا يعيبونه، وكأنهم لم يتكثروا عليه كل الاتكاء، وتلك من محن العلم في العالم العربي، أما الدكتور فرهود فقد درس كتاب الأستاذ طه أحمد إبراهيم، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم رأى أن يؤرخ للنقد على غير مذهبه، فأصدر كتابه (اتجاهات النقد العربي) متحدثاً في المقدمة عن منحى الأستاذ طه أحمد إبراهيم ثم معقباً بقوله:

«وإن لنا أن نقوم هذا الاتجاه، لأنه يسمح بقيام فواصل بين نقود العصور، وإطلاق القواعد العامة على

العربية بالمنصورة حين أنشئت فلاقى تأسيسها العلمي والإدارى والبنائى جهداً كبيراً قام بتذليله على نحو مرهق شاق، ثم ترقى إلى منصب أعلى، وجئت عميداً للكلية من بعده، فرأيت أن أقيم له حفلة تكريم اعترافاً بجهده في إنشاء الكلية وسيرها هذا المسير الصحيح، وقام المتحدثون فائثوا عليه بما هو أهله، وكانت المفاجأة في الكلمة الختامية التي ألقاها الدكتور السعدى، حيث ذكر أسماء الزملاء والإداريين والموظفين الذين عاونوه جميعاً، وأحصى لكل فرد جهده الذى قام به، وكأنه كان أثناء عمله عميداً يسجل خطوات من يقعون تحت إدارته تسجيلاً واعياً، وقال في تواضع إن الشكر لهؤلاء جميعاً، وقد خرج المستمعون دهشين لهذه الذاكرة التي وعى كل شيء. ولهذا الاعتراف المثالى بكل جهد مبذول، وكى رأينا من رؤساء لم يعملوا شيئاً ارتكناً على جهود مروعسيهم، ثم هم بعد ذلك يتلمسون الهفوات التافهة لعقابهم، وكان الرئاسة لا تتم إلا بالاستعلاء وترصد وسائل العقاب.

وفي اجتماعات اللجان الدائمة لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر، رأيت من حزم الدكتور فرهود ما أعجبني لأن هذا الحزم الدقيق لم يمنع نظرة الرحمة المتسامحة لمن قعدت بهم بعض ظروفهم الصحية في مختتم العمر، عن الإجابة التامة، فكان الدكتور يقف في صف هؤلاء الذين سيودعون علمهم عن قريب، قائلاً إنهم كافحوا قدر ما يستطيعون، ولهم جهدهم العلمى الذى يؤيده نشاطهم الممتد عبر السنوات الماضية، وهو رأي قد يجد المعارض، ولكنى أسجله كما رأيته مع ملاحظة أن النتائج يكون دائماً في مستوى مقبول ولا يهبط إلى درجة المواخذه، فهنا يكون الحسم الدقيق. هذه خواطر أكتبها عن صديقي الكريم، راجياً أن أجد مجالاً آخر للحديث عنه كما أريد بإسهاب.

انفسح المجال لرصد التيارات المعاصرة، إذ تحدث عن خليل مطران وعبد الرحمن شكرى والعقاد والمازنى! وقد لاحظت في مقالى بمجلة الأديب أنه قد بخس مطران حقه حين جعله ينحاز الى جانب شوقى في منحاه، لأن اتجاه مطران الإبداعي مسلم به، وهو الرائد الحقيقي لحركة التجديد في الشعر المعاصر، إذا أردنا أن نقرر الحقيقة دون انحياز.

هذان الكتابان البارزان في نتاج الدكتور السعدى كانا موضع تعليقات لي في دروس النقد، وأنا أجاوره بمرجرات الكلية، وقد تناقل الطلاب هذه التعليقات، فكنت أنتظر من صديقي أن يتأثر بعض الشيء بموقفى ولكنه قابلنى مبتسماً ليقول: إنه مستعد حين أدون له خواطرى النقدية في بحث خاص ليرجع إليه إذا حانت الطبعة الجديدة للكتاب، وهذا السلوك المطمئن الواثق هو ما يميز الدكتور السعدى دائماً، وما جعل أصدقاءه وزملاءه يعتززون به، وقد جنى كثيراً من الشوك بسبب هذه السماحة، ولكنه لم يثر ثورة الغاضب، إذ طبع على الهدوء اليقظ، وقد دُعِي منذ أعوام لإلقاء محاضرة أدبية نقدية عن الشاعر الكبير عبد الرحمن شكرى بالنادى الأدبي في جدة، وهو أولى الزملاء بالبحث في موضوع من صميم تخصصه إذ كتب رسالة الدكتوراة عن الشاعر فعرف عنه أكثر مما يعرف سواه، ولكن - وهذا موضع العجب العجيب - رأيته بعد كتابة بحثه المسهب، يدعونى إلى زيارته، ثم يعرض عليّ المحاضرة قبل أن يلقيها، فقد يكون بها ما يصلح أن يكون موضعاً للنقاش، وقد دهشت جداً لهذا الطلب غير المنتظر، وأخذت المحاضرة وأفدت منها، ولم أر بها غير الجيد الصحيح، وعاتبته على ما صنع، فقال لي في ابتسام: وماذا يمنع من أن أطمئن، فقلت له إن أطمئناك هذا مع وثوق الناس بك قد حيرني!

وقد كان الدكتور محمد السعدى عميداً لكلية اللغة

تقنية إثارة الابتكار في القراءة

في المجتمع أفراد يقرؤون ولا يكتبون، ولا يستطيع هؤلاء تسجيل ما يدور في خواطرهم من أفكار، وقد يلجأون من أجل ذلك إلى الاتصال اللفظي. على أن الذي يتعلم القراءة يتعلم معها الكتابة أيضا في معظم الأحيان.

يسمى الفرد الذي لا يعرف القراءة والكتابة أميا، والامي جاهل يعيش في دهايز الظلام التي لم تصلها أنوار العلم والمعرفة. يقاس تقدم المجتمعات في هذه الأيام بنسبة قضاائها على الأمية. أي بمقدار ما يستطيع أفرادها إتقان القراءة والكتابة. والأمية آفة من آفات هذا العصر، وأينما انتشرت انتشر معها الفقر والمرض. ويكون الجهل والفقر والمرض ثالوثا يعرقل تقدم المجتمعات. صرفت المجتمعات المهتمة بالتعليم، ولا تزال تصرف مبالغ هائلة من أجل القضاء على الأمية. لقد سبقت البلدان المتقدمة البلدان النامية في هذا المجال، وانخفضت فيها الأمية انخفاضاً كبيراً، ووصلت ما وصلت إليه من تقدم ورفق. ولا تزال أمم نامية كثيرة تتخبط في هذا المجال الذي يشكل عائقاً مهماً أمام تقدمه وتنميته.

لماذا نتعلم القراءة؟

تحتل القراءة مكانة مهمة جداً في حياة الإنسان. ذلك لأنها تخلصه من الظلمات، وتوصله إلى النور. تتقده من العمى، فينظر إلى الأمور بعين العقل والعلم، ولا تستوي الظلمات والنور، ولا يستوي الأعمى والبصير، تساعد القراءة الإنسان على الخروج من

القراءة والكتابة وسائل اتصال اكتشفهما الإنسان منذ آلاف السنين. ولا زالت هذه الوسائل تحافظ على مكانتها رغم التقدم التكنولوجي وإيجاد وسائل أخرى جديدة للاتصال. ينهل الإنسان من العلوم الغنية الموجودة في طيات المنشورات والمخطوطات بالقراءة، ويسجل ما يود أن يعبر عما يجول في خاطره بالكتابة. تحافظ الكتابة على الأفكار المختلفة قدر ما تكون هذه الكتابة محفوظة حفظاً سليماً. وتفتح مقاصد الإنسان المختلفة، فهم ما تفهم، بقراءة ما كتبه ودونه. وهذا يعني أن الكتابة إنما تتطلب القراءة. ذلك لأن الإنسان لا يكتب لنفسه، بل يستهدف أصلاً نقل أفكاره إلى الآخرين. وما كتب شيء إلا ليقرأ سواء كان قبل صاحبه أو بعده قبل الغير. وبدون القراءة تبقى الكتابة موزناً غير مفكوك، لم تصل إلى أغراضها بعد، ولم تؤد وظيفتها الأساسية.

ورغم أن القراءة والكتابة مستقلتان عن بعضهما البعض إلى درجة ما، إلا أنهما تكادان تشكلان وجهاً عملة واحدة يكمل أحدهما الآخر، وليس بالضرورة أن يتعلم شخص ما تعلم القراءة والكتابة أيضاً. وهناك



**** ساعات**

الدراسة في الفصل المدرسي أو المدرج الجامعي قليلة ولا توفر المعرفة المطلوب توفرها للابتكار والإبداع

استجاب الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بأنه إما لا يعرف القراءة كلما أصر جبريل على تكرار أمر به. ولقد أدرك الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) أهمية هذا الأمر منذ الأيام الأولى من نبوته، فبدأ ينشر رسالته بين أفراد عائلته وأبناء قومه. وقد أرسيت دعائم هذه الرسالة بشكل أساسي على قراءة القرآن وتطبيق تعاليمه، وإيماناً من الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بأهمية القراءة في حياة المجتمع، ورغم أن الدعوة كانت لازالت في أيامها الأولى، فانه سلك سلوكاً خاصاً لم يضاهه أحد قط في مثل هذه الظروف، لقد اشترط على كل أسير بعد معركة بدر تعليم عشرة من أطفال المسلمين القراءة والكتابة مقابل إطلاق سراحه، وقد حث الإسلام على القراءة والكتابة واعتبر قراءة القرآن والعلوم الأخرى مطلباً أساسياً من

غيابات الجهل وتقله الى فضاء المعرفة الفسيحة. تصقل القراءة شخصية الفرد بمقدار ما ينهل وما يتعلم. وهو عندما ينهل بها ثقافة مجتمعه، إنما يتكيف بالشكل الذي يريده المجتمع، ويضمن له ذلك سهولة التفاهم

وحسن المعاشرة، ويسر التكيف مع أفراد المجتمع الآخرين، يرتاد الإنسان بالقراءة الثقافات العالمية الزاخرة، فيتعلم ما يفكر به الغير، وكيف يفكرون. ومن الجدير بالذكر أن يكون أول أمر رباني للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) والإنسانية جمعاء هو القراءة، وأن يقرن أمر القراءة هذا بصفة الخلق الربانية، يتوالى الأمر الرباني بالتذكير بأنه هو الذي علم الإنسان بالقلم ما لم يعلم، والقلم أداة الكتابة لدى الإنسان، ويظل جبريل يكرر هذا الأمر الرباني على الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) عدداً من المرات، مما يعكس ما فيه من أهمية بالغة. وكلما

كل إنسان مهما كانت
مرتبته وجنسه وجنسيته
ولونه ودينه، كما أن
الإنسان يحتاج إلى
ماكل ومشرب وملبس
لسد احتياجاته
الجسدية فإنه إنما
يحتاج إلى قراءة لسد
احتياجاته الذهنية،
ولهذا فقد قيل بأن
القراءة غذاء الفكر
والذهن والروح،
ويمتخض عن ذلك أن



مطالب هذا الدين الخفيف.

لقد كانت القراءة أول أمر رباني لأهميتها البالغة في حياة الأفراد والمجتمعات على السواء. ولم تنته الأوامر الدينية عند هذا الحد، بل توالى تحت على التعلم والتعقل والتدبر والتفكير الحازم في مخلوقات الله والكون والسماء، وطلب العلم من المهد إلى اللحد حتى ولو كان في الصين. وجميع هذه الأمور متعلقة بالقراءة عن كُتب، لقد فرض العلم على كل مسلم ومسلمة، ولن يتم تعلم أي علم بدون قراءته، خصص الإسلام لمن يؤدي فرض القراءة أجراً عظيماً، وتوعد من يتركه جزاءً وبليلاً، لقد حمل القرآن على الفرد مسئولية كبيرة في هذا الخصوص، ووعد المخالف عقوبة خاصة يوم الآخرة، لقد واعد الله تارك قراءة القرآن بحشره أعمى يوم القيامة، وهو جزاء خاص يحمل العين على ما يحملها من بين الوظائف المختلفة وظيفية القراءة بشكل صريح، وبحسب الذي لا يقرأ كالأعمى، وشتان بين الأعمى والبصير، يتعلم المسلم بالقراءة دينه ودنياه على السواء، وقد أقام الإسلام توازناً دقيقاً بين الدين والدنيا، حتى أضحي ما يتعلمه الإنسان لدنياه في مصاف العبادات.

القراءة ضرورة من ضرورات الحياة، يحتاج إليها

تكون القراءة إضافة إلى ذلك متعة فريدة شيقة ولذيذة من متع الحياة الدنيا، لا تعادلها متعة أخرى قط، كما أن الإنسان يسد احتياجاته الجسدية بالأكل والشرب فإنه يستمتع بهما، وكما أنه يسد بالقراءة احتياجاته الفكرية والذهنية والروحية فإنه يستمتع بها، يتعلم الإنسان القراءة منذ الصغر ويستمتع بها، ثم يجعلها فيما بعد جزءاً لا يتجزأ من حياته اليومية، ومن دون ذلك يكون الإنسان قد حرم من هذه المتعة، التي لا يمكن أن تعوض بغيرها أبداً.

لقد استخدم القرآن الكريم الجهل في سورة يوسف بمعنى الطيش، لما يتصف به الجاهل من اندفاع للأمور من دون تروٍّ، مما يؤدي إلى الوقوع في أخطاء فاضحة، فيتعلم الإنسان بالقراءة ما لا يعلم، فتغذي الفكر وتصقله وتهذبه وترفعه مراتب سامية وراقية، لقد قيل في مآثور الكلام أن خير صديق للإنسان هو الكتاب. والهدف من ذلك هو التشجيع على مصاحبته وقراءته والاستئناس به، وقد سمي القرآن بهذا الاسم للتأكيد على قراءته، وقد أمر بقراءته على مكث **(وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً)** (سورة الإسراء الآية ١٠٦) أي على مهل وتؤدة للتفكير والتدبر فيه، وطلب ممن يتواجد عند قراءته الاستماع والإنصات.

**** الوقت
المفاد منه
جيداً، هو
الاستثمار
الحقيقي للفرد .**

**** الابتكار
تقييمه العزيمة
الصادقة،
والملاحظة
الدقيقة
والأفكار المطربة
مع نتائجها .**

**** تقنيات
طرائق الابتكار
الأسلوب الأمثل
تعليمه منه أجل
عطاء أفضل .**

**** الجهد
الذاتي الذي
يبدله الطالب
في تحصيل
المعلومات منه
مظاهرها هو
الاجتهاد
والأنفة .**

غيرهم، ولكي لا يكون الإنسان مغلوباً على أمره أو مستغلاً من قبل الآخرين، فلا بد له أن يكون مبدعاً ومبتكراً فالابتكار ضرورة من ضرورات الحياة المعاصرة، التي يحتاج إليها الإنسان في كل أن وحين من أجل ضمان مصالحه وتحقيق مآربه، والعيش عيشة سعيدة، يستطيع كل فرد أو جماعة أو مجتمع أن يكون مبتكراً، فيما إذا استثمر وقته في هذا المجال، وتعلم وسائل تحقيقه، تنمي التربية الابتكار أضعافاً مضاعفة، وحيث أن الابتكار مطلب يومي يحتاج إليه كل فرد ومجتمع من أجل إدارة شؤونه على أحسن وجه، فإنه يخلق الحيوية والنشاط المستمرين، اللذين يكسبان الحياة المعنى وتذوق طعمها .

الابتكار في أوسع معانيه تحطيم القوالب الموجودة، والانفتاح على خبرات الآخرين، والخروج عن المألوف، والمباشرة بالخطوة الأولى نحو ما هو غير معروف، وكسر قيود الفكر المفروضة على الفرد، ووضع خط جديد للفكر، وطرح بدائل مختلفة لمشكلة معروضة، وارتقاء طريق آخر غير الطريق الرئيسي الذي يسلكه

يتحول الإنسان بالقراءة من أمي إلى متعلم، ومن جاهل إلى مثقف، ومن متقوقع على نفسه إلى اجتماعي، يرغب في نشر ما قرأه على غيره من الناس، توسع القراءة أفق المرء، وتقضي على القلوب الذي يتحكم في حياته، وتحل محله المرونة والانفتاح، ويستفيد الإنسان بذلك من خبرات الآخرين في كل مجال من مجالات الحياة، وينظر إلى الأمور من زوايا مختلفة، ويحسب لها حسابات شتى .

تنتشر المدنية الحديثة وتنتقل من جيل إلى آخر بالمواد المكتوبة، ورغم أن المواد السموعة والمرئية والمصورة التي تذاغ بالراديو، وتبث بالتلفزيون، وتنقل بالكومبيوتر، تحتل مكانة مرموقة في هذه المدنية، وتتوسع مجالاتها يوماً بعد يوم، إلا أن هناك تراثاً ضخماً مكتوباً بين طيات الكتب والمجلات والجرائد والنشورات الأخرى من أطروحات ورسائل ووثائق معارف وقواميس . وإذا كان لابد من الاطلاع على هذا التراث الثري القومي منه والعالمي على السواء، فلا بد من القراءة التي تعوض الحرمان الذهني بالثراء والغني .

إن المدنية الحديثة أمانة أودعها الجيل السابق في كاهل الجيل الجديد، لا تتطلب هذه الأمانة الاحتفاظ بما يستلم من الجيل السابق فحسب، بل ينبغي تطويرها نحو الأحسن، لكي تؤدي وظيفتها بالشكل الصحيح، وإن يتم ذلك إلا إذا تعلمنا وعلّمنا الجيل اللاحق القراءة والكتابة خير تعليم، وأبدعنا في مثل هذا التعلم والتعليم .

ما هو الابتكار؟

يعيش العالم اليوم في صراعات مستميتة من أجل ضمان منافع خاصة في مستوى الأفراد والجماعات والمجتمعات على السواء وأينما تجد صراعاً تجد غالباً ومغلوباً أو مستغلاً ومستغلاً، وما من سبيل لكسب هذه الصراعات إلا بقدر ما يظهر الأفراد والجماعات والمجتمعات من الابتكار، الذي يضمن غلبتهم على

* * * وسائل

المعرفة،

ووسائلها

غدت في عالم

اليوم أكثر

توفرًا.

* * * علينا

نعلم أبناءنا

كيفية الاستفادة

من هذا الكم

المعرفي الهائل

في تقنية

المعلومات.

* * * مهتكم

الأطفال أفكار

جريئة ينبغي

احترامها

وتنميتها.

المنهل

الأخرون، وإيجاد شيء جديد يؤدي إلى إيجاد أشياء أخرى، والتوصل إلى إيجاد علاقات جديدة بين الأفكار المطروحة، وطرح فكرة جديدة، وإيجاد وسيلة أو طريقة غير معروفة سابقا، وارتياح مكان جديد، أو كشف شيء غير معروف، واختراع آلة أو جهاز جديد يفيد الإنسان. وما من شك في أن كل هذه الأمور إنما تحتاج إلى قراءة مستمرة ومبتكرة في أن واحد، ومثلما ربط القرآن بين القراءة وصفة الخلق الربانية، يمكن ربط القراءة بالابتكار الإنساني، على أن الخلق الرباني ينفرد بكونه من لا شيء، بينما يكون الابتكار الإنساني من أشياء موجودة فعلا، تساهم في تشكيل المواد الخام للشيء الجديد المبتكر.

ماذا نقرا؟

نقرأ في كل يوم أشياء شتى متباينة، تصنف هذه الأشياء تصنيفات مختلفة، تتضمن مواد مطبوعة أو مخطوطة على الأوراق ومواد ضوئية تكنولوجية، تتضمن الكتابات المطبوعة والمخطوطة، الصحف والمجلات والكتب ودوائر

المعارف والقواميس والاطروحات والرسائل والمخطوطات، بينما تتضمن المواد الضوئية التكنولوجية الكتابات الضوئية التي تثار بالإعلانات أو التي تنقل من شاشات التلفزيون والكمبيوتر.

تتبع قراءة المواد المتباينة من أسباب عديدة تختلف من شخص إلى آخر. وقد يدفع سبب واحد شخصا معينا إلى القراءة، بينما تتجمع كل هذه الأسباب لدى شخص آخر، على أن المواد المقروءة يمكن تصنيفها من ناحية أخرى تصنيفا متباينا كما يأتي:

قراءة القصص:

يجني الإنسان فوائد شتى ومتباينة من قراءة القصص، لقد أشار رضا (Riza, 1999: 187) إلى فوائد مهمة جدا لقراءة القصص بحيث تنفع الإنسان في جوانب كثيرة من حياته، منها إشغال وقت فراغ الفرد بما يفيد وينفع مهم جدا من جوانب عديدة ذلك لأن العادات الحميدة التي تكون جزءا لا يتجزأ من حياة الإنسان إنما تشكل بمرور الأيام، تعتبر الهوايات إحدى هذه العادات، والقراءة إحدى الهوايات المهمة التي لا بد من تشكيلها لدى كل فرد، تلعب قراءة القصص الشيقة دورا مهما في تكوين هذه العادات، تكون الأحداث التي تدور في هذه القصص وسيلة لجذب الإنسان إلى القراءة وضمان الاستمرار فيها، تتحول هذه العادات بالتدرج إلى هوايات يستمتع بها الإنسان، ويقضي معها فترات سعيدة من حياته، أضف إلى ذلك فإن عدم ملء وقت الفراغ بما ينفع ويفيد قد يعرض الإنسان إلى مفاسد وشرور هو في غنى عنها. ولهذا السبب فقد قيل أن الفراغ مفسدة، ولا شك أن أمر تجنب المفاسد والشرور مهم جدا في كل من المستويين الشخصي والاجتماعي.

تكسب القصص الفرد ثروة لغوية غنية تقيده في التعبير اللفظي أو الكتابي عما يجول في ذهنه، ولما تملكه القصص من جاذبية، فهي إنما تعود الفرد على القراءة بدون ضجر أو ملل، تطور القصص لدى الفرد

الابتكار والإبداع دورا بالغا كمثيرات تولد أفكارا جديدة.

يعكس تراكم المعلومات في الميادين الأخرى من غير الاختصاص ثقافة الفرد العامة. هذا ومن الجدير بالذكر أن القراءات في الميادين الأخرى مهمة بقدر أهمية القراءات في الاختصاص نفسه، يعتبر تنوع الثقافة العامة أمرا مهما جدا من زاوية الكشف المبكر، يكون المبتكرون في معظم الأحيان ممن يملكون ثقافة عامة غنية، توفر هذه الثقافة العامة فرصة لكشف علاقات جديدة ومجالات مشتركة بين ميدان الاختصاص وميادين الثقافة العامة الأخرى، وهو أمر تؤكد عليه تعاريف الابتكار والإبداع.

والقراءات في علوم أخرى من غير الاختصاص مهمة لأنها تثير الابتكار والإبداع والكشف لدى الفرد، ذلك لأن الفرد يستطيع أن يستعير شيئا ما كان قد استخدم بنجاح في علم معين ويطبقه في علم آخر، وتاريخ الكشف مليء بمثل هذه الأمثلة، ولما كان علم الفيزياء أسبق العلوم تقدما وأرسخها استقرارا، فقد استعار العلماء منه طرائق بحثه، واستخدموها في علوم أخرى أحدث منه نشأة وأقل منه استقرارا.

يتساءل بابانك (Papanek, 1978: 131) (132) في ميدان اختصاصه التصميم، الذي يحتاج إلى الكثير من الابتكار والإبداع، عن كيفية تطوير تصميم معين، مشيرا بذلك إلى نوع من الإجماع الموجود في المدارس ومجلات العمل، سواء في مجتمعه أو غيره من المجتمعات، يتضمن هذا الإجماع فكرة مفادها أنه لا بد للمصممين والطلبة من أن يطلعوا على علوم أخرى من غير الاختصاص، وبذلك يمكنهم نقل مفاهيم العلوم الاجتماعية وعلوم الحياة وعلم الإنسان والسياسة والعلوم المشابهة إلى ميدان التصميم.

يطلق أبستين (Epstien, 1996, 78) على تنوع الثقافة اسم طريقة التوسيع (broadening) ويرى بذلك أن مشكلة التربية التقليدية تتبع من عدم تخصيص هذه التربية الوقت الكافي للابتكار، رغم أنها تتضمن مواضيع في الثقافة العامة.

مهارات البحث والدراسة، تغني القصص من ناحية أخرى خياله وتوسع أفق تفكيره، ترفع تحصيله وتطور اتجاهاته وتنمي الابتكار لديه، تقوي قراءة القصص شخصية الفرد، لما لأبطال القصة من تأثير واضح عليه، وتساعد في علاج مشاكله النفسية، لقد وجد أن قراءة القصص إنما تؤدي إلى استخدام فصي المخ في آن واحد، يتطلب التفكير في التعبير اللغوي استخدام الفص الأيمن، بينما يتطلب تجسيد أحداث القصة استخدام الفص الأيسر منه، وفي استخدام فصي المخ في آن واحد إثارة للابتكار والإبداع، ولما كانت هذه الفوائد ذات قيمة كبيرة لا يمكن الاستغناء عنها في أي حال من الأحوال، فإن قراءة القصص تصبح أمرا من الأهمية بمكان لكل فرد من أفراد المجتمع.

قراءة في الثقافة العامة :

تتضمن القراءات في الثقافة العامة جانبين مهمين في أن واحد لا يقلان أهمية عن بعضهما البعض، يتضمن الجانب الأول قراءات في علوم أخرى من غير الاختصاص، ويتضمن الجانب الثاني قراءات في ثقافات المجتمعات الأخرى.

يحتاج الإنسان إلى مقدار من الثقافة العامة في علوم أخرى من غير الاختصاص، لكي ينظر إلى الأمور التي تجري في الحياة بمنظار علمي آخر. يكون الإنسان بدون هذه الثقافة العامة معرضا للشعوذة والدجل والسحر والمغالطات والأوهام والخرافات، يعمل التزود بمناهل العلوم المختلفة وظيفية وقاية للإنسان من هذه الشرور المنتشرة في جوانب الحياة المختلفة، تشمل هذه الثقافة العامة جوانب العلوم الإنسانية وغير الإنسانية المختلفة من دين وتربية وعلم نفس وفلسفة وعلم اجتماع وأدب وعلوم طبيعية ورياضيات وفنون جميلة، تكون هذه الثقافة العامة وسيلة لتسيير أمور الإنسان العائلية والمهنية والاجتماعية اليومية بما ينفعه ويفيده، تكون هذه الثقافة أيضا عاملا مشتركا مهما للفاهم مع من يعملون في ميادين أخرى للاستئناس بآراء بعضهم البعض، تلعب هذه الآراء من زاوية

واللازمة والاحتفاظ بها لهذا الغرض للاستفادة منها في المستقبل، هذه الطريقة الأخيرة مهمة جداً من زاوية الابتكار والإبداع، ولا تخلو القراءة الاجتماعية من أهمية لهذا الغرض.

قراءة المرة الواحدة والقراءة المتكررة:

قراءة المرة الواحدة هي تلك القراءة التي تؤدي لمرة واحدة دون تكرار، ولا يهتم الإنسان كثيراً بما يحتفظ منها وما ينساه ويتم في العادة نسيان نسبة منها، قد تكون كبيرة، بعد القراءة مباشرة، تزداد هذه النسبة في العادة بمرور الزمن، أما القراءة المتكررة فهي تلك القراءة التي يتم فيها تكرار المواد المقروءة أكثر من مرة واحدة، وكلما زاد عدد مرات التكرار كلما زاد تذكر نسبة أكبر منها، لا تخلو القراءتان من أهمية من وجهة نظر الابتكار، رغم ما تبدو أن القراءة المتكررة أثقل كلفة من صاحبها.

القراءة للحفظ والقراءة للفهم:

القراءة للحفظ هي تلك القراءة التي يقصد منها حفظ المواد المقروءة، وقد يهتم القارئ بالآفاظ أكثر مما يهتم بالمعنى، قد يكون الحفظ ألياً، وقد يكون مبنيًا على الاستيعاب والفهم، القراءة للفهم هي تلك القراءة التي يركز فيها على المعنى أو المحتوى، وقد يستخدم في إعادة المواد المقروءة ألفاظاً غير تلك الألفاظ التي استخدمت في النصوص الأساسية، وهو أمر له علاقة ماسة بالابتكار، قراءة الفهم أهم من قراءة الحفظ من زاوية الابتكار.

قراءة المكتوبات وقراءة المصورات:

قراءة المكتوبات هي قراءة الكلمات والألفاظ والجمل والتعابير، أما قراءة المصورات فهي قراءة الصور والرسوم واستخراج المعاني المكونة فيها، أي تحويل الصور والرسوم إلى كلمات وجمل وإفادات منطوقة أو مكتوبة، تحويل الكلمات المكتوبة إلى صور ورسوم، وتحويل الصور والرسوم إلى كلمات مكتوبة تدريب ذو أهمية كبيرة يطور الابتكار والإبداع لدى الأفراد.

(الموضوع صلة)

ولا يملك الإنسان العصري من الوقت ما يكفي له للعلوم الغزيرة، ولهذا السبب فقد كانت هناك حاجة ماسة إلى القراءة السريعة التي يتم فيها التركيز على الأفكار أكثر مما يتم فيه على الكلمات المكتوبة، يركز في قراءة العلوم الأجنبية على أواسط الصفحة، غير أن تراكيب اللغات الأجنبية تختلف عن تراكيب اللغة العربية، تركز تراكيب الجمل في اللغة العربية على الأفعال التي توضع في بدايات الجمل على الأكثر، لهذا ينصح القارئ بالتركيز على هذه الأفعال، والمروء على باقي الجمل بسرعة خاطفة.

القراءة الصامتة والقراءة الصائتة:

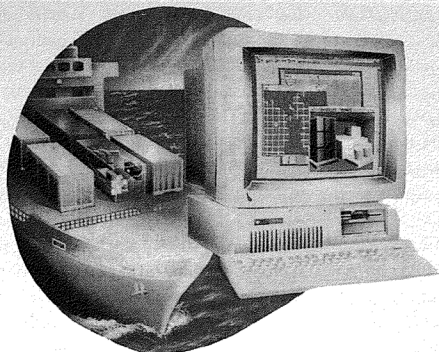
القراءة الصامتة هي تلك القراءة التي تتم بالنظر إلى الكلمات، وتحريك الشفاه أو دون تحريكها، دون إفساس المجال للآخرين لسماع ما يقرأه الإنسان، أما القراءة الصائتة فهي تلك القراءة التي يتم فيها إخراج ألفاظ المواد المقروءة بحيث يمكن سماعها من قبل الآخرين أو الشخص نفسه، تتميز القراءة الصامتة بكونها مريحة لمن يحيط بالشخص، وغير متعبة بالنسبة للفرد نفسه، أما القراءة الصائتة فإنها تتميز بسماع ما يقرأ، إضافة إلى رؤية الألفاظ المكتوبة، تكون المواد التي تقرأ بهذه الطريقة من هذا المنطلق أكثر ترسيخاً في ذهن لاشتراك حاستي السمع والبصر في التعلم.

القراءة الهادفة والقراءة العابرة:

القراءة الهادفة هي تلك القراءة التي يبحث فيها القارئ عن شيء يهيم وينفعه، أما القراءة العابرة فهي تلك القراءة التي تكون عامة، يمر عليها المرء مر الكرام بقصد الإطلاع، ولا يستهدف منها شيئاً معيناً بالذات، وكلا من هاتين القراءتين ذات أهمية كبيرة من وجهة نظر الابتكار والإبداع والكشف والاختراع.

القراءة الاجتماعية والقراءة الدقيقة:

القراءة الاجتماعية هي تلك القراءة التي تكون للاستمتاع وقضاء وقت الفراغ ومن أجل الحصول على الثقافة العامة، أما القراءة الدقيقة فهي تلك القراءة التأمليّة التي يستهدف منها الإفادة من المواد المقروءة تواتر لاحقاً، لذلك يقوم القارئ بتسجيل الملاحظات



آفاق معلوماتية .. متجددة، ساحرة

في العدد السابق لشهر ذي الحجة ١٤٢١هـ، نشرت
الحلقة الاولى من هذه الدراسة العلمية الهامة ..
وهذه الحلقة الثانية/ الأخيرة من هذه الدراسة القيمة ..

متطلبات نظام الأقراص المكنزة:

يحتاج نظام أو وحدة أقراص الليزر المكنزة إلى مجموعة من الأجهزة والمعدات التي تعتبر من ضروريات إعطاء النتائج المطلوبة من المعلومات المسترجعة، ويمكن تحديد تلك المكونات بالآتي:

١ - جهاز حاسوب مايكروبي micro computer يشتمل على متطلبات محددة وهي:

(أ) أن يكون الجهاز متوافقا compatible مع نظام I.B.M للحواسيب.

(ب) أن تكون ذاكرة الجهاز Memory بمقدار ٦٤٠ ألف رمز MB (أي 640 KB RAM) على أقل تقدير، لذا فإنه يفضل زيادة طاقة الذاكرة المقتناة إلى مليون أو مليوني رمز لإعطاء مرونة أكبر في التعامل مع المعلومات المسجلة على أقراص الليزر المكنزة أو لاستخدامها في التعامل مع القواعد الأخرى.

(ج) أن تكون طاقة القرص الثابتة Hard Disk الإستيعابية كبيرة أي من

نظم
الأقراص
البصرية
المكتنزة

وأثرها
على
أنظمة
الفيزن
والاسترجاع
المباشر
للمعلومات



بقلم : أ.د. سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن

جامعة العلوم والتكنولوجيا - اليمن

فيمكن الحصول عليها عن طريق الإشتراك شأنا شأن المطبوعات الدورية الورقية (الدوريات العلمية)، حيث تزود المكتبة أو مركز المعلومات الذي يتعامل مع هذه التقنية بقرص الليزر مرة أو مرتين أو أربعاً في السنة، أي أن المعلومات الموجودة على القرص تُحدَّث فصلياً أو مرتين في السنة أو مرة واحدة في السنة.

ومن الجدير بالذكر أن القرص القديم يجب أن يعاد ويسترجع إلى الشركة المجهزة حال استلام القرص الجديد، وذلك حماية لمصالح تلك الشركات والمؤسسات المجهزة للأقراص على ما يبدو.

وهناك عدد من الشركات والمؤسسات المعروفة بتزويدها للأقراص المكتنزة وقواعد المعلومات المسجلة عليها، وكثيراً ما تتكرر الأقراص وقواعد المعلومات المسجلة عليها في أكثر من شركة، مع وجود بعض الاختلافات خاصة فيما يخص البرامجيات Soft ware.

خصائص الأقراص المكتنزة:

للاقراص المكتنزة بعض الخصائص التي يمكن حصرها هنا فيما يلي:

١ - لها قابلية تخزين عالية (٥٥٠ MB مليون رمز)، أو ٢٧٠ ألف صفحة حجم (A4) وهي من الصفات الجيدة الرئيسية التي تتحلّى بها هذه المنظومات.

٢ - الإقبال الشديد من قبل المستخدمين والمؤسسات على اقتناء واستخدام مثل هذه المنظومات يجعل إنتاجها عملية روتينية ومربحة إقتصادياً قياساً إلى إنتاج الكتب والصحف. بعبارة أخرى أن الجميع يمكن أن يقتني مثل هذه المنظومات.

٣ - الأقراص المكتنزة تكون صغيرة الحجم ويمكن حفظها في درج المكتب، أي أنها لا تحتاج إلى وسائل حفظ خاصة بها.

٧٠ - ١٢٠ مليون رمز MB. وبذلك تستطيع المكتبة أو مركز المعلومات المعني باقتناء أقراص الليزر المكتنزة والتمكّن من استخدام النظام وحاسوبه المايكروفي في مكتبة إجراءاتها وعملياتها بإنشاء قواعد المعلومات الداخلية كقاعدة فهارس المكتبة أو قوائم الدوريات الموحدة أو ما شابه ذلك، إضافة للاستفادة من المعلومات المسجلة على الأقراص.

(د) شاشة واضحة ملحقه بالحاسوب لقراءة المعلومات المعروضة Display Monitor.

(هـ) ملحق قراءة الأقراص المرنة Floppy Disk Drive وذلك لإمكانية استخدام الأقراص المرنة في تفريغ المعلومات عليها، سواء كان ذلك من الأقراص المكتنزة المستخدمة في النظام أو من ذاكرة الحاسوب وقرصه الثابت، مثال ذلك تفريغ المعلومات الخاصة بتعليمات استخدام قواعد معلومات الأقراص المكتنزة، أو تفريغ معلومات تعيين بملحق ملف معين، وهكذا.

٢ - جهاز قراءة أقراص الليزر المكتنزة CD ROM DRIVE وهو يشبه جهاز التسجيل المرئي «الفيديو» ولكنه أصغر حجماً منه، ويرتبط هذا الجهاز عادة مع الحاسوب المايكروفي بسلك قصير CABLE إضافة إلى وجود لوحة قصيرة ملتصقة مع جهاز الحاسوب المايكروفي تؤمن اتصاله مع جهاز قراءة الأقراص، وتدعى هذه اللوحة Interface-Card.

٣ - جهاز طابعة: ويفضل أن يعمل هذا الجهاز بتقنية الليزر أيضاً Laser Printer وذلك لطبع المعلومات المستخرجة من قارئ الأقراص المكتنزة عبر الحاسوب المايكروفي بفاعلية أكبر ومرونة طباعية أفضل.

٤ - أقراص الليزر المكتنزة CD-ROMs: أما الأقراص المكتنزة والتي تمثل ركناً أساسياً للنظام

قام العلماء بقياس درجة وضوح اللقطات على أقراص الليزر مقارنة بالمصغرات الفلمية فخرجوا بنتيجة مذهلة مؤداها أن درجة وضوح المصغرات الليزرية إلى المصغرات الفلمية تصل إلى ثمانية آلاف مرة، كما قاسوها مرة ثانية في علاقتها بوضوح أشرطة الفيديو وكانت النتيجة أيضاً مذهلة إذ تصل إلى أربعة آلاف مرة، وتلك الخاصية هي الأخرى من خصائص الليزر التي لا ينافسها فيها وعاء آخر من أوعية المعلومات الحديثة.

النشر عن طريق الأقراص:

نحن نعرف أن النشر الإلكتروني قد دخل مرحلة متقدمة بفضل التكنولوجيا وأضافت الأقراص المكتنزة بعداً جديداً لذلك فيه، مما دعا أغلب المكتبات البحثية في الدول المتقدمة لأن تتألق قدرأ جيداً من التجهيزات Work Stations لتمكين جمهورها من المستفيدين من متابعة الحركة العلمية حينما أصبحت الأقراص المكتنزة CD-ROMs كمصدر للمعلومات أكثر شيوعاً.

إن نظام إنتاج المعلومات الإلكترونية يقود للتنوع في الأقطار المتقدمة حيث تستخدم الوسائل الإلكترونية لأهداف متباينة بالتقنية المتطورة، ولكن الدول الفقيرة وجدت المعلومات في زيادة مضطربة ويصعب الحصول عليها وهذا راجع لقلة الدعم والخبرة.

إن نظام الأقراص المكتنزة وفر فرصة غالية للدول النامية لحرية الوصول إلى المجلات الضخمة من البيانات عن طريق الحواسيب والبرمجيات الرخيصة. وحول استخدام (الأقراص المكتنزة) لا يوجد هناك أدنى شك بأنها كانت وما تزال وستستمر بقوة تأثيرها في عالم المعلومات بتكنولوجياتها وإقتصادياتها.

ويمكن القول أن الأقراص المكتنزة تعتبر من أعظم التتميات لتزويد الوثائق، فهل هذه حقيقة؟ نعم إنها حقيقة، فمن أجل تقديم خدمات وثائقية أفضل لهدف

٤ - إن استخدام الأقراص المكتنزة في استرجاع المعلومات سهل للغاية كونها تستخدم الحواسيب الشخصية الموزعة في أغلب المكاتب كماديات للعمل.

٥ - كلفة اقتناء واستخدام الأقراص المكتنزة منخفضة نسبياً مقارنة مع كلفة البحث في قواعد البيانات العالمية عن طريق الخط الهاتفي (أو الانترنت) كونها تشمل كلفة استخدام قواعد البيانات وكلفة استخدام الخط الهاتفي ناهيك عن عدد مرات الاستخدام.

٦ - يتصف البحث من خلال منظومات الأقراص المكتنزة بالمحافظة على استراتيجيات البحث بعكس البحث في قواعد البيانات العالمية التي لا يتوفر فيها غطاء أمني لعمليات البحث.

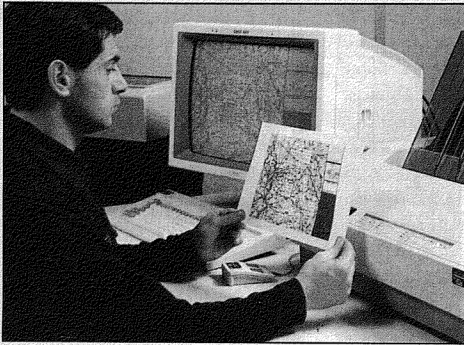
٧ - تتميز بسرعتها وتحملها للغبار والأجسام الغريبة. بمعنى آخر أنها لا تحتاج إلى عناية كبيرة مثل الأشرطة المغنطة أو الوسائل المايكروفلمية أو الأشكال الورقية.

٨ - إن عمر استخدام الأقراص المكتنزة هو أطول بكثير من مثيلاتها عن الأقراص المغناطيسية.

٩ - إن عملية تهيئة البيانات وتحميلها على الأقراص المكتنزة ليست سهلة وتتطلب تقنية عالية (حاليا هذه العملية محصورة في شركات الإنتاج فقط).

١٠ - إن الحصول على المعلومات الحديثة عن طريق الأقراص المكتنزة يمكن أن تكون شهرياً أو أكثر من ذلك في حين يمكن الحصول على المعلومات الحديثة عن طريق قواعد البيانات العالمية باستخدام الخط الهاتفي حال الانتهاء من تحديث القواعد نفسها (أو الاعتماد على الشبكة العنكبوتية العالمية للمعلومات Internet) فمثلاً في قاعدة MC Graw-Hill News-Dialog يتم التحديث فيها كل ١٥ دقيقة.

وحول الوضوح فإن أقراص الليزر المكتنزة تعرض المعلومات المسجلة عليها بدرجة عالية من الوضوح كما لو كانت كتاباً مطبوعاً كاحسن ما تكون الطباعة، وقد



منظومات معلوماتية جيوبوليتيكية حديثة

وبالرغم من أن هذا يختلف من إنتاج إلى آخر إلا أن بعض الأوجه تبدو واضحة.

ب - الفائدة الثانية تكمن في القوة القصوى للنظام، بالرغم من أنه من الصحيح ولو - بصفة عامة - أن قوائم المعلومات المستخدمة تملك نفس المقدرات.

ج - إن غياب وسيط يؤدي إلى منفعتين أولاهما، غياب تكاليف الاتصالات يجعل بمقدور المستفيد الاطلاع كما يشاء على الملف، ثانيتهما: من الممكن استخدام الخاصية الممنوحة لإثارة أسئلة خاصة أو عفوية تصاحبها أحياناً نتائج توافقية.

د - هذه الأنظمة سهلة الاستعمال إذ إنه بمقدورك الجلوس لتحقيق نتائج غالباً ما تكون فورية.

هـ - فائدة إضافية توفرها المكتبات وهي القدرة إما على طباعة أو استخلاص نتائج البحث والتي بالإمكان أن يحول دون ذلك الملل الناتج من نسخ أعمال المراجع، وغيرها.

و - هناك موضوع الحصول العام للمعلومات، وهذا له عدة أوجه، فإن الأقراص المكتنزة متوفرة أصلاً في المكتبة وعلى الأقل خلال ساعات العمل.

أحسن توجد هناك معايير أساسية ينبغي تنفيذها على جزئيات قبل أن يكون النظام مرضياً وتتمثل في:

«الحاجة - المحتويات - الاستعمال - المتاحية - الاتصالات - النظم - الدعم المالي». وهذا يمكن تحقيقه في عالم الأقراص المكتنزة بكل يسر.

ومن بين الأعمال التي حظيت باهتمام نشر أقراص الليزر المكتنزة منذ البداية، خدمات تكثيف واستخلاص النوريات، وكذلك من بين

الأعمال المميزة ما قامت به شركة نمبوس The British Company Nimbus Records

حيث سوقت أول قاعدة بيانات مسموعة مكملة على أقراص الليزر CD-ROMs، محملة (بموسيقى مسجلة، وبيانات مسجلة)، لقد استخدمت شركة NIMBUS الدقيقتين الأولى والثانية لحفظ البيانات ويتكون الباقي من عشرات الفقرات الموسيقية المسجلة التابعة للشركة، وأنه بمتابعة استخدام البرمجيات فإن زبائن التسجيلات الموسيقية يمكنهم البحث عن الفقرات الموسيقية التي تثير إعجابهم، ويمرورهم على مشهد يثير الانتباه، يمكنهم الاستماع إليه بنوعية الأقراص (CD) الجيدة. وبالإضافة لذلك تم وضع قائمة لمحتوى كل قرص، وتشمل قاعدة البيانات على معلومات أخرى مثل عروض النقاد الموسيقيين وصور رقمية لغلاف القرص.

فوائد الأقراص المكتنزة للمستخدمين:

للأقراص المكتنزة عدة فوائد ويمكن حصرها بما يلي:

أ - أول هذه الفوائد يكمن في عرض المعلومات،

المشروعات والتجارب العالمية:

هناك عدة مشروعات وتجارب عالمية في هذا المضمار سنأتي على ذكر بعضها فيما يلي:
أولاً: مشروع أدونيس ADONIS:
بدأت فكرة مشروع أدونيس في عام ١٩٨٠م باتفاق مبدئي بين كل من الشركات:
Elsevier North Holland, ١
2. Pergamon Press.
3. Black - well Scientific Publishers.
4. Springer Verlag.
5. John Wiley and sons.
6. The Academic Press.

علي إمداد إصداره من دورياتهم العلمية الطبية بشكل قابل للقراءة الآلية Machine Readable Form إلى مركز تجمع لطبع أي مقالة في هذه الدوريات لإعادة بين المكتبات أو البحث. هذا من جانب، ومن جانب آخر تحول بعد الطبع إلى اثني عشر موقع اختبار، وغالباً تخدم المكتبات كمراكز لتجهيز الوثائق.
إن مشروع أدونيس للتزويد بالوثائق يقدم كل المقالات المنشورة في (٢٢٤) دورية طبية بيولوجية، وهذه بدأت تنشر حالياً على الأقراص المكتنزة باستخدام تكنولوجيا المعلومات Scanning Tech-nique في نظام يعرف بنظام أدونيس الثنائي (نظام المراجع للمقالات + نظام التزويد بالوثائق)، ويهدف إلى:

- ١ - إيجاد وسائل أسرع لتناول المقالة العلمية.
- ٢ - تقليل التكلفة واقتسامها بين الناشرين والمكتبات.
- ٣ - نشر نقاط تجمع للمشروع في العالم كله، وليس العالم المتقدم فقط لتسهيل التناول.
- ٤ - إنشاء شبكة عالمية للإعارة بين المكتبات للمقالات العلمية.

٥ - تقليل وقت توفير المقالات حيث توفرها قواعد المعلومات العالمية بعد حوالي ٣ - ٦ أسابيع من اعتمادها للنشر. ويتم العمل على النحو التالي:

- تحليل محتوى الدوريات العلمية بشكل بيبليوغرافي فقط، وذلك كل أسبوع في قاعدة المقتنيات الطبية (E.M) بولندا، ويوضع رقم على كل مقالة يمثل الرقم في قاعدة أدونيس (ISSN + رقم سنة المجلة + رقم مسلسل).

- يرسل الكشاف في شكل مقروء للآلة (ASCII FORM) في مكتب فحص الوسائل ببريطانيا حيث تفحص محتويات المقالات.

- توضع المحتويات والكشاف بشكل أسبوعي على قرص رئيسي منتج من قبل شركة فيليبس في هانوفر وتعد نسخ منه للتوزيع على نقاط المشروع في العالم.

- عند استلام هذه النقاط لنسخها تقوم بقراءة الكشاف وتجميعه على كشاف الإحاطة الجارية للمشروع للمقارنة باحتياجات المستفيدين.

- المدة من استلام الدورية المطبوعة حتى إعداد نسخة القرص المكتنز لنقاط التوزيع هي أربعة أسابيع (أسبوع للتكثيف، أسبوع للفحص، وأسبوعان لإنتاج القرص المكتنز).

- كل محتويات الدوريات متاحة عدا الإعلانات.
- سيكون للمشروع عدة محطات منتشرة في أنحاء العالم (تصل كلفة المحطة التالية حوالي ٢٥٠٠٠ ألف دولار).

مستقبل مشروع أدونيس:

وفقاً لمقالة كتبها كورويتز U.Korwitz كان من المقرر أن يتوقف المشروع هذا خلال عام ١٩٨٩، وقد تسأل كورويتز في وقتها هل سيكون هناك برنامج آخر؟ وأشاد في مقالته أن أدونيس يمكنه أن يكون منهجاً لتجهيز الوثائق منافساً لمكتبات العالم التي تقوم بذلك، وسيؤثر بعمق التطورات التكنولوجية:
- مقدمة الحواسيب الشخصية المستعملة الآن

ونسخ التوزيع في الولايات المتحدة، وحُمِلَت تسجيلات مارك عن سنة ١٩٧٩ على أحد القرصين، أما التسجيلات اعتباراً من عام ١٩٧٥ فقد حُمِلَت على القرص الثاني. وأعيد تجميع قاعدة المعلومات من جديد وجرى الإحلال فعلياً مع تجديد وتحديث شهري للمعلومات. ومن خلال التحديث الشهري أعيد إصدار الأقراص فصلياً فقط، أما المشتركون فإنهم تلقوا التجديدات الخاصة بالقرص الثاني فقط للشهور التي واكبت التحديثات الفصلية. وكان هناك قرص ثالث للملفات مارك باللغات الأجنبية وملفات المواد غير المطبوعة (وعنت خطة مكتبة الكونجرس هذه استعمال الأقراص المكتتزة CD-ROMs لتوزيع فهرسها للبيانات). وتم الاسترجاع، وفق هذا النظام عن طريق رقم بطاقة مكتبة الكونجرس أو الرقم الدولي الموحد للكتاب أو الدورية، وكذلك بعنوان العمل، أو الكلمات الدالة فيه، وأيضاً عن طريق المؤلف: العنوان. وفي الحالة الأخيرة كان النظام المستخدم يسمح بثمانية حروف من الاسم الأخير للمؤلف، والحرف الأول من اسمه الأول وحتى (٣٠) حرفاً أساساً من حقل العنوان.

مشروع مارك المتوسط :

MINI MARK

قامت شركة LIBRARY SYSTEMS & SERVICES INC. بمشروعها المسمى فهرس مارك المتوسط (Mini Mark Cet) الذي أتاح استرجاع معلومات محملة على قرص ليزر ١٢ بوصة. حيث تم إنتاج القرص الأم ونسخ التوزيع في مصانع (3M)، وضم القرصان معا ٢ مليون تسجيلة من مارك مكتبة الكونجرس للكتب والروايات بلغات مختلفة. كان القرص الأول يشتمل على ١٥ مليون تسجيلة (مدخل) مارك بعدد من الصفحات يصل الى ٢٩٠٠ صفحة، أما الثاني فكان يضم نحو ٦٠٠٠٠٠ مدخل مارك بعدد من الصفحات ٢٧٠٠٠٠+١٧٠٠٠٠ وكشاف للمعلومات.

سوف لن تلائم متطلبات المستقبل مع عدادات السرعة (MH232) أو أكثر.

- التحسينات في البرامج الإلكترونية من أجل التعجيل بالبحث وطبع الإجراءات المتضمنة لمهام ووظائف متعددة.

- تطوير تكنولوجيات مستودعات ضخمة جديدة ذات مقدرة هائلة أكثر من الأقراص أو الأسطوانات المركبة (معدلات الضغط الأفضل وحدها سوف لن تكون كافية أو فعالة)، ولا ندري هل يعني هذا ارتداد أدونيس للأقراص ذات الأثني عشر بوصة؟

- شبكة عمل أدونيس: يمكن القول بأن مشروع أدونيس من بين (تسعة مشروعات) حظي بدعم أوروبي كامل منذ بداية الثمانينيات للتخطيط وتشجيع الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات الجديدة، وذلك بعقد الندوات واللقاءات وتقديم الدراسات وتنمية المشروعات والبرامج من أجل استخدام وسائط المعلومات الحديثة كمشروعات مشتركة بين الناشرين والمصنعين من أجل الوصول إلى مواصفات قياسية أوروبية للأقراص المكتتزة، كان من نتائجها نزول الأقراص المكتتزة إلى السوق بدءاً من الأقراص المحملة بالقوائم البيبلوغرافية المستخلصات... إلى الحملة بالنص الكامل كالقواميس والموسوعات... الخ.

هذا على المستوى الأوروبي، أما على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية فهناك العديد من المشروعات من بينها:

مشروع ملف الكتاب:

Bibliufile

قامت شركة The Library Corporation باستخدام Bibliufile Production System قاعدة معلومات قوامها ٤٨ مليون تسجيلة من تسجيلات مارك لمكتبة الكونجرس لكتب وديريات باللغة الانجليزية مختزنة على قرص مكتنز نوع ٢٥ بوصة. وهدف هذا المشروع إلى نشر النسخة الأم

البليوغرافية من الأقراص المكتنزة. وحالياً توجد ثلاثة أصناف من القواعد البليوغرافية وهي متوفرة للبيع في أقراص مرتبة متعددة المواضيع: التعليم، الزراعة، والعلوم، والتكنولوجيا. وكل من هذه المواضيع المرتبة تحتوي على قاعدة معلومات مرجعية، بكل الاتجاهين، الإستشهاد المرجعي الجاري والراجع، والتخصص الموضوعي باختيار مقيم الوثائق من شبكة OCLC الموحد، وكل وحدة من هذه القواعد محدثة وفق أساس قياسي.

مشروع المكتبة الوطنية الطبية الأمريكية:

لمركز ليستر هيل للإتصالات الطبية الحيوية سجل حافل في تطوير تكنولوجيا أقراص الليزر. فبالإضافة إلى إنتاج أقراص ليزر تجاوبي تجريبي لتدريب وإشراك القراء في المكتبة الوطنية الطبية، والعديد من أقراص الليزر التعليمية، فقد قاد المركز عمليات بحث مبكرة في نشر المعلومات الرقمية على أقراص الليزر. كما استطاع استطلاع تكامل هذه الأقراص مع أنظمة استرجاع المعلومات والأنظمة التعليمية الشديدة التعقيد.

لقد قام المركز بتجربة رائدة في إنتاج قرص ليزري تجاوبي لإعلام الزائرين بالمنتجات والخدمات والعاملين والمباني، وأجراء التسهيلات في المكتبة الوطنية صاحبة التآريخ الحافل. وكان من بين الاعتبارات الهامة التي وردت في القرص تفصيل استخدام الكلمات الدالة لاسترجاع المعلومات المسجلة على القرص على افتراض أن معظم الزوار ليس لديهم معلومات مسبقة كافية عن المؤسسة وخدماتها، وكذلك تأسيس النظام بحيث يستخدم أليا (كلية) دون حاجة إلى أدلة أو كتب عمل مساعدة مطبوعة، وكذلك تطوير أجهزة قياسية لتيسير وتصميم الاستفادة من النظام. وقام نفس المركز بأعداد وتطوير قرص ليزري تعليمي في العلاج الطبي والأشعة وتكنولوجيا الأسنان وكلها لاقت نجاحاً ملحوظاً.

وفي الوقت الحاضر فإن آراء المستفيدين في

وتم تحديث القرصين مرتين في الشهر، والقرص الثاني هو الذي يعاد إصداره ويترك الخيار لمستخدمي النظام ليقرروا ما إذا كانوا يريدون التحديث كل أسبوعين أو ينتظرون الدورة الفصلية.

هذا ولقد قدمت الشركة لعملائها من مستخدمي مارك المتوسط قاعدة معلومات إضافية ضمت: تسجيلات مكتب الطب الحكومي في الولايات المتحدة، ومارك مكتبة الكونجرس للأفلام والموسيقى والخرائط. ونظام مارك المتوسط هذا أتاح استرجاع التسجيلات البليوغرافية عن طريق رقم بطاقة مكتبة الكونجرس ومفتاح العنوان: المؤلف، وأتاح النظام طبع البطاقات وملصقات كعوب الكتب حسب الحاجة.

مشروع شبكة المكتبات الغربية

Western Library Network (WLN)

استعملت هذه الشبكة التمويل الذي تلقتته من FRED MEYER CHAUTABLE لتطوير نظام الأقراص المكتنزة الذي اعتمد على معلومات الفهارس الأولية. وعرف هذا الإنتاج بـ (LASER CAT) واشتمل على ثلاثة أقراص محملة بمقدار (٢٠٠٠٠٠٠٠) مليون تسجيل بليوغرافية من مصدر معلومات (WLN) كما هو مستعمل حديثاً في مكتبة الكونجرس.

مشروع

THE OHIO COLLEGE LIBRARY CENTER

إن مشروع مرصد معلومات مكتبات الكليات بأوهايو من أنشط مراصد المعلومات في استخدام تكنولوجيا المعلومات المتطورة. ومن بين أنشطته إدخال نظام الأقراص المكتنزة لاسترجاع المعلومات. إذ أن بحث (CD450) الذي بدأ كمشروع طور إلى حد أن نتائج الأقراص المكتنزة أصبحت في متناول المستفيدين.

إن بحث (CD 450) هو نظام استخدم الحواسيب الصغيرة واعتمد على استرجاع البيانات

٦- أ. د. سالم آل عبد الرحمن: «هرم المعلومات
.. معجزة انسانية خالدة» قيد الإعداد.

المصادر الأجنبية:

١. S.A.M Al-Abdel Rahman: "Information: Unsurpassable Vector" Infor. Yokohatu Inst. Japan-1998. PP.20-31.

2. S.A.M Al-Abdel Rahman : "Nation and glimpse of hope" To be published.

3. S.A.M Al- Abdel Rahman: Riff-raff: Upon humerous change" Un published.

4. Libian Madren "Introducing CD - ROM in a University Library - Problem and Experience" A paper Presented to IFAL General Conference Stoblem: 1990.

5. Martha E. Williams (Editor): "Annual Review of Information Science and Technology" - ASIS - Vol. 1990 PP 341 - 345.

6. Medical Libraries: "Keys to Information Proceeding of the 6th International Congress on Medical Librarianship and the Pre- Congress" Seminar, New Delhim 24- 28, Sept, 1990.

7. Nick Hampshire: "Drive Time Aselection of some of Today's Moreintriguing CD-ROM disks including one about cows", personal computer world, may 1990 PP 220 - 223.

8. Niels Mark. "CD-ROM" Program and Projects Supported by the Commission of the European Community (CEC)", A paper Presented to IFAL General conference Stockholm: 1990.

9. Pamela Q.J. "Optical Disc Applications in libraries" library Trenda, Vol. 37, No. 3, 1989 PP 326-342.

الدول النائية حول الأقراص المكتتزة المحملة بقواعد المعلومات الطبية غير المتوفرة طالما أن تكنولوجيا المعلومات هذه جديدة عليهم. وعليه فالرودود الإيجابية للمستفيدين لقواعد المعلومات الطبية على الأقراص المكتتزة أتت من الدول المتقدمة. ولعلنا ننقل هنا نتيجة إحدى الدراسات التي استمرت ٦ أشهر، في مكتبة UCAL الطبية في الولايات المتحدة الأمريكية من Cambridg Scientific Abstrates لحركة المعلومات الطبية. حيث أثبتت بأن ٨٣٪ من الإجابات أقرت بسهولة تعليم النظام، وسهولة استخدامه، و١٣٪ منهم وجدوا صعوبة في استخدامه، وخارج هؤلاء ٦٥٪ لم يستخدموا قط البحث بالحاسب من قبل، و٣٣٪ لديهم خبرة بالبحث على الخط المباشر. ووفقاً لرضى المستفيدين فإن ٥٠٪ منهم شعروا برضاهم ببحوثهم، و٣٠٪ عبروا عن عدم رضاهم. إنه من المدهش حقاً ملاحظة أن ٨٥٪ من هؤلاء غير الراضين استمروا في قولهم بأنهم سيستخدمون النظام ثانية، و٦٣٪ منهم ذهبوا إلى الاقتراح بأن المكتبة ينبغي أن تتزود به.

المصادر العربية:

١- أ. د. سالم آل عبد الرحمن: «تكنولوجيا المعلومات: آفاق لمستقبل واعد»، عمان ١٩٩٧.

٢- شوقي سالم: «تقنية الأقراص الضوئية المضغوطة CD-ROM» المجلة العربية للمعلومات ع ١٠، ١٩٨٩ ص ٥ - ٢٩.

٣- عامر إبراهيم قنديلجي: «استخدام أقراص الليزر المكتتزة CD-ROMs في التعامل مع مستخلصات علوم المكتبات LIAS - وقائع بحوث المؤتمر العلمي الثامن للمعلومات، بغداد ١٩٩٠ - ١٩٨٩/١٢/٢١، ص ١٢٠ - ١٣١.

٤- فريال الفريح: «خدمات المعلومات المتطورة في ظل النظام الآلي المتكامل»، التوثيق الإعلامي مع ٨، ع ١، ١٩٨٩، ص ٥٧ - ٧١.

٥- أ. د. سالم آل عبد الرحمن: «قبضة المعلومات الدينامية» وقائع وآمال» قيد النشر.



تاريخ إصداره

اسم الكتاب

شعبان ورمضان ١٤٠٤هـ	الفن
شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ	الأمن والأمان
ربيع الأول والثاني ١٤٠٦هـ	الهجرة، اللغة، التراث، الحضارة
شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ	الثقافة العربية
ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٧هـ	الدعوة والدعاة
رمضان وشوال ١٤٠٧هـ	الأثر والآثار
ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٨هـ	المبادئ البناء والدعوى الهداية
رمضان وشوال ١٤٠٨هـ	العادات والتقاليد
ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٤٠٩هـ	مناهل الإشعاع الإسلامي
رمضان وشوال ١٤٠٩هـ	الاستشراف والمستشرقون
ربيع الأول والثاني ١٤١٠هـ	مكة المكرمة .. المقام والآرتال
شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ	الأبداع والمبدعون
ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٤١١هـ	الحديث النبوي والقدسي .. رواية ودراسة
ربيع الأول والثاني ١٤١٢هـ	القرآن الكريم .. الهدى والأعجاز
شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ	الهجرة الفكرية والتصديق الحضاري
ربيع الأول والثاني ١٤١٣هـ	المدينة المنورة .. دار الهجرة ومآزر الإيمان
شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ	اللغة العربية .. آفاق مستقبلية
ربيع الأول والثاني ١٤١٤هـ	القدس .. عروس المذاهب
جمادى أول وجمادى ثان ١٤١٥هـ	الحجرات والمدنية الإسلامية .. معطاء ومدلول
شوال والقعدة ١٤١٦هـ	النقد والنقاد
شوال والقعدة ١٤١٧هـ	الجغرافية والجغرافيون
شوال والقعدة ١٤١٩هـ	المملكة العربية السعودية في مرآة المنهل
شوال والقعدة ١٤٢٠هـ	الأسرة والمجتمع
شوال والقعدة ١٤٢١هـ	التراث المصوري في الحضارة الإسلامية

الإصدارات السنوية الخاصة

« متوفرة لمن يرغب في اقتنائها » - الاتصال : ٦٤٣٢١٢٤ العلاقات العامة (جدة)

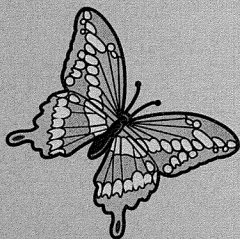
ماذا

بعد الانفصال ؟!!

الخوارزمي في
دهاليز ميكروسكوف

الهجرة
عنق الزجاجة

أوراق
زوجية



مسألة شعرية
ذات آراء متخالفين
تخاطب عنق المرأة
ووجع النعناع

لغة

هنا



ماذا بعد الانفصال؟!!

وكل احترام للقيم وكل تطبيق سلس وعفوي للشعر والأخلاق كعوامل وثوابت تتركز عليها بيوت حديثة النشأة تتطلع الى كل عنصر وكل سبيل لحمايتها من الأعاصير والمشاكل الإنسانية الواردة والمتوقعة وبشكل واقعي في أي منزل وبين أي اثنين يجمعهما رباط مقدس وتحدد علاقتهما معاً قوانين وتوجيهات... وإرشادات علاجية متحملة اذا ما اعترى هذا البناء الضعف ونخرت الأوجاع كيانه وصلابته، ولا نزال نغرس في نفوس بناتنا العزيزات أهمية أن تحافظ المرأة على منزلها وتسعى جاهدة ومجاهدة في رباط لا يلقى لها سلاح في سبيل أن تدوم هذه الامتيازات وتستمر هذه المكاسب وحتى لا يهدم البناء ولا يتفرق الشمل ويشقى الأحباء..

ونظراً كمأهات نمد بناتنا بالنصح وبمقايير تناسب كل حالة وتتلاءم مع كل معضلة تواجه الفتاة في حياتها الزوجية وتهدد ارتباطها بزوجها، وتظل كذلك بكل حرص وأصرار خوفاً من ذلك المسير الذي يتهدد الفتاة اذا ما تحدثتها المشاكل وغلبتها المصاعب..

الانفصال - الرغبة في فصح العرى... حل المواثيق والعهود... والتنازل بكل اقتناع عن مكاسب الأمس وحلم الماضي ذلك الحلم الجميل... الذي نتنازل عنه حينما تقايضنا السليبيات بالكرامة والكبرياء!

ذلك الحلم ينتهي ويتبدد... ونسعى في حالات كثيرة الى واد؛ عندما تختلط المفاهيم وتكثر التحديات وتستقر المشاعر... وتصبح الفتاة أو الزوجة على جرف الهاوية، هذه الهاوية قد تكون اقصى من المعاناة وأعمق من الهزيمة ولكن لا خيار... لا أمل... لا بصيص ضوء... في هذا الجو الحالك بظلمات القسوة... وجور الظلم.

عندما لا خيار للنفس الحزينة سوى ركوب الصعب ومواجهة الأعاصير...

هذه هي المرحلة التي أريد الوصول الى أن نتطرق اليها ونستشف لها بعض الحلول ونحاول أن نلقي للغريق في خضمها الهادر طوق نجاة يسعفه ينتشله الى بر

الزواج السعيد يظل أمنية غالية في اعماق كل أم يغذيها ضرور الأعوام فتستمر مع نمو الأبناء والبنات ويتزامن مع مراحل تدرجهم من الطفولة الى الشباب... تظل هذه الأمنية وذاك الحلم رجاء نتضرع الى الله تعالى أن نسعد به واقعاً ملموساً ملؤه السعادة والطمأنينة - ونظل نحلم به دون ملل وبمباشرة تمدها بها مشاعر الأمومة في قلوبنا وعمق محبتنا لأبنائنا أو بوجه خاص جداً مع عمق المحبة والقلق على بناتنا اليافعات..

لا تزال كل أم تبتئس حلمها الرائع وامنيتهما الغالية: أن تراها عروساً سعيدة في مملكتها الآمنة تظللها رعاية زوج كريم ورجل كفؤ تثقل إليه الأمانة بكل الثقة وتضطر في بيته الحماية والاحتواء والمحبة..

وقد لا نفاجأ بالاستتكار يغلفه الخجل من بناتنا حينما نلح عليهن بهذه الرغبة أو هذا الأمل... فنقبل طائعات تجاهل هذا الموضوع الى وقت آخر أو مناسبة سعيدة عند الآخرين توفر لآمالنا فرصة أخرى للتعبير الذي قد يتدرج ويتطور الى النجاح... وإعلان يغلفه الحزم بوجوب التفكير في هذا الأمل الذي لا يخالف واقعاً مألوفاً كونه سنة الله تعالى في خلقه، وهو أيضاً الوضع الطبيعي لاستثمار العمر والشباب والامتثال للقانون الإلهي لإعمار الكون على مر الزمن..

فالزواج ليس بحد ذاته هو الهدف إلا اذا تكاملت عناصره لتحقيق ما هو أهم وأعمق كنتيجة تالية له ونكتظام اجتماعي شرعي لا يبدل عنه للعلاقة الشريفة بين الرجل والمرأة.

زواج مستقر تحويه المشاعر الكريمة والأحاسيس الدافئة، تواجه صقيع التقلبات الأسرية... زواج يضمن بشكل معتدل ومعتدل الأمن والسكينة للزوجين، وتستقر مشاعرنا أمناً وطمأنينة، وقد غدت الفتاة الغضة والعروس الجميلة والابنة العزيزة جوهرة تصان عزاً واحتراماً محاطة بسياج الحماية والرعاية..

انها غاية عظيمة وأمل غال نسعى لتوفير كل أسباب نجاحه منذ تربية الأبناء ونحن نغرس فيهم كل خلق كريم



وغموض المصير وقد خلا الغمد من سيف الدفاع والمقاومة وختل الكنانة من سهام تنتصر على الهزيمة والإحباط لشتى الظروف وشتى الأسباب.. الكثيرون يعاودن الكرة ويقدمون على ممارسة التجربة من جديد وإشهار سلاح العلم والعمل لصون الكرامة ولكن الكثيرون أيضاً لا يملكون إلا القليل أو من معدمات الحيلة لكل أسباب الدفاع والمواجهة فتمترسهن الأحداث وتتلأ منهن الأيام.. وتذوي منهن الآمال!

لهؤلاء البائسات:

أتوحي أن نوفر العمل الشريف والجو الملائم الذي يحتويه ويحميه ويمدهن بأشباب مادية محسوسة للاعتماد بعد الله تعالى على أنفسهن للعيش من جديد بصورة أوفر كرامة وأكرم رفقاً من اللجوء الى قريب يشعر بثقل استضافة لا نهاية لها لمرأة محطمة معدمة بالإضافة الى أطفال هم الدروع البشرية التي تتلقى نتائج فشل الزوجين عند وقوع المواجهة بينهما وبالتالي هم الذين يشكلون على ضعفهم اضعف الرعايا من خلال مأسى المطلقات مهما تكن أسباب فشلهن في الحياة الزوجية أو الأرامل وصعوبة مواجهة الحياة بدون رجل ولا مادة ولا مأوى.

من خلال ذلك.. يجب أن نبحث لهن عن حل بالعمل الكريم في المجال المناسب أو إعانة لمن لا تقدر على العمل، العمل المناسب في المجال المناسب ينشأ لهذا الغرض تتولاه الحكومة الرشيدة بأي شكل يفيد البلد ويعمل على حماية هؤلاء النسوة البائسات.. أو يتولاه القطاع الخاص بمشاريع مدروسة وأفكار مثمرة تعود بالخير العميم المتبادل لمصلحة الطرفين.. كي نرحم هؤلاء الأخوات ونصون كرامتهن وأعراضهن.

ونعطي الأمل لهن مع الخبر لإعادة النفوس واستعادة الثقة في الغد.. فالعمل الكريم.. الملائم.. المدروس المتوفر.. يهيئ لكل بانسة فقدت الأمل.. أو حتى رفضت هذا الدفء المزيّف في حياتها الزوجية اذا ما كان الثمن هو كرامتها وكبرياؤها.. أو التذكير بضعفها.. واستمرار اذلالها من أي رجل كان.. الزوج أو الاخ أو القريب!



الأمان الذي يوفر له بعد ذلك النهوض ونفض غبار الفشل عن النفس التكلي بالهزيمة المتقرحة بالخيبة ليبدأ من جديد.. تحت رعاية أكثر مسؤولية وأعظم نفعاً وأكثر خيراً وأخلص بذلاً في توفير الفرص لبناء النفوس من جديد.. والإعانة الكفوى التي تأخذ باليدى الى جنان وأرفة من الطمأنينة واستثمار العزيمة وإكمال المسيرة والانسجام مع الواقع بشكل أكثر كرامة وأعمق فائدة.

ثم ماذا بعد تبديد الحلم؟.. ماذا بعد ذبول المشاعر وانتهاء الحفل واستهلاك المجاملات السلوكية الزائفة؟.. ماذا بعد استنفاد المقاومة؟ ماذا بعد؟

الصبر على اذلال الزوج وامتهان الكرامة ويتجاهل المشاعر من أجل الأولاد والضبياع والمصير المضطرب الذي ينتظر الأولاد والزوجة؟..

الصبر الموجه تحت حيثيات أخرى تتنوع بتنوع الظروف واختلاف الأسباب؟ أم العودة الى المنزل القديم حيث مشاعر الأبوين ثرية العواطف ثابتة المحبة نزيهة من كل غرض أو دافع؟

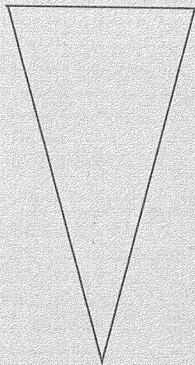
ما أجمل مشاعر الوالدين.. انها الأصدق والأكرم في هذه الحياة تحت كل الظروف، دافئة دائماً ومعطاة دائماً اذا دام الوالدان ولازالت تعطر سماء الدنيا أنفاسها الزكية الحانية..

ما أجمل أن تجد عندهما النفس الحزينة المهزومة الأمان والسلوان والاحتواء.. والسكينة..

أم العودة المدممة الى منزل يائس يشكو فراقهما وينعى رحيل الحنان والحب.. الى حيث الدار الآخرة؟.. ماذا بعد؟

قد يكون الضياع مصير النفس الحائرة.. حيث تتخبط الخطوات.. وتزعج الإرادة.. وتضيق الحلول.. وتدفع النفس الحائرة الى مزيد من الضياع.. والتنازلات كم من دافع يائس اضطرت الكثييرات عنده الى القبول بالدرك الأسفل من العيش في سبيل مواجهة الحياة

الخوارزمي في دهاليز ميكروسوفت



محمد بن موسى الخوارزمي، رياضي عربي، أول من وضع قواعد الحساب الجبري... هكذا تعرفه موسوعات أعلام الفكر.

الخوارزمية لفظ مشتق من اسم الخوارزمي يدل على طرق الحساب بالأرقام، وهو يعني الآن مجموعة من الرموز وطرق الحساب العادي أو المنطقي، هكذا يعرف المصطلح علمياً، وتستخدم الخوارزمية Algorithm (بالانجليزية) و Algorithmme (بالفرنسية) في لغة الكمبيوتر للدلالة على منهاج البرمجة.

وفي كتابه الرائع The Road Ahead يقول BILL Gates: «... ومن أجل تعظيم قيمة العملية الإعلانية، سيتطلب الأمر خوارزميات معقدة» [١] لابد إذن من تشغيل خوارزميات معقدة من أجل جعل الكمبيوتر أكثر كفاءة وفعالية. هكذا يقول مدير ميكروسوفت التي تعتبر إحدى أكبر الشركات المتخصصة في برمجيات الكمبيوتر في العالم.

إن الخورزميات التي يفكر «بيل جيتس» في تطويرها بمساعدة الفريق العامل معه، ستفتح أفاقاً ليس لشركة ميكروسوفت فحسب، ولكن أفاقاً جديدة مذهلة في عالم الاتصال، في عصر الانترنت هذا.

هكذا يصبح الخوارزمي العربي في خدمة شركة ميكروسوفت، وغيرها، تصبح الخوارزمية Algorithmme، هكذا يتشوه الاسم حتى يسهل على التكنولوجيين هناك نطقه، وحتى لا يشعر الخوارزمي نفسه بالغربة والاعتراب في دهااليز ميكروسوفت. لا ننسى أيضاً الشيخ الرئيس ابن سينا الذي أصبح Avicenne وابن رشد Averoe's.

وبغض النظر عن فرضية «فوكوياما» التي ترى أن الظروف الحالية التي تمر بها الشعوب لا خيار آخر لها إلا الديمقراطية الليبرالية، علينا نحن المسلمين أن نسأل أنفسنا، وبكل جرأة: ماذا فعلنا لتخلص من هذا الاحتواء الحضاري؟ وأين نحن من عصر Bill Gates، عصر الطريق السريع للمعلومات؟ ولماذا لم تستطع عبقرية الخوارزمي إنشاء ميكروسوفت في ربوعنا؟ لماذا لم تستطع فلسفة ابن رشد العقلانية أن تحرر عقولنا من أمبريالية الخرافة، من هيمنة هذه الذات التي ما تزال تشرب نخب أمجادها الماضية وهي على عتبة الألفية الثالثة؟

ولماذا قدرات هذه الذات في تضائل مستمر (والدليل على ذلك المشهد الفلسفي، والفكري الشاحب السائد اليوم).



وأجيب: إن القوة المهيمنة في عصر المعلومات هي فعلا الولايات المتحدة، والدول الكبرى المصنعة، والأيديولوجية المهيمنة هي أيضا إيديولوجية من يملك المعلومات، وما نحن في هذه البيئة الكونية المفروضة علينا، إلا مجرد مستهلكين نهمين «الماكودنالد» في شوارعنا، وقراء ساذجين لـ «صدام الحضارات» و«نهاية التاريخ» في جامعاتنا. ذلك ليس لأن الولايات المتحدة أو الغرب بصفة عامة هو الأقوى، لكن لأننا نحن الأضعف. إننا أبنائنا أن نعيش في الخطر كما يقول نيتشه. رفضنا أن نعترف بهزائنا، أغرقنا في البحر من قال لنا: يا قوم، إنكم تائهون في مستنقع! دفننا أفكارنا حين رفضنا تعديلها مع الحقائق المتغيرة التي نعيشها، استسلمنا لاستبداد التراث حين واستبدلناه بنموذج حداثي مشوه حين آخر، وهذا كله صنع منا ذاتا «قابلة للاستعمار» بلغة المفكر الجزائري مالك بن نبي.

هل أدركتم الآن لماذا صار Bill Gates سيدا والخوارزمي العظيم مجرد خادم في دهايز ميكروسوفت؟

الهوامش:

(١) The Read Ahead كتاب ألفه BILL GATES بمساعدة NATHAN MYH و PETER RINEARSON و ROOLD.

ترجمة الأستاذ عبد السلام رضوان. صدر عن «عالم المعرفة» بالكويت تحت عنوان: المعلوماتية بعد الانترنت (طريق المستقبل).

(٢) ترجم المقال الأستاذ أحمد خضر ونشر بمجلة «الثقافة العالمية» العدد ٨٥ نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٧م.

ولماذا الآخر في تطور مستمر؟

أسئلة جريئة بإمكانها أن تعيدنا إلى نقطة المركز الذي نتأخرا بعيدا عنه ورحنا نبحت عن الأسباب الجاهزة المعروفة، فنحن مولعون بتبرير هزائنا على كل الأصعدة بل إننا على استعداد لتبني النظرية الفكرية التي مفادها أن نجما أطلق عليه اسم -Nem esis تسبب في انقراض مجموعة من الحيوانات، منها الدينصورات، هذا النجم يسمى أيضا نجم الموت Death Star، فإذا حدث أن انقرضنا، فالسبب «نجم الموت» هذا الذي عاد إلى نشاطه لا غير!

يقول أستاذ العلاقات الدولية في جامعة كولومبيا David Rothkopf في مقال له بعنوان: In Praise of Cultural Imperialism.

«إن الفرصة أمامنا نحن الأمريكيين، فالولايات المتحدة في مركز يسمح لها ليس فقط بالقيادة في القرن الواحد والعشرين بوصفها القوة (المهيمنة) في عصر المعلومات، بل أيضا بالقيام بذلك من خلال تحطيم العوائق التي تقسم الأمم والجماعات داخل كل أمة» [٢].

ويضيف أيضا «إن هذا التمسك بالجدة -New ness هو الذي وضع الولايات المتحدة في المركز الأمثل للتعامل مع عالم أصبحت فيه سرعة التغيير هو التحدي الاستراتيجي الأكبر».

وها أنا أسمع القراء يقولون لي ولكن ألا يدخل هذا الكلام في إطار ذلك الخطاب التبيري الكلاسيكي المعروف الذي يجعل الآخر المهيمن هو دائما سبب مأسيتنا؟



الفنانه التشكيلية المغربية شديدة أبو السك

لمجلة (المنهل)

المنهل

١٤٨

من الجنوب المغربي ، حيث الطبيعة وتضاريسها تتناغم في لسة فنية، انطلقت الفنانة شديدة أبو السك وهي تحمل فرشاتها في رحلتها المبكرة والطويلة مع الرسم، لوحاتها تنبض بالحياة وتلتصق بالبيئة، وفي نفس الوقت تنفتح على كل الأبعاد الإنسانية الكبرى، في هذا الحوار القصير محاولة للاقترب من عالم هذه الفنانة المتميز.

* متى كانت بدايتك مع الفن التشكيلي؟

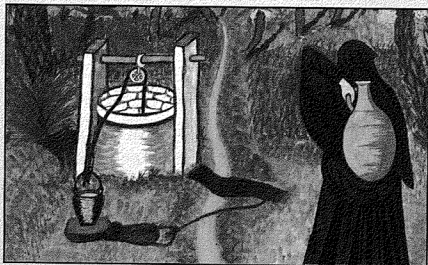
** أعتقد أن بداية أي فنان في أي مجال من مجالات الفن، تبدأ أولاً في لحظة اكتشاف الموهبة والميل الفني لديه، مما يتيح له البحث عن الوسائل التي تمكنه من ترجمة هذا الميل وإخراجه إلى الوجود، لقد كانت بدايتي في مرحلة مبكرة من حياتي، وتحديدًا منذ السادسة من عمري، عندما أمسكت بالقلم والورقة لأحاول رسم ما تقع عليه عيني من أشياء وموجودات بأشكال بسيطة وتلقائية، قبل أن يصبح الفن هو المرأة التي من خلالها أرى نفسي وأكشف دواخلها وكيوناتها.

* ما هي المؤثرات والعوامل البيئية أو الثقافية التي أثرت في ميولك الفني في البداية؟

** أعتقد أن بداية أي فنان في أي مجال من مجالات الفن، تبدأ أولاً في لحظة اكتشاف الموهبة والميل الفني لديه، مما يتيح له البحث عن الوسائل التي تمكنه من ترجمة هذا الميل وإخراجه إلى الوجود، لقد كانت بدايتي في مرحلة مبكرة من حياتي، وتحديدًا منذ السادسة من عمري، عندما أمسكت بالقلم والورقة لأحاول رسم ما تقع عليه عيني من أشياء وموجودات بأشكال بسيطة وتلقائية، قبل أن يصبح الفن هو المرأة التي من خلالها أرى نفسي وأكشف دواخلها وكيوناتها.

* ما هي المؤثرات والعوامل البيئية أو الثقافية التي أثرت في ميولك الفني في البداية؟

** يصعب تحديد العوامل والمؤثرات في تلك السن المبكرة التي ينشأ فيها الميل الفني، لكن البيئة لها دور كبير في توجيه الفنان ورسم آفاقه الفنية.





أجرى الحوار : أديس الكتوري - الرباط

طريقة التواصل مع الآخرين ومع المتلقي، ورغم أن المرأة لها قضاياها الخاصة التي تختلف عن قضايا الرجل بفعل العامل الاجتماعي، إلا أن الأهم هو الكيفية التي تتحدد بها مكونات العمل الفني، وتنسجم فيها الرؤية الفنية الأصلية المترابطة في نسج واحد متلاحم ومتناسق لكي يصيب الفنان الهدف الذي يتوخاه في نفسية المشاهد للوحة.

*** نلاحظ أن لوحاتك الفنية يحضر فيها التراث المغربي كالآزياء مثلاً، إلى ماذا تريد ذلك؟ وهل يشكل التراث بالنسبة للفنان منبعاً للإبداع؟**

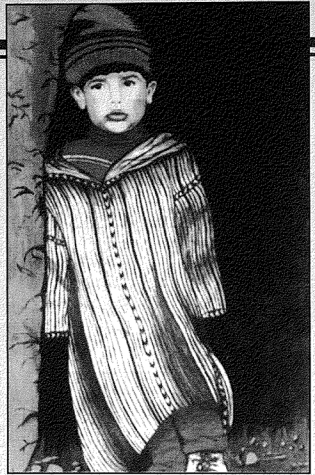
****** أعتبر التراث جزءاً مني، فبحكم نشأتي في منطقة الجنوب المغربي التي هي منطقة زاخرة بالتراث ومجال خصب وغني لكل فنان، ظل هذا التراث جزءاً من لوحاتي، فالفنان ابن بيئته يتفاعل معها ويتأثر بها، لكن لوحاتي أيضاً لها ارتباط وثيق بالتراث العربي الإسلامي عامة وليس بالتراث المحلي فقط.

*** تركيزين في لوحاتك على المرأة، سواء المرأة القروية أو المرأة الحضرية، ما سبب ذلك؟**

****** رمز المرأة يوحي لي بعدة معان: الضعف، المعاناة، القيود، التضحية... وكذلك الحرية، السلام، الرقة، اللبونة... إلى غير ذلك من المعاني المعبرة. فهي من أهم مصادر الإلهام التي أسقط من خلالها تلك المعاني وأستطيع أن أعكس عليها لوقي الفني وابداعاتي.

*** بالنسبة إليك، ما هي الرسالة التي تريد أن ابلاغها في فنك ولوحاتك؟**

****** أنا كفنانة أستطيع أن استمتع بالابداع الفني وأرغب في أن تجد لوحاتي صدقاً في عقل الواقع امامها، تؤثر في وجدانه وجوارحه، وتعتبر عن القضايا التي تهمة وتشغله، وترك أثراً في نفسه وهو يتأملها. فهذه هي الرسالة التي أعمل على ابلاغها في فني ولوحاتي، وإلا فإنني سأعتبر عملي ليس وسيلة تواصل وتعبير مع الآخر... بل هو عمل لا يتجاوز شخصي، وبالتالي فهو بدون جدوى.



فالتأثير الأسري مثلاً له دور كبير، وقد وجدت في أسرتي ما حفزني على الاستمرار في هذا المجال.

*** يبدو من لوحاتك أنك غير مرتبطة بمدرسة فنية محددة، هل هذا يعني أنك تجد حرة أوسع في عدم التقيد بتيار واحد؟**

****** هذا صحيح، فأنا أحاول أن أصوغ أعمالاً بشكل تلقائي ودون التقيد بأي مدرسة فنية معينة، لأن ذلك في رأيي يخلق الإبداع ويحول دون الابتكار والبحث عن أفاق جديدة، بل ينبغي أن تكون لي رؤيتي الخاصة التي أعبر عنها وأعبر بها عن أحاسيسي انطلاقاً من تجربتي الذاتية، ففي لوحاتي أحاول أن أعكس تعدد مصادر الإلهام التي استقي منها عملي، كما أريد أن أشير إلى أن أقدم وأكبر مشاهير الفنانين التشكيليين لم تكن لديهم آنذاك مدارس فنية يقتبسون منها أو يتقيدون بها.

*** كفنانة تشكيلية، هل يمكن القول أن المرأة الفنانة لها قضاياها الخاصة التي تعبر عنها، وبالتالي يمكن الحديث عن فن تشكيلي نسائي؟**

****** الفن رسالة، ووسيلة للتواصل مع الناس، والفرق في رأيي بين الرجل والمرأة في هذا المجال، يتجلى في

العبدية

انعام لطفي القدومي - دمشق

(جمع محتشد ينتظر ويمر أعرابي فيسال)

الأعرابي:

ما بال الناس قد احتشدوا

هل هذا عرس أم عيد؟

بلال:

بل هذا جمعٌ منتظرٌ

والقادمُ فذُّ مجدود

خيرُ الأكوان أبو الزهراء

إمامُ الرسل المحمود

من جاء يحضر من كفر

فإلهُ الربِّ المعبود

مما للأصنام وللوثان

قرايين أو تأييد

فالفكر تحرر من شرك

وتحرر من غُلٍّ جيد

والناس سواسية أضحو

من آدم كل مـولود

الأعرابي:

يا صاح اشتقت لقائكم

فحديثك عذبٌ مورود

هل أنت معاونه قل لي

أما أنت وزير محسود

بلال:

لا لست وزيراً لكني

عبدٌ حبشي مصفود

نجاني ديني من قيدي

فكأنني الساعة موجود

إنا إخوان في دين

ما ثمة بيض أو سود

أسلمت لربي ناصيتي

منهُ الحُسنى وله الجود

الخلق جميعاً قبضته

وهو العبود المقصود

الأعرابي:

هل هذا القادم ذو عرش

حققت بالعرش صناديد؟

بلال:

يا صاح القادم مفرشه

جلد والليف المنضود

والثوب البالي يرقعه

والقمح طعام مفقود

والشاة بدار يحلبها

والبردة صوف مسرود

لا توقد في بيت نار

فالتمر طعام موجود

أدم نعللاه بلا دبغ

فالصوف عليه مشهود

برئونا يركب أو بغلا

فالخيل منال منشود

الأعرابي:

هل هذا مالك؟

بلال:

..... بل هذا

بشر والدعوة توحيد

فرسالته أسمى نهج

وبها قد بشر تلمود

نسخت إنجيلا تورا

فهي القرآن المورود

إن القرآن هو الباقي

فالخلد له والتأييد

ومحمد آخر مبعوث

وشفيع الحشر الموعود

والحوض له ولأمته

ومقام محمد محمود

الأعرابي:

أمنت بخالقنا رباً

فله النعمى والتفريد

ويأحمد آخر مبعوث

فله حُبِّي والتأييد

بلال:

الساعة صرنا إخواناً

في الدين ففرحتنا عيد



عنق الزجاجة

نذ احمد صدوق صافي - الكويت

حيران تبعدني ر في فرق
مصروف في سجن القلق [*]
تمضي الايام على م هل
والصم ب رينانغ في نزق
فكر م ش ف ول بالارقام
وبالدرجات .. وبالسابق
سنة ك الدهر تمر به
إن مرت خي رأ يستبق
وأمانني الدنيا، إن ع صفت
ريح عاكسة ، تحت رق
سنة يقضي هافي هم
في س ه د .. في نوم أرق
يلتهم الصفحات السودا
في نهم ضار للوق
بقات القلب مصعدة
من غده الغائم في الأفق
هل يحظى بالمطر المنشود
ج زاء التعب والعرق
عنق القارورة تحشره
ف م تى ينطلق من العنق؟!

[*] المقصود: طالب الثانوية العامة.

وشمة سؤال .. لماذا لا يطول لسانك وتتطاولين ..
وتتجاوزين .. إلا عند أهلك!!

١١٢٤. أم عمرو:

الزوجة التي تنتظر لتفجر غضبها عند أهلها زوجة
تشعر بالغيرة والوحدة في بيتها ولا تجد من يفهمها أو
يسمعها أو يتعاطف معها .

١١٢٥. أبو عواد:

ينبغي أن يكون مفهومك للاحترام من منظار
أوسع .. فلا يكفي يا سيدتي أن تقومين بواجبك
كاملا .. وتبين لي كل الولاء والطاعة!! فهذه كلها
تتحول الى سراب .. بهذه المقابلة الفاترة لـ «خالتي»!!!

١١٢٥. أم عمرو:

الزوجة التي تبدي الولاء والطاعة والخضوع
والإنكسار للزوج المغوار لا تملك حرية الإرادة ولا
اتخاذ القرار. اذا طلبنا من الإنسان ان يتصرف
بصورة صحيحة في المواقف المختلفة علينا ان نعطي
الفرصة ليكون انساناً قادراً على الاختيار والتمييز
وهذه ليست واحدة من صفات العبيد .

١١٢٦. أبو عواد:

تتساعل عن حرب النجوم .. ويملكك الضحك
عن هذه الحرب .. وما بيننا حرب كواكب
ومجرات!!

١١٢٦. أم عمرو:

ماذا يحدث لو بحث كل من الزوجين عن فلك يدور
فيه حول الآخر. هذا الشكل سيمنع وجود فرص
المواجهة والشجار .

١١٢٧. أبو عواد:

إنني على استعداد أن أحترم مشاعرك .. وأن

١١٢٣. أبو عواد:

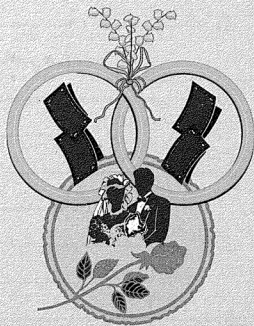
إلى كل حصة .. الى كل حفيذة .. إن المحبة
الزائدة لفلذات أكبادكن واحفادكن وما ينبثق عنها من
توجيهات .. وهمس .. وخطط .. هذا الكحل .. هو
الذي يعمي تلك العيون!!

١١٢٣. أم عمرو:

ارفعوا ايديكم عن الأمهات والجداث من حقهن ان
يحببن بناتهن واحفادهن . ثم ان ما اودعه الله فيهن
من كنوز الحب والرحمة لا يمكن ان يكون إلا خيراً .

١١٢٤. أبو عواد:

قبل ان تندفعي في حكم أهوج .. أو تصرّيح غير
مدروس .. اجيبي على هذا السؤال: لماذا لا تتناز
الأمر بيننا .. إلا بعد كل زيارة لأهلك!!



أوراق زوجية



المجوهرات والحلي التي اشتراها لها ولكن الغالب ان لهذه الجارة بعض الجارات ذوات العيون المستديرة وعليها ان تستعيز بالله كلما رأتهن.

١١٣١. أبو عواد:

نعم .. في حضرة الأهل .. يطيب لي أن اطلب فنجان القهوة من شقيقتي .. وأسأل والدتي عن طبق اليوم .. وأتحول الى طفل صغير .. أطلب من والدي - مصروف اليوم - رغم انني كما تعرفين المعيل (بعد الله) لهذه الأسرة .. وليس من حقه انكار هذا علي .. فهكذا كنت قبل أن يظننا سقف الزوجية.

١١٣١. أم عمرو:

إنصح زوجة هذا الزوج المعيل الذي يتحول الى «عيل» في وجود أبيه وأمه فيطلب من أمه ان تلعمه بيدها ومن ابنيه ان يعطيه المصروف ان تمنحه اجازة يعود فيها ليجلس على «حجر» أمه لتكمل تدليله و«تزفطه» ثم يعود مرة اخرى ليستأنف حياته الزوجية بعد ان يشبع من هذه المعيلة.

١١٣٢. أبو عواد:

أتذكر الأمس بشيء من المراة .. وأهات لا اراديه تنطلق من صدري .. ليس لأن الرأس قارب بياضه أن ينتصف مع سواده .. وليس لأن اللياقة صارت مترهلة .. بل لأنك كسرت الحواجز .. ورفعت التكليف فأصبحت لا تعطيني من الاهتمام كسابق عهدك .. حتى حين أغضب .. لا يتأبك الجزع .. انني اصبحت في هذا المنزل .. مديراً للتسويق .. و .. و .. حتى اكياس النفاية أحملها في جنيح الظلام .. وماذا بعد؟! ..

١١٣٢. أم عمرو:

يقولون في الأمثال «تراعينني قيراط أراعيك قيراطين» ..

أتجاوز بعض الشيء عما يحصل من مشاكل لا دور لك في قيامها .. لكن بشرط أن يكون موقفك خالصاً للحق .. وبدون تحيز ..

١١٢٧. أم عمرو:

الاحترام لا يحتاج محاضرات ولا مقدمات وهو يولد الحب والثقة ويجلب الاحترام من الطرف الآخر ..

١١٢٨. أبو عواد:

العبرة ليست في باقة الاعتذار!! ولا في لائحة الأسف!! فالعبرة يا سيدتي أن نستفيد من أخطائنا .. ونجدول قائمة المشاكل التي حصلت .. ونحرص كل الحرص على عدم تكرارها في الجداول اللاحقة.

١١٢٨. أم عمرو:

الاستفادة من الأخطاء شيء مفيد جداً على أن يكون ذلك لكلا الزوجين وبدون مغالطة من احد ..

١١٢٩. أبو عواد:

ليكن في علمك .. ان الحب شيء ينبع من الداخل .. وأنه لا يأتي إلا طواعية .. وإذا أتى .. ولم تخدمه الظروف .. فانه يوشك ان يفتك بصاحبه!!

١١٢٩. أم عمرو:

من هو صاحب الحب الذي يعطي أو الذي يأخذ؟ عموماً الحب يُعطى ولا يُؤخذ من أحد ..

١١٣٠. أبو عواد:

نعم جارتنا عندها الحلي .. والمجوهرات .. وأرقى ما وصلت إليه موديلات الأزياء .. و .. و .. و .. قولي ماشئت .. لكن لا تنسى أنها «أسبوع في بيت زوجها وشهر في بيت أمها» ..

١١٣٠. أم عمرو:

اعتقد ان مشاكل الجارة مع زوجها ليست بسبب

٤٧٤ نستربعضاً :

حدثني صديقي قائلا:

شيئا فانا أعطيها فوق ما تطلب بكثير، نحن الفقراء يجب أن يستر بعضنا بعضا!

لقد ظنت البائعة أن الخادمة تشتري البرتقال لأولادها، فجعلت تعطيها أكثر من حقها ولم ترد أن تشعرها بما تفعل، كيلا ترحها!

قلت في نفسي حين سمعت هذه القصة! بالله! بائعة فقيرة لا تبلغ ما يقوم بأودها إلا بالك والتعب، تعرف المشتري المسكينة فتتصدق عليها دون أن تحس بفضلها، وترى ذلك واجبا عليها يتكرر كلما حضرت للشراء!

وفي الأغنياء من تمد إليهم الأيدي المسكينة سائلة بعض القوت الضروري، فلا تجد غير الطرد والازدراء! فهل يتعلم الناس؟

كنت أبعث خادمة فقيرة تشتري لي كيلو من البرتقال في أيام مختلفة، حين تأتي الى المنزل للخدمة في الأسبوع مرة، فلاحظت أنها تحضر كمية من البرتقال تزيد نصف كيلو عن المطلوب والتمن واحد!

وتكرر هذا بصورة لافتة فرأيت أن أتبع الأمر، فذهبت إلى بائعة البرتقال وهي امرأة فقيرة أيضا، وقلت لها إن (فلانة) تأخذ منك كمية من البرتقال أكثر من الوزن المطلوب، فقالت البائعة في هدوء: فلاتة امرأة فقيرة، وتربى أطفالا، فإذا اشترت مني

٤٧٥ - عبيد أسود :

كان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من كبار الأثرياء والكرماء في صدر الإسلام، وقد خرج يتفقد ضيعة له بالطائف، فنزل على نخيل قوم، وجلس تحت الظل بحيث لا يراه حارس الزرع، وهو غلام أسود، جلس يتهيا للطعام، وأمامه ثلاثة أرغفة، فدنا منه كلب جعل ينظر إليه، فرمى له رغيفا فأكله الكلب، واستمر ينظر إليه، فرمى له الرغيف الثاني، فإذا الكلب ياكل، وينظر فرمى له الرغيف الثالث، فتعجب عبد الله من عبد يرمى جميع طعامه، ولا ياكل شيئا، فتقدم إليه وقال له: يا غلام، كم قوتك كل يوم؟ فقال ثلاثة أرغفة! قال عبد الله: وماذا ستاكل بعد أن قدمت قوت اليوم إلى هذا الكلب؟ فسكت العبد ولم



شذرات الذهب

المنهل

١٥٤

وطمتها، حتى يأذن الركب بالرحيل فتأخذ المال وترده الى الحزام في وسطها .

واتفق أن رحلنا معجلين ذات صباح، وكانت الجارية نائمة فאיقتظتها للرحلة، فنهضت ونسيت أن تأخذ المال، وفي الطريق تذكرت، فأخبرتني في فزع وخوف، فحار فكرى، وطاش روحي، ولم أدر ما أعمل، ودخلنا مكة المكرمة فحدتني نفسي ببيعتها، فلم يطعني قلبي، فلما رجعنا من الحج، ومررنا بالطريق نفسه، جئت الى المكان وأخذت أبحث عن موضع المال، وأنا أثور بعيني يمينا وشمالا فرأيت غلاما فوق رابية يرمى غنيمات له تقدم إليّ وأنا أكرم ما في نفسي، ولا أريد أن أخبره بشيء، فقال لي: ويحك، ما تطلب؟ قلت: شيئا أودعته هذا المكان ونسيته، فقال: صفه لي، فقلت: كيس أحمر فيه كذا وكذا؟ قال: ومالي فيه إن دلتك عليه، قلت: نصفه، قال فانهمز معي وذهب الى الرابية التي كان يجلس عليها، وقدم لي الكيس تاما لم يفتح، فحمدت الله عز وجل، وأخرجت المال، وقسمته قسمين، وقلت له: اختر أي قسم تريد؟ فقال الغلام أرى المال كثيرا، واكتفي بنصف النصف، فقسمت النصف، وقلت له: اختر، فقال وهذا كثير أيضا واكتفي بنصفه، فقسمت الباقي، وقلت له اختر، فضحك الغلام كالساخر، وقال لي يا عبد الله، أين ذهب عقلك؟ أأتركه كله حراما، وأترك النصف حلالا، ونصف النصف حلالا، ثم أخذ شيئا، هذا والله ما لا يكون، قلت يا غلام: أنت حرّ أم مملوك؟ فقال مملوك لبعض شيوخ الحي، فأسرعت إلى سيده أرجوه أن يبييعني إياه وأعلمته القصة فقال

يتكلم . . فقال عبد الله: أفصح أرشدك الله، فقال العبد يا سيدي إن أرضنا هذه ليست بأرض كلاب، ولابد أن هذا الكلب جاء من أرض بعيدة، وعليه أمارات الجوع فلما أعطيته الطعام جعل ينظر ويتمنى، فلم استطع أن أمنع عنه طعامي جميعه، وهو ذو روح مثلى يجوع ويتمنى الطعام! قال عبد الله: وماذا كنت صانعا اليوم وقد تكرمت بقوتك على الكلب؟ فقال العبد، أقضى اليوم بدون طعام، وقد تعودت ذلك، والله الحمد والفضل، فسأله عبد الله قائلا: أين سيدك؟ فقال هو في مكان كذا، وهذا النخل نخله، والمكان تحت قبضته، وأنا خادمه . . فتوجه عبد الله إلى سيده، واشترى النخل والعبد والمكان جميعا، وأعتق العبد وهوب له كل ما يحرسه، لم يكن يظن العبد حين قدّم طعامه للكلب أن إنسيا ينظر إليه، ولكنه عرف أن الله من فوقه يرى وينظر، وقد كافاه ربه حين ألهم عبد الله بن جعفر أن يصنع ما صنع، وهذا جزاء الدنيا وللآخرة أوفى وأجزل.

٤٧٦. باب قنول :

حدث أحمد بن يوسف الكاتب في كتابه (المكافأة) فقال ممن سماه أبا حبيب المقرئ «ضائق أحوالي فلم تبق لي إلا جارية أحبها، ومنزلا أسكنه فبعت المنزل بألف دينار وخرجت إلى مكة المكرمة بالجارية، وقلت لها احتفظي بهذا المال واجعليه في حزام تشدين عليه وسطك، فكانت إذا نزلت منزلا أثناء الرحلة، حفرت في خيمتها حفيرة، وأودعت المال

٤٧٧ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ :

أتريد أن تعتقه لفعة واحدة فعلها معك، وهو عندي منذ عشرة أعوام، وله كل حين فعلة حسنة لا يقدر عليها الحر، اذهب يا شيخ فإنا أعتقه وأخذ أجره قبل أن تحوز عليه!

قال معن بن زائدة: لما هربت من المنصور، خرجت من باب حرب، بعد أن أقمت في الشمس أياماً، لأسود وجهي فلا يعرفني أحد، وقد حلفت لحياتي وعارضي، ولبست جبة صوف غليظة، وركبت جملاً، وخرجت عليه لأمضي إلى البادية، فتبعني عبد أسود يتقلد سيفاً، حتى إذا غبت عن الحرس ووجدت نفسي خالياً في الطريق تقدم العبد، وهو شديد قوي، ومعه سيفه فقبض على خطام الجمل، فأناخه، وقبض عليّ فقلت له: ما شأنك؟ قال: أنت بغية أمير المؤمنين المنصور، وقد جعل لمن يقدم بك مالا جزيلاً فقلت له: ومن أنا؟ حتى أكون بغية أمير المؤمنين؟ قال أنت معن بن زائدة! قلت: يا هذا، اتق الله! وأين أنا من معن؟ فابتسم ساخراً، وقال: دع هذا عنك، فإنا والله أعرف بك من كل إنسان! فقلت له إن كانت القصة كما تقول، فهذا جوهر حملته معي بأضعاف أضعاف ما بذله المنصور في سبيل القبض عليّ فخذة حالاً ولا تسفك دمي.

قال الأسود: هاته، فأخرجته إليه، فنظر إليه ساعة، وقال: صدقت في قيمته، ولست أقبله حتى أسألك عن شيء، فإن صدقتني أطلقك، قلت: قل ما

بدا لك، فقال إن الناس قد وصفوك بالجوهر والكرم، فأخبرني، هل وهبت جميع مالك؟ قلت: كلا، قال فهل وهبت نصفه؟ قلت: لا، قال هل وهبت ثلثه؟ قلت لا! فجعل يسأل وأنا أقول لا حتى قال: هل وهبت عشره فاستحييت وقلت: أظن أنني فعلت هذا، فقال والله ما ذلك بعظيم، وأنا فقير محتاج، ورزقي عشرون درهماً في الشهر، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار، وقد وهبته لك لتعلم أن في الدنيا من هو أجود منك، مهما اشتهر كرمك في الناس، فلا تعجبك نفسك يا معن، ولتحقر بعد ذلك كل مكربة تأتيها، ولا تتوقف عن فعل الخير فإنه حاميك وراعيك، ثم رمى بالجوهر إليّ وخلى خطام الجمل وانصرف.

قلت يا هذا، لقد فضحتني، وتسفك دمي أهون عليّ مما قلت، فخذ الجوهر راشداً فلست في حاجة إليه ومعى سواه، فضحك وقال: كأنك يا معن أردت أن تكذبني في ادعائي الجود فوالله ثم الله لا أخذ على المعروف ثمناً، فتضيق الحياة في وجهي، وتركني مهرولاً!

قال معن، ثم شاء الله ومن عليّ بالعفو والحرية بعد يوم الهاشمية، ورجع إليّ جاهي ومالي ومكانتي عند أمير المؤمنين، فجعلت أسير في الطريق الذي قابلني فيه العبد، لأعثر عليه، وأجعله من خاصة أصحابي فما لقيته على كثرة البحث، وتعقب المارين، وطول السؤال عنه بأوصافه التي عرفتها فيه، حتى يشتت وضجرت! فكان الأرض قد ابتلغته، وهو والله

وخلع عليه، وحباه، وصار من صفوة رجاله، وفي هذا الموقف يقول بعض الشعراء مخاطباً معن بن زائدة:

مازلت يوم الهاشمية معلنا
بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاه
من وقع كل مهند وسنان

ولم يكن معن بعد ذلك محابياً للمنصور، بل كان يعارضه فيما يرى فيه وجهاً للمعارضة، وقد وثى به قوم لمسلكه هذا فنهرهم المنصور، وقال: أريد رجالاً مثل معن، ولا أريد أطفالاً.

٤٧٩ - من أحسن ما قيل ..

نريني فإن البخل يا أم مالك
لصالح أخلاق الرجال سرور
نريني وحطّي في هواي فإبني
على الحسب الزاكي الرفيع شفيق
نريني فإني ذو فعال تهمني
نوابغ يغشى رزوها وحقوق
وكل كريم يتقي الذم بالقرى
وللحمد بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها
ولكن أخلاق الرجال تضيق
سلى هل جفاني من عشير صحبتي
وهل ملّ رحلي في الرجال رفيق
وهل يجتوي القوم الكرام صحابتي
إذا اغبر مخشى الفجاج عميق

أكرم مني وأجود، إذ رفض الثروة الطائلة وهو فقير محتاج!

إن النفوس الكريمة لا تحفل بلون، فقد يكون الأسود الجواد سيداً لآلاف من بخلاء البيض، وقد قال الله عز وجل {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}.

٤٧٨ (يوم الهاشمية) :

أشرت إلى يوم الهاشمية في سياق الحديث عن معن بن زائدة، وهو يوم شهير من أيام التاريخ والهاشمية مدينة بناها السفاح أول خلفاء بني العباس قريباً من الكوفة، وكانت موئل بني العباس قبل أن يبنى المنصور بغداد، وفي هذه المدينة ثار الراونية على المنصور، وهم قوم من أهل خراسان كانوا يتبعون أبا مسلم الخراساني، وأرادوا الانتقام لمصرعه، فانتهزوا فرصة ابتعاد الجند عن منزل الخليفة، واجتمع منهم زهاء ستمائة شخص، وحاصروا المنزل، وهموا باقتحامه، فتقدم المنصور راكباً فرسه، وهو لا يأمن على نفسه من شدة الوجل، فرأى شخصاً ملثماً يتقدم فيمسك بزمام فرسه، ثم يهجم على من يحاولون قتل المنصور، ويلتحم معهم في معركة ساخنة، حتى انقشع القوم، وتعبج المنصور من هذا البطل المثلث، وحين انتهت المعركة دعاه، فكشف اللثام عن وجهه، فقال المنصور: من أنت لله أبوك، فقال ابن زائدة أنا طلبتك يا أمير المؤمنين، أنا معن! قال المنصور: قد أمك الله على نفسك، ومثلك يصطنع، ثم أخذه معه،

مسك

الختم

سمو
نفس
وتجليات
روح

يقدم:

د. محمد رشاد عبد الله الريان
نم اللغة الإنجليزية - جامعة البروك

المنهل

١٥٨

الحرم/ صفر ١٤٢٢ هـ - مارس/ أبريل ٢٠٠١ م

أيها الزيفُ فارقتني، غادر من هنا لأي جهة، أبعد ما يكون البعد والنائي، فقط احرص ألا تكون في مكان أجذك فيه أو لتلقني فيه معا، أغرب عن وجهي، غرويك أمثل ما تقدر عليه من أفعال، لا تدعني أراك في أي مكان، لست أحبك ولا أطيقك بالمرّة، بل إنني أكرهك، اهتمامي بك وتتبعي أخبارك ومالك لا تتعدى ترصدي وتشوقي أن يبلغني أنك في أسوأ حال وأنت تحتضر وتوشك على لفظ أنفاسك الأخيرة وعلى فراش جفافك وخوائك، تحت أنظار الجمع والشهود من الفرخين بموتك، المترقبين له والشامتين بك في واقع حالك المتردي، المحتضر.

أيها الزيف انصرف من هنا - لست أحب حضورك وكما قلت للتو وأخبرتك لا أطيقك، ليس لك لدي من نصيب أو قسمة، أي حظ تصيبه هو أكثر مما تستحق مهما قل، وهو عندي قسمة ضيزى ومصيبة وخسارة - لست راغباً في صحبتك البتة، حتى بعد أن تبسط سعة المكان، ولو ملأتها بالكثرة من الأشخاص والأفعال الذين تتلبس بهم وتخالطهم وتشغل أو تنتشر في أحياز تواجدهم.

أيها الزيف لست أجهل ذلك منك أو عنك بل اني اعرف عنك أكثر وأكثر - انني اكاد اعرف عنك كل شيء ولا يغير كل هذا فضلاً عن بعضه موقفي منك أو نظرتي اليك - انه يزيدني كرهاً لك واشمئزازاً منك ونفوراً من طبعك وشر حقيقتك وسيي وضعك، ان يثني عن مقتك وحتى احتقاري لك طول الحرب معك ولا اتساع ساحة امتدادك، ان تفلح بشيء مني، بل إنني مستعد أن أضحي بكل من يرادوني فيك ويرغبني أو يحاول أن يغوييني أو يرهيني - ليس أمامك وليس لك إلا أن تنتحر أو تتلاشى طول العمر - ليس لك توبة، ولا تقبل منك محاولاتك هذه مثلك ومنك زيف وادعاء - إن التوبة التي تتاح للجميع وضمن حدود وشروط لا تفيدك ولا تنطبق عليك، إنها تقتلك - وإن طردك أو القضاء عليك مبرماً وقتلك بقدر ما تسعى ونود حدوثه ليس بذاته عملاً كبيراً وانجازاً يفخر به إلا باعتبار وتأميل الخير والصدق والحب والود الذين سينمون مكانك ويحلون محلك وبدلاً منك، أو يتسع انتشارهم ويطفون على وجودك ويظهرون عليك فلا تعود أنت تظهر في كل مكان، وتوشك أن تختفي.

أيها الزيف إنك شر وربما الشرُّ كله، وعدوك الخير والفضائل، وضعفك أو احتضارك هي البشائر بنمائها وشيوعها وحلولها بيننا - أغرب **أيها الزيف** فإنك في عيني كم أنت ضئيل ولو تهافتت عليك أفراد أو حتى ناخث لك من أمثالك مجاميع نوات سلطات وجحافل ودول وإنك في عقلي حقير ولو ارتديت أبهى الملابس وظهرت بأجلى اللؤلؤ واستخدمت وأحاطت بك لديك أحدث وسائل النقل والاتصال والمعلومات - راحتك منفرة ولو تعطرت بماء الورد، وذوقك سقيم وسي - فظ خشن خشونة قلب المعرفه ومعالجة القشرة والمظهر لا غير، صوتك يخدش الاسماع ولو ألبسته اعدب الالجان واشذى الانغام - تلك ليست لك ولو تخرجت من أفضل معاهد تعليم الاتيكيت والتحكم بالصوت والنطق والأسلوب - إنها ملك غيرك انتقلت إليك وبوسيلة أو بأخرى ومقت بين يديك وأنت لا تفهم معناها على أية حال سوى ما تراه مما يتيجك لك من استغلالها -

إنني لست في عجلة من أمري وإني أدرك أن عالمي الذي أطردك منه ستستغنى عنه بعوالم آخرين وأخرى ولكنني أؤمن أن أمثالي كثير وإنك ستطرد يوماً من كل الأرض أو معظمها وأن الحب والود والحق وحسن الذوق والطف والرحمة والعون ستعم حياتنا وتسمها وتثريها -

حاله منهل

مجلة العرب الادبية



تصدر عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣



الإشتراك السنوي

مبلغ (١٥٠ ريالاً)

للإشتراك السنوي للأفراد تشمل الاعداد الشهرية .
بالاضافة الى العدد السنوي (الخاص) .

مبلغ (٤٠٠ ريالاً)

للإشتراك لمدة (٣) سنوات تشمل الاعداد الشهرية .
بالاضافة الى العدد السنوي (الخاص) ، وكذلك كتاب شذرات الذهب ،
وديوان الانصاريات ، ورواية (التوامان) .

مبلغ (٥٥٠ ريالاً)

للإشتراك لمدة (٥) سنوات تشمل الاعداد الشهرية .
بالاضافة الى العدد السنوي (الخاص) ، وكذلك كتاب شذرات الذهب .

شاملة
رسوم البريد

مجلدات المنهل

المجموعة الكاملة ١٣٥٥ - ١٤١٦ هجرية

(٧٢) مجلدا فائرا متوفرة في اللون "الازرق - البني - والاسود"
للاستفسار الإتصال بإدارة العلاقات العامة بالمجلة ت : ٦٤٣٢١٢٤

لجبي الثقافة والمقتني المجموعة
عرض خاص

مكتبة الاسكندرية
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

يتمدد حتى نهاية هذا العام

السادة دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

بعد اطلاعي على شروط الاشتراك السنوي في مجلتكم (المنهل) والعرض الخاص
(ارغب في الآتي

اشترك سنوي (١٥٠) ريالاً . ☐

(٣) سنوات (٤٠٠) ريالاً مع الإصدارات . ☐

(٥) سنوات (٥٥٠) ريالاً وكتاب شذرات الذهب . ☐

وأرفق لكم طيه قيمة الاشتراك حسب ما هو موضح بالقسيمة.

(١) شيك ☐ (ب) حوالة بنكية ☐

مبلغ رقم بتاريخ

تفضل
بإسم (مجلة المنهل)
تعبئون الشيكات أو التحويلات

الاسم: _____ العنوان: _____
القطر: _____ المدينة: _____ المنطقة: _____ شارع: _____
بناية رقم: _____ شقة رقم: _____ ص.ب: _____ رمز بريدي: _____
تليفون: _____ فاكس: _____ تليكس: _____



○ حفاظ على الهوية
○ ثقافة متجددة
○ إبداع الصحافة القادمة

هديتنا
لأجيالنا
القادمة

مجموعة المنهل الكاملة
٧٢ مجلداً فاحراً
مفتاحك لعالم الفكر والمعرفة



تصدر عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة
المركز الرئيسي جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص ب ٢٩٢٥ ت ٦٤٣٢١٢٤ فاكس ٦٤٣٨٨٥٣



406



بيجو

صمت لتتبع بقاءاتها

المتوكل للسيارات والآليات

محمد نور صلاح جمجوم وأولاده



جسدة طريق مكة - كيلو ٥ - ت: ٦٨٧٢٦٢٢ / ٦٨٧٥٦٨٧ / ٦٨٧٥٤٩٧ / ٦٨٧٢٤٦٦ / ٦٨٧٢١٦٨

فاكس: ٦٨٧٦٥٣٥ - تلکس: ٦٠١٣٦٥ فبراس أس جي - ص.ب: ٢٥٣٨ - جدة: ٢١٤٦١ المملكة العربية السعودية

الفروع:

فرع مكة المكرمة: ٠٢/٥٤٣٣٠٣٤

فرع جدة طريق المدينة: ٦٨٢٦٦٩١

فرع خميس مشيط: ٠٧/٢٢٢٣٠٤١

فرع المدينة المنورة: ٠٤/٨٣٦٦٢٥٥